المعهد الافرنسي بدمشق
مجموعة النصوص الشرقية

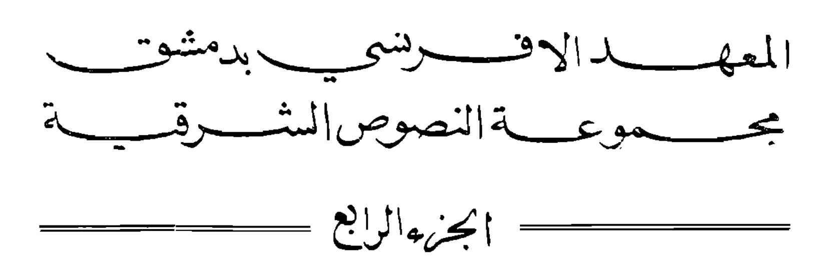
الجزء الرابع

ابراهيم الكيلاني

أوج التحرّى
عن حيثيّة
ابى العلاء المعرى

تأليف
يوسف البديعي

دمشق
١٩٤٤



ابراهيم الكيلاني

أوج التحرّى
عن حيثيّة
ابى العلاء المعرى

تأليف

يوسف البديعي

مطبعة الترقى بدمشق

١٩٤٤

مقدمة الكتاب

للاستاذ الكبير العلامة السيد سليم الجندي
عضو المجمع العلمي العربي بدمشق

لم تنجب بلاد الشام على كثرة من أنجبت من العلماء الأفذاذ ، والشعراء النوابغ ، والأدباء العباقرة ، من يضارع أبا العلاء في جلالة آثاره الأدبية والعلمية .

ومن العجيب أن الانسان كلما رأى أثراً من آثار هذا الرجل خيل إليه أنه أقصى ما وصل اليه أدبه ، وغاية ما انتهى إليه علمه ، حتى اذا ظهر أثر آخر انتقل هذا الظن إليه وهذا يدل على أن حقيقة أبي العلاء لم تزل مجهولة ولن تزال كذلك حتى يطلع الناس على كل ما ترك من كتب ورسائل ودواوين .

وليس في بلاد الشام من المكاتب الخاصة ، ودور الكتب العامة ، ما يضارع دار الكتب الظاهرية في دمشق فانها كنز مكتظ بالعقائل الكريمة ، والآثار النادرة ، وخزانة حفظت للخلف تراث السلف وما تركوا من مآثر ومفاخر . وكثيراً ما استنقذت هذه الدار أعلاقاً نفيسة ، وجواهر نادرة ، من ايدٍ لا تقدرها حق قدرها من الجهة العلمية والتاريخية وإنما تقدرها على قدر ما تستفيده منها من مادة .

وقد عثر المجمع العلمي منذ شهور في هذه الخزانة على رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ، فأخذ يعد العدة لتهذيبها وتصحيحها وطبعها وإخراجها للناس لتعم فائدتها ٠

واليوم عثر الاستاذ السيد ابراهيم الكيلاني من فضلاء دمشق في دار الكتب الظاهرية على كتاب أوج التحري في حيثية أبي العلاء المعري للشيخ يوسف البديعي احد رجال القرن الحادي عشر ٠ وهذا الكتاب نادر الوجود ولو لم تضمه دار الكتب إلى حظيرتها لألحقه الطمع بغيره من الآثار التي حرمت هذه الديار الانتفاع بها ٠

ولم ينج هذا الكتاب من يدٍ اثيمة ذهبت ببعض ورقات منه في مواطن مختلفة وقد نجم عن ذلك خلل في الإفادة ونقص في الأخبار والأمثلة ، وتفكك في الأسلوب ٠

سبب تأليف الكتاب

ذكر في فاتحة الكتاب أنه لزم القاضي ابن الحسام ٠ ثم نقصت ورقات من الكتاب لا يعلم مقدارها ولا ما فيها ٠ ولكن سياق الكلام يدل على أنها في بيان سبب تأليف الكتاب وأنه ألفه لابن الحسام لأنه رآه يذكر أبا العلاء وآثاره ، ويتطلب نوادره وأخباره ٠

أغراض الكتاب

وقد ذكر فيه جملة من أخبار أبي العلاء كميلاده ومولده ووفاته ومرقده وعمره ونشأته وقراءته على أبيه وغيره وابتداء قوله الشعر

وشيئاً من نوادر ذكائه وحفظه ومحاوراته وأمثلة من آثاره الشعرية والنثرية ونحو ذلك مما يستطيع الواقف عليه أن يعرف أن أبا العلاء ذكيّ تقيّ أَبيّ شاعرٌ عالم زاهد ...

ولكنه لم يتعرض للبحث عن نفسية الشاعر وفلسفته وأغراضه في شعره ودرجة ثقافته الواسعة ومصادرها وعلاقة آثاره بحياته العلمية والعملية وعن آرائه في الحياة والمذاهب والنحل والنسل والمرأة وما شا كل ذلك ، ولا تصدى إلى درجة اضطلاعه بالعلوم اللغوية والشرعية وغيرهما إلا قليلا . وهذا سبيل أكثر العلماء المتقدمين الذين أَلفوا أو كتبوا في أبي العلاء

أسلوب الكتاب

حرص البديعي على أن يسلك في كتابه هذا طريقاً يسهل السبل على القارئ حتى يستوي في فهمه العالم ومن دونه . فأسلوبه فيه أسلوب العلماء بعيد عن تقعر المتنطعين وعن توشية الأدباء وزخرفتهم ، وغاية ما يتوخاه نقل الحادثة ، ولا تكاد تجد له تحقيقاً أوتمحيصاً في قضية . وطريقته فيه أَشبه بطريقته في الصبح المنبي من الغراب بالغراب ومن الليلة بالبارحة .

المناسبات

والظاهر من حال البديعي أُنه إذا ذكر شيئاً يحب أن يعقبه بذكر شيء مما يناسبه أو يشابهه أو يقاربه . فإنه لما ذكر أن أَبا العلاء سريع الحفظ وأنه حفظ في مكتبة أنطاكية ما يزيد على كراسة ذكر بعده

حفظ المتنبي كتاباً فيه نحو ثلاثين ورقة وحفظ أبي تمام قصيدة البحتري القافية وحفظ عبد الله بن عباس قصيدة عمر بن أبي ربيعة الرائية .

ثم ذكر أن تلاميذ أبي العلاء ألفوا كلمات وأضافوا إليها ألفاظاً من غريب اللغة ووحشيها ففطن لما أرادوا . وأعقبها بقصة البخاري حين وضع له جماعة مائة حديث فجعلوا متن هذا لذاك فأبه لشأنهم ورد كل حديث إلى أسناده .

ولما ذكر حفظ أبي العلاء كلام الأعجمي وما في أوراق السمان ، ذكر حفظ البديع القصيدة ، وأورد ما وقع بين الشريف المرتضى وأبي العلاء في أمر المتنبي ، وأعقبه بما وقع بين الفتح بن خاقان وابن الصائغ وبين السري وسيف الدولة

وذكر قول أبي العلاء « كأنما نظر إليّ أبو الطيب بلحظ الغيب» وقفى على آثاره بقول ابن دوست والرياضي إلى غير ذلك ..

ولم يقتصر في هذا على إيراد الأخبار والنوادر فقط وإنما طبع على غراره في غيرهما . فإنه لما تكلم عن كتاب الألغاز ، وأتى بأمثلة منه ، أورد عقب ذلك أمثلة من الأحاجي والألغاز والمعمى لأبي بكر العمري وعبد المعين بن البكا والطالوي منها ما هو منظوم ومنها ما هو منثور .

ولما ذكر ما وقع بين أبي العلاء والشريف المرتضى وأبي الحسن التهامي والمنازي أتى بأمثلة من شعر كل واحد منهم وفيها ما هو جيد نادر . وعلى هذا المنوال درج في كثير من المواطن حتى يكاد يظن أنه أراد أن يعظم كتابه بما يذكره من هذا النوع

وذكر فيما ذكره رحلة أبي العلاء إلى أنطاكية وهو صغير دون البلوغ وأورد هذه الرحلة في الصبح المنبي وبين فيه أنه حفظ كراسة بحضور أسامة بن منقذ ·

ثم ذكر أنه رحل إلى طرابلس وأخذ ما أخذ من خزائن كتب موقوفة فيها ثم قال : وقيل اجتاز باللاذقية · ·

والنفس لا تطمئن إلى صحة واحدة من هذه الرحلات الثلاث ·

أما أنطاكية فلأنها كانت بأيدي الروم استولوا عليها سنة ٣٥٨ قبل ولادة أبي العلاء بخمس سنين فأكثر ، وظلت في أيديهم الى سنة ٤٧٧ أي بعد موته بنحو ٢٨ سنة ، ولأن أسامة بن منقذ ولد بعد وفاة أبي العلاء بنحو ٣٩ سنة ·

وأما طرابلس فالمعروف أنها لم يكن فيها دار علم في أيام أبي العلاء وإنما جدد دار العلم فيها القاضي أبو الحسن علي بن عمار سنة ٤٧٢ أي بعد وفاة أبي العلاء بنحو ٢٣ سنة ·

وأما اللاذقية فإنها كانت بأيدي الروم في ذلك العهد ، وكانوا يشتدون في إيذاء المسلمين ، حتى كان من عادتهم إذا سمعوا الأذان أن يضربوا بالنواقيس كيداً للمسلمين · ولعل البديعي غير جازم بهذه الرحلة ولذلك قال : قيل واجتاز باللاذقية ·

ولو كان شيء من هذه الرحلات الثلاث صحيحاً لذكره أبو العلاء

في نظمه أو نثره أو ذكر شيئاً مما وقع له في كل بلدة كما فعل ببغداد وليس لدينا دليل يوجب القطع بصحة شيء منها

وقد تكلف بعض الأدباء لجعلها أمراً واقعاً ولتأثر أبي العلاء بما كان في تلك الأمصار وكل ما قيل من هذا القبيل سداه الوهم، ولحمته الظن.

على أن كثيراً ممن كتب في أبي العلاء لم يتعرض إلى ذكر أنطاكية واللاذقية ومنهم من لم يذكر الثلاث

واستدلال بعض الأدباء على صحة هذه الرحل بأن أبا العلاء ذكر أنطاكية واللاذقية في شعره باطل، لأنه ذكر في نثره ونظمه كثيراً من الأمصار والبلدان ولم يرحل إلى واحد منها؛ وليس من غرضنا الإطالة في إثبات ذلك أو نفيه .

أما رحلته إلى بغداد فلا شك فيها

والذي يظهر من كلام البديعي أن أبا العلاء قال في بغداد ست قصائد :

١ — الفائية التي رثى بها الشريف الموسوي

٢ — الضادية التي قالها في الغزل وغنى بها الناس

٣ — اللامية « طربن لضوء البارق المتعالي »

٤ — اللامية « مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال »

٥ — العينية التي ودع بها بغداد قبل رحيله

٦ — اللامية التي أجاب بها القاضي أبا الطيب .

وقد كان أبو الطيب كتب إلى أبي العلاء أبياتاً فأجابه عنها فكتب إليه أبياتاً أخر فأجابه أبو العلاء بثلاثة عشر بيتاً أخر . وقد اقتصر البديعي على الأبيات الأولى ولم يتعرض لذكر القصيدة العينية التي كتبها إلى أبي حامد الاسفرائيني ومطلعها :

لا وضع للرحل الا بعد ايضاع فكيف شاهدت امضائي وازماعي

ما ذكره في هذا الكتاب من آثار أبي العلاء

لقد تسنى للبديعي أن يطلع على كثير من آثار أبي العلاء وأن يأتي في كتابه هذا بقطع وفصول من نظمه ونثره . وقد جاءت في كلامه على قسمين : قسم اقتصر فيه على ذكر الكتاب فقط ، وقسم ذكر فيه الكتاب وأتى بقصائد أو فصول منه .

فمن القسم الأول

كتاب جامع الأوزان ، السجع السلطاني ، ذكرى حبيب ، عبث الوليد ، معجز أحمد ، زجر النابح ، استغفر واستغفري .

وأما القسم الثاني فهو نوعان أيضاً : منظوم ومنثور أما كتبه المنظومة التي أورد طائفة منها فهي

(١) سقط الزند ، وقد أورد منه القصائد التي قالها في بغداد :

١ً — الرائية : ياساهر البرق أيقظ راقد السمر .

٢ً — النونية : عللاني فان بيض الأماني .

٣ً — الدالية غير مجدٍ في ملتي واعتقادي .

٤ً — الدالية أحسن بالواجد من وجده .

٥ً – اللامية : ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل ·

٦ً – أبيات مختلفة في الغزل والمدح والوصف وذم الدنيا

وهذه القصائد لم يأت بها كلها وافرة وربما شرح بعضاً من الأبيات التي ذكرها منها

(ب) الدرعيات :

وقد أورد منها أبياتاً تكفي للدلالة على أسلوب الشاعر فيها وفي إبراز صورة من الكتاب تدل على باقيه ·

(ج) لزوم ما لا يلزم :

ذكر منه أبياتاً في أغراض مختلفة وهذا القدر لا يكفي للدلالة على بقية الكتاب لأن أغراض اللزوم كثيرة مختلفة وأسلوبه متفاوت في الجزالة والإيجاز ·

(د) كتاب الألغاز :

أورد منه نحو اثنين وعشرين بيتاً في النعامة والنجم والثريا والكعبة وغيرها ولم أر من ذكره في كتب أبي العلاء ولا من نقل منه شيئاً من قبل البديعي ·

وأما كتبه المنثورة فقد أورد طائفة كبيرة منها وهي :

١ – كتاب الفصول والغايات ، أتى بفصول مختلفة من حروف الهمزة والباء · وأتى بأول الكتاب فكان متمماً لما نقص من أوله في النسخة المطبوعة في مصر

وفي القدر الذي أورده من هذا الكتاب دليل قاطع على صحة

عقيدة أبي العلاء وعلى بطلان مـا تقوله عليه بعض أعدائه في هذا الكتاب وشايعهم عليه اتباع كل ناعق ، وحساد كل نعمة ، وأعداء كل فضيلة .

٢ كتاب الأيك والغصون المعروف بالهمزة والردف . ذكر جملة منه تدل على منهج الكتاب ، والغاية المقصودة منه ، وأسلوب صاحبه فيه . وقد كان هـذا الكتاب مثل عنقاء مغرب ، لا يعرف الناس إلا اسمه وإلا ما نقله ياقوت وغيره من التعريف به . ولكنهم لم يأتوا بأمثلة منه .

٣ – رسالة الملائكة أورد فصولاً طويلة من مقدمتها التي كان الناس يظنون أنها هي رسالة الملائكة قبل أن تظهر نسخة دار الكتب الظاهرية التي أشرنا إليها .

٤ – رسالة الغفران : كذلك أتى بجملة عظيمة منها .

رأي البديعي في عقيدة أبي العلاء

نقل البديعي ما ألف الناس أن يقولوه في أبي العلاء من أنه زنديق ملحد ، يقول بالتعطيل ويستخف بالنبوات ، وأنه ساحر وأنه يدين بمذهب الحكماء وأنه وأنه . . . ونقل أنه كان يرمى بذلك من قبل خصومه وحساده ، وأنه شاك وأنه في حيرة ، وأنه تاب ويمكن أن يلخص رأيه فيه بأنه كان صحيح العقيدة وأن تلامذته وغيرهم كانوا يعملون الأشعار على لسانه كيداً وإيذاءً له ، وكانوا يؤولون كلامه ويحملونه على ما يوجب الطعن في عقيدته شأن كل معاصر ، وأن ما

زعموه من معارضة القرآن بكتاب الفصول والغايات باطل ...
ولقد أحسن الانتصار لأبي العلاء ووفق في الدفاع عنه . ونحن وإن كنا أنكرنا على البديعي ذكر المناسبات ، نرى من المفيد أن نبين ما نعلمه في عقيدة المعري بمناسبة ذكرها وإن أنكر بعض الناس علينا ذلك فنقول :

إذا نحن سلكنا سبيل الانصاف ، واعتصمنا بحبل الحق ، وابتعدنا عن التعصب للمعري ، أمكننا أن نصل إلى الحقيقة التي نتوخاها من طريقين :

الأول : من حياته العملية .

وقد حدثنا التاريخ أن أبا العلاء كان يصوم الدهر ، ولم يفارق الصلاة حتى فارقته الحياة وكان عفيف اللسان واليد والازار ، لم يستعمل كلمة بذيئة في نظم ولا نثر ولا محاورة ، ولم يعرف أنه آذى أحداً ولا ضر أحداً ، بل كان يعين ذوي الحاجات على قدر طاقته ، ولا يجد المتسقط لأخباره ما يغمزه في عفافه وطهارته ونزاهته وإبائه وأنفته ، وكان يعطي على قلة ماله ، ولا يأخذ على كثرة حاجته .

وقد آتاه الله فوق ذلك من الفضل والنبل والعلم والذكاء وحدة الذهن وقوة الحافظة وسرعة الخاطر ما استطاع بسببه أن يأتي بما لم تستطعه الأوائل

وقد سار ذكره في البلاد ، فكان الملوك والأمراء وأعيان الأمة يكاتبونه ويتحفونه بالسؤال عنه ، ومنهم من رغب إليه في أن يؤلف

له كتاباً ، ومنهم من لا يرد له شفاعة ، ومنهم ومنهم . فهذه المنزلة ، وتلك المواهب ، أثارتا معاصريه وحساده ، وأرثتا في قلوبهم نار الحسد فأخذوا ينقبون عن مساوئه ، ويتسقطون عيوبه ، فلم يجدوا مغمزاً في علمه وأدبه ، ولا مطعناً في نزاهته وعفافه ، ولم يجدوا أسهل من الطعن في دينه لأنهم لم يبلغوا درجته في العلم ، ولا منزلته في العفاف . والطعن في الدين سلاح قديم طالما قتل به أفذاذ من عباقرة الأمم . ولا يجد الانسان شيئاً يستثير به العامة والخاصة مثل الدين . وأكثر الناس يتابع على غير بصيرة ، ويشايع بغير تثبت ؛ حتى أنك لو رأيت رجلا يتصدق فقلت : إنما يتصدق رياء لوجدت مئات من الناس يصدقونك وهم لم يشقوا عن قلبه ، ولا استقروا سيرته في حياته ، وربما كان فيهم من لا يعرفه . ولعل السبب في هذا أن قول السوء أسرع لصوقاً بالنفوس من غيره ، وسوء الظن أقرب إلى التصديق من حسنه عند بعض النفوس على نحو ما قاله أبو الطيب : إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه .

الثاني : من آثاره العلمية :

لم يصل إلينا من آثار أبي العلاء العلمية والأدبية إلا قل من كثر . والذي وصل إلينا مغمور بالشعور الديني ، طافح بالأدلة على إيمان أبي العلاء وصحة عقيدته . ومن هـذه الآثار ما زعم قوم أنه عارض به القرآن واتخذوا ذلك وسيلة للطعن في دينه ، فلما طبع بعضه تبين أن ليس فيه شيء من المعارضة وإنما هو تمجيد لله .

وأعظم كتاب فيه ما يتمسك الطاعنون به هو لزوم ما لا يلزم . فان فيه أبياتاً تتعلق بالنبوات لا يمكن تأويلها على وجه قوي وهي قليلة جداً فان كانت مما أدخله عليه تلاميذه وحساده ، وهو أقرب إلى حالة أبي العلاء، فلا يؤاخذ بها . وقد افترى عليه في حياته واستدعاه أمير حلب من أجل أبيات حرفها أعداؤه فأبان تحريفهم وافتراءهم بنسخ كانت في حلب لم تصل إليها أيدي المفترين فلما تبين الأمير صحة ما قاله رده إلى بلده مكرماً

وإن كانت من كلام المعري شق تأويلها وحملها على محمل حسن . على أننا قد نرى في كلامه بيتاً يمكن أن يكون فيه مغمز على تأويل بعيد وتكلف شديد ، وإلى جانبه مئات من الأبيات صريحة في ضد ذلك البيت فيعرض الناس عن الصريح على كثرته ، ويتمسكون بالمحتمل على ندرته . مثال ذلك إقراره بالبعث وانكاره إياه ، فلا يكاد المتقصي يجد في كلامه ما يدل على الانكار صراحة وهناك بيت واحد وهو

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

وهذا لا يدل على إنكار البعث بمفرده حتى يضاف إليه شيء من المكابرة والتمرد على ما يقتضيه سياق القول لأنه يريد لا يعاد لنا سبك في الدنيا لا في الآخرة لأن الزجاج لا يعاد سبكه فيها . وفي اللزوم وحده نحو من مائة بيت تصرح بالآخرة والحشر والجنة والنار أو ما ماثل ذلك مما يتعلق بالآخرة . فنبذها القوم ظهرياً وتمسكوا

بالبيت الاول وهكذا سبيلهم في الجبر وقدم النجوم و.و.. وفي السقط والفصول وملقى السبيل وغيرها ما لا يعد من الشواهد الصريحة الواضحة . ومنهم من يقتضب جملة من قوله في رسالة ، أو بيتاً من شعره في قصيدة ، فيزعم أن أبا العلاء أراد به معارضة القرآن والمنصف يرى أثر التعنت والافتراء جلياً في هذه المزاعم كما فعل الزمخشري في بيته الذي وصف به النار في مرثيـة الشريف الموسوي ، وكما فعل ياقوت فيما نقله عن الفصول والغايات ومنهم من يأتي بجمل فيها تقديس وتمجيد لله فيجعلها دليلاً على إلحاده وكفره ومنهم. ومنهم..

ولا يتسع هذا المقام لدحض هذه الشبه وأمثالها وحسبنا الآن ان نعلم أن العلماء أسرفوا وأسرعوا في تكفير ابي العلاء ، واعتمدوا في ذلك على شبه وأوهام ، وانهم جعلوا دينه نهباً مقسماً بين الاديان فجعلوه زنديقاً وملحداً ومزدكياً وبرهمياً وقرمطياً ودهرياً ، ولا يستبعد أن يأتي يوم يجعل فيه أبو العلاء متديناً بكل دين كان ، معتصماً بكل نحلة تكون ، معتقداً لكل مذهب سيكون ، فيحرف قول ابي النواس ليصدق عليه فيقال

وليس لله بمستنكر ان يجمع الاديان في واحد

ومما زاد الناس ضغناً على ابي العلاء ، وزاده ضغثاً على ابالة ، انه طعن في كثير من رؤساء المذاهب والنحل ، و كشف عن حقائق اعمالهم ، وشنع على المتلبسين بالتقى والمتدلسين . فأراد هؤلاء ان يسقطوه من أعين الناس ويصرفوهم عن النظر فيما قاله فيهم ، فطعنوا في دينه

ما طعنوا ، وافتروا عليه ما افتروا ، وقد وفقوا إلى ما أرادوا في الايام الخالية ولكنهم اخفقوا في هذه الأيام ، لأن الناس ينظرون اليوم إلى ابي العلاء بغير العين التي كانوا ينظرون بها اليه من قبل

ولقد أطلنا القول فلنعد إلى أوج التحري ونعترض ما فيه من مزايا وخصائص وما اشتمل عليه من غيرها مما يؤخذ به .

مزايا هذا الكتاب

ذكر البديعي في أوج التحري كثيراً مما ذكره غيره من أخبار أبي العلاء ونوادره وما وقع له بينه وبين غيره من المحاورات وما قيل في رثائه .

ولكنه سلك سبيلاً لم يوفق إليه غيره ، وأتى بشيء من آثاره وأخباره لم نعثر عليها في غير هذا الكتاب .

أما الأول فانه أتى من كل كتاب أو رسالة أو ديوان بمقدار يتبين منه الغرض المقصود من هذا الكتاب ، وأسلوب المؤلف فيه ، ودرجته في ذلك الفن . وأتى بكتب مختلفة نثراً ونظماً ، وجعل الأمثلة من كل كتاب منفردة عن غيرها في الغالب

وأما الثاني فانه أتى بفصول من كتاب الفصول والغايات لم توجد في النسخة المطبوعة . وقبل أن يطبع هذا الكتاب كان الناس يتقولون على أبي العلاء فيه بعض الأقاويل ، ويزعمون أنه عارض به القرآن وأنه وأنه . .

وأتى بقطعة من كتاب الأيك والغصون تدل على حقيقة الكتاب والغاية التي يتوخاها صاحبه من تأليفه وأماطت اللثام عما كان

يكتنفه من الشكوك والأوهام . وفي وسع الانسان أن يقايس بقية الكتاب على هذا المقدار الذي يراه منه في أسلوبه وغايته ومنهجه .

وذكر ديوان الألغاز وأورد أمثلة منه بعد أن عرف به تعريفاً موضحاً ولم أر أحداً غيره ذكر مثلما ذكره .

وقد دل بما أورده من هذا الديوان وغيره من أنواع الألغاز والمعميات على عناية أهل ذلك العصر بهذه الأنواع وإن كان بعض الناس يظن أن العناية بها متأخرة عن ذلك العصر

وذكر المحاورة التي وقعت بين المنازي وأبي العلاء ومدح الأول الثاني .

وذكر أن المعري قال للتهامي ومن بالعراق بعد سبع عشرة سنة .

وقد ذكر الحافظ ابن سيد الناس اليعمري ان المنازي دخل مع جماعة من الشعراء على أبي العلاء فأنشده كل واحد منهم شيئاً من شعره وأنشده أبو النصر المنازي الأبيات الميمية التي يقولها في وادي بطنان فقال له أنت أشعر من في الشام

ولما كان في بغداد دخل عليه المنازي في جماعة من الشعراء فأنشده كل واحد منهم شيئاً من شعره وكان لا يعرف أحداً منهم فلما أنشده المنازي قصيدته الحائية قال ومن بالعراق وقال غيره أن بين عرض القصيدتين عشر سنوات فلعل ذلك وقع للتهامي والمنازي

وجملة القول أن هذا الكتاب وعى في صدره كثيراً من الآثار النفيسة، والأخبار الطريفة، والأعلاق النادرة . ولو سلم من عبث

الأيدي الخائنة وجاء وافراً لرأينا فيه من الفوائد الجليلة اكثر مما رأينا .

ولا يضيره أن تكون قصائده أو فصوله غير مرتبة على القوافي أو الزمن وان يكون بعض حوادثه متداخلاً غير مرتب أيضاً . فانه عين الزمن لكثير من القصائد ، وأماط اللثام عن معاني أبيات جمة و كثرة ما في الكتاب من المحاسن تذهب مثل هذه الهنات .

فبارك الله في دار الكتب الظاهرية التي استنقذت هذا الأثر الجليل واحتفظت بالبقية الباقية منه .

وجزى السيد الكيلاني خيراً ، فانه أحسن إلى الأمة والتاريخ والأدب بتحقيق هذا الكتاب وتصحيحه وتهذيبه وطبعه واخراجه للناس بعد ان ذلل كل أبي فيه ، وكشف كل غامض ، ودل على المصادر والمظان والمراجع لكثير من الأبيات والأخبار وغيرهما حتى اصبح في وسع كل إنسان ان يدرك ما فيه من الدقائق والأسرار ، ويجتني من ثمراته الطيبة بغير كلفة ولا عناء .

محمد سليم الجندي

كلمة الناشر

احتفل الشاميون والعالم العربي منذ سنين مضت بذكرى ميلاد شاعر العروبة والقومية أبي الطيب المتنبي ، واليوم يحتفلون بانقضاء الف عام على ميلاد فيلسوف المعرّة وشاعرها وأديبها ولغويها . وهذا لعمري عمل هام ، وسنة حميدة يسنّها الجيل العربي الحاضر للأجيال المقبلة في تمجيد نوابغ الفكر وتخليد ذكرى الأبطال والعظماء .

فاقراراً بفضل أحد هؤلاء العظماء على الفكر العربي والتراث الانساني ، وتقديساً لهذه الذكرى السعيدة ، فإني أرفع هذا السفر إلى :

روح أبي العلاء المعري

نادرة الزمان ، وممثل العبقرية العربية الخالد

***

اشتهر البديعي – رحمه الله – بأثرين قيمين . أولها : الصبح المنبي عن حيثية المتنبي [1] ، وثانيهما هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام [2] ولهذين الكتابين أهمية فائقة عند من يريد التعمق في دراسة أساليب

(١) طبع مرتين : الأولى بمصر على هامش شرح العكبري لديوان المتنبي ، والثانية بدمشق سنة ١٣٥٠هـ .

(٢) طبع في مصر بعناية الاستاذ محمود مصطفى سنة ١٩٣٤ .

هذين الشاعرين ، وتذوق بيانهما . وللبديعي كتاب آخر مخطوط في إحدى مكتبات المانيا وعنوانه : « الحدائق الربيعية في الأنواع البديعية [1] » .

غير أنني لم أجد بين المتقدمين ولا المتأخرين من أشار إلى أن للبديعي أثراً آخر عن أبي العلاء المعري فقد عثرت في دار الكتب الوطنية الظاهرية على مخطوط فريد رقم ٤١٤٢ عام اقتنته ادارة المكتبة من الشيخ راغب الطباخ سنة ١٩٤٢ وحجم المخطوط ٢٠،٥ × ١٤ سم وعدد أوراقه ٩٤ ، كتب على ورق عبادي تحتوي الصفحة على تسعة عشر سطراً بخط نسخي مقروء تحيط بكل صفحة هوامش أربعة بقياس ٦ سم وقد أصيبت النسخة برطوبة أكلت هوامش كثير من أوراقها وهي مكتوبة في آخر محرم أول شهر من سنة ١٠٥٣ . وقد كتب على وجه الورقة الأولى : (دخل في نوبة الفقير اليه سبحنه وتعالى حمد ابن الصدر محمد صادق عفى عنه سنه ٩٠) . ومن تحتها : (من عواري الدهر على الفقير اليه تعالى سبحانه ابي بكر بن محمد عفى عنه) . وعلى وجه الورقة الثالثة : (من كتب الفقيد مير اسعد كان الله له) ، وعلى وجه الورقة الأخيرة من الجلد قطعة من ديوان استغفر واستغفري بخط يختلف عن خط النسخة .

---

(١) راجع : بروكلمان ، ترجمة يوسف البديعي . وقد ذكر المحبي في خلاصة الأثر ج ٤ ص ٥١٠ هذا الكتاب تحت عنوان « الحدائق في الأدب » ولعله لم يطلع عليه . ويقول زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية ج٣ ص٢٨٧) : أن الجزء الأول من كتاب البديعي محفوظ في مكتبة غوطا .

ومما يبعث الأسف أن النسخة مخرومة في مواضع عدة ، غير أن هذه الخروم لا تنقص من قيمة المخطوط شيئاً . وهنا لا بدّ لي من تنبيه الذين تهمهم الآثار المعرّية إلى بعض المزايا التي ينفرد بها هذا الكتاب. فقد حوى بعض « الغايات » التي لا نجدها في القطعة المنشورة من كتاب (الفصول والغايات) المطبوع في مصر عام ١٩٣٩ وهو بذلك يتمم إلى حد ما الجزء الأول من الكتاب المذكور [١] ، وحوى أيضاً بعض نماذج من كتاب « الأيك والغصون » وفي القدر الذي أورده البديعي من هذه النماذج ما يعطينا فكرة واضحة عن هذا الكتاب المفقود ثم إن هذا الكتاب حوى أيضاً نماذج أخرى من « ديوان الألغاز » للمعري وهو كتاب قيم لم يعثر عليه إلى الآن ، ولا نعرف أحداً أشار إليه قبل البديعي .

* * *

إذا استثنينا المحبي صاحب خلاصة الأثر [٢] ، لا نجد أحداً من كتاب التراجم المتأخرين من تصدى لترجمة يوسف البديعي مؤلف هذا الكتاب وما ذكره المحبي فهو جد مقتضب لا يجيز لنا تكوين فكرة واسعة عن مراحل حياة المؤلف . فقد أشاد المحبي على طريقة المتأخرين في أسطر قلائل بمهارة البديعي الانشائية ، وعلو كعبه في النظم . ثم قال انه «خرج من دمشق في

---

(١) يغلب على الظن أنه لم يقع بين يدي البديعي إلا الجزء الأول من الكتاب فان شواهده كلها منه .

(٢) تاريخ خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر ج ٤ ص ٥١٠ .

صباه فحل في حلب فلم يزل حتى بلغ الشهرة الطنانة في الفضل والادب وألف المؤلفات الفائقه منها كتاب الصبح المنبيء في حيثية المتنبيء وكتاب الحدائق في الأدب ، ولما رأى كتاب « الريحانة [1] » عمل كتاب ذكرى حبيب ، فأحسن وأبدع ، وأطال وأطنب ، وأعرب عن لطافة تعبيره وحلاوة ترصيعه إلا أنه لم يساعده الحظ في شهرته فلا أعلم له نسخة إلا في الروم عند أستاذي الشيخ محمد عزتي ونسخة عندي» . وبعد أن اورد المحبي له شعراً هو في جملته حسن ذو رونق وطلاوة قال : « وشعره كثير أوردت منه في كتابي « النفحة » ما فيه مقنع » .
ولي البديعي قضاء الموصل وتوفي بالروم سنة ١٠٧٣ هـ

✲ ✲ ✲

عاش البديعي في القرن الحادي عشر للهجرة ، وهو عصر الجمّاعين وواضعي المختصرات عصر خيم فيه الجمود على الفكر ، وأصيبت القرائح العربية بالنضوب ، وتدهورت الأمم الإسلامية في مهاوي الجهل والتأخر والتقليد والانحطاط في نواحي حياتها السياسية والعقلية والاقتصادية ، فلم يكن لأدباء ومتأدبي هذا العصر ، شأن الناس في عصور التخلف ، إلا النكوص إلى الوراء ، والانكباب على تراث العصور السابقة التي ازدهرت فيها العلوم والآداب ، ونشطت العقول حتى بلغت ذروة الإبداع وقمة الإجادة . والبديعي أحد هؤلاء الأدباء الذين أُخذوا ببيان الماضين وروعة بلاغتهم فعكف على دراسة

---

(١) كتاب الريحانة لشهاب الدين أحمد الخفاجي .

ثلاثة من فحول القريض العربي وهم أبو تمام الطائي ، وأبو الطيب المتنبي ، وأبو العلاء المعري لاعتقاده أنهم يمثلون أرقى ألوان الشعر في أرقى عصر أدبي . ومن النصفة أن نعترف للبديعي بحسن التذوق للشعر ، ودقة التمييز بين جيده ورديئه ، وسعة الاطلاع على أساليب البيان العربي كما أن للبديعي مزية أخرى تتجلى واضحة في هذا الكتاب وهي حسن اختياره للأبيات الفريدة ، والقصائد الجيدة . وقديماً قيل اختيار المرء قطعة من عقله .

إلى جانب هذه المزايا نجد للبديعي في هذا الكتاب عيوباً وهنات لا نرى فائدة في التبسط بعرضها ، وإنما نوجز الاشارة إليها : منها قلة الآراء الشخصية ، فهو في كثير من أحكامه الأدبية مقلد غير مبدع ، يعتمد على مشهوري المؤلفين كابن خلكان ، وياقوت الحموي ، وابن العديم ، والباخرزي ، فيورد آراءهم بدون تمحيص ولا اعتراض أو نقد . حتى ليصعب أن تجد له رأياً إلاّ وهو منقول او مستوحى من أحد هؤلاء الأعلام . ومن عيوب البديعي التي تجابه القارئ أول وهلة كثرة الاستطراد واتساعه مما يفسد على القارئ أحياناً وحدة الفكرة ومتعة التسلسل المنطقي في الموضوع . ومما يشفع للبديعي أن هذين العيبين ليسا بمقصورين عليه دون سواه بل هما عيبان شائعان يعدّان من خصائص العصر الذي عاش فيه .

وبعد ، فأنا مدين بطبع هذا الكتاب لنصير العلم والمعرفة السيد هنري لاووست ، مدير المعهد الفرنسي بدمشق . فله الشكر الجزيل لما أسداه

إليّ من معونة ولما يبذله من جهود في سبيل انعاش الحركة العلمية والنهضة الثقافية في بلادنا .

وأرى لزاماً عليّ أن أخص بالشكر والتقدير الأستاذ الجليل سليم الجندي الذي تفضل – على ضيق وقته و كثرة مشاغله – بابداء الملاحظات القيمة وإرشادي إلى بعض الهفوات وتقديم الكتاب إلى القراء كما أنني أشكر جميع الذين آزروني وشجعوني على إخراج هذا الكتاب إلى عالم النشر

والله تعالى نسأل أن يسدّد خطانا ويهدينا إلى سواء السبيل

ابراهيم الكيلاني
استاذ العربية في المعهد العلماني
بدمشق

دمشق في ١٦ رمضان المبارك من سنة ١٣٦٣

الموافق ٣ ايلول من سنة ١٩٤٤

نموذج الصفحة الأخيرة من مخطوطة أوج التحري المحفوظة في دار الكتب الظاهرية

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يسر لاتمامه

سبحان الذي منح الأسماع والأبصار وأفاد بها الأحاديث والأخبار نحمده حمداً لزومه لا ينقضي أكيداً ، ونشكره شكراً يقتضي كل يوم مزيداً ثم أتم الصلوات الناميات والتسليمات الزاكيات على أشرف مخلوقاته محمد صاحب الكتاب الذي صدعَ سدفَ الشبه ببينانه وأعجز مصاقع البلغاء عن محاذاة سوره وآياته وعلى آله وأصحابه ومعاشره وأحزابه . أما بعد فيقول فقير عفو ربه الغني يوسف المشهور بالبديعي . لما كنت بدمشق الشام في خدمة ابن الحسام (١) دام مجده ووري زنده وكانت الركبان تأتي من الشهباء ونواحيها مثقلة الظهور بمحامد قاضيها .

وهو علاّمة الورى بل شيخ الناس طراً محمد المحمود ، ثنيت عن الاقامة بدمشق عنان الاختيار وألقيت بحاب الشهباء عصا التسيار ورأيت بحر العلم وطود الحلم .

[و ١]

وليس الذي يتّبع الوبل رائداً كمن جاءه في داره رائد الوبل

وتشرفت بمنزله الشريف ومجلسه المنيف وسمعته يذكر أبا العلاء وآثاره ويتطلب نوادره وأخباره رأيتك (٢) .

وقوله في جارية سوداء :

ومسكية النشر مسكية الغدائر مسكية المنظر

---

(١) لم نعثر على ترجمته ولا شيء من أخباره إنما يذكر الشيخ كامل الغزي في تاريخ حلب ج١ ص ٣٠٥ أن من قضاة حلب السيد حسام مصطفى وأنه كان قاضياً فيها سنة ١٠٣٥ فلعله أبن الحسام المذكور .

(٢) هنا خرم في نسخة الأصل لا يعلم مقداره .

تثني وقامتها للقضيب وتنظر واللحظ للجؤذر
وتحسبها في خلال الحديـ ـث تنثر عقداً من الجوهر

وذكر أبا العلاء حيث قال : حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي الشاعر(١) قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً ، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الهزل والجد يكنى أبا العلاء وسمعته يقول: أنا أحمد الله تعالى على العمى كما يحمده غيري على البصر ، وقد صنع لي وأحسن بي إذ كفاني رؤية الثقلاء البغضاء قال : وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء .

وافى الكتاب فأوجب الشكرا فضممته ولثمته عشرا
وفضضته وقرأته فاذا أحلى كتاب في الورى يقرا
فمحاه دمعي من تحدره شوقاً إليك فلم يدع سطرا (٢)

قال : فحفظتها واستعملتها كثيراً في مكاتبات الاخوان .

ذكر تاريخ ولادة أبي العلاء

وكانت ولادة أبي العلاء يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة (٣٦٣) بالمعرة وعمي من الجدري سنة (٦٧) غشي يمنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة .

وكان يقول: لا أعرف من الألوان إلا الأحمر لأني لبست في الجدري ثوباً مصبوغاً بالعصفر لا أعقل غير ذلك .

[ظ ١]

قال الحافظ السلفي (٣) أخبرني أبو محمد عبد الله بن الوليد بن غريب الإيادي

---

(١) هو محمد بن عبد الله بن حمدان الدلفي المجلي أبو حسن النحوي كان فاضلاً بارعاً شرح ديوان المتنبي. ومات بمصر سنة ٥٤٦٠ معجم الأدباء ج٧ ص ١٥ . و بغية الوعاة ص ٥٢ .

(٢) تتمة اليتيمة للثعالبي ج ١ ص ٩ ومعجم الأدباء ج ٣ ص ١٢٩ .

(٣) هو الحافظ ابو طاهر احمد بن محمد بن احمد بن محمد بن ابراهيم سلفة الاصبهاني الملقب صدر الدين ولد سنة ٤٧٢ باصبهان . وهو أحد الحفاظ المكثرين رحل في طلب الحديث وورد بغداد واشتغل بها على الكيا ابي الحسن علي الهراسي في الفقه وعلى الخطيب التبريزي في اللغة . ودخل ثغر الاسكندرية سنة ٥١١ وأقام به وقصده الناس من الاماكن البعيدة وسمعوا عليه وبنى له العادل ابو الحسن علي بن السلار وزير الظافر العبيدي صاحب مصر سنة ٥٤٦ مدرسة بالثغر المذكور وفوضها إليه وتوفي الحافظ سنة ٥٧٦ هـ . ابن خلكان ج١ ص ٣١ . وابن العديم ج ٦ ص ١١٣

أنه دخل مع عمه على أبي العلاء يزوره فوجده قاعداً على سجادة لبد وهو شيخ فانٍ فدعاني ومسح على رأسي وكنت صبياً قال : وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه الواحدة نادرة والأخرى غائرة جداً وهو مجدَّر الوجه نحيف الجسم .

ذكر وفاة أبي العلاء

وتوفي ليلة الجمعة ثالث شهر ربيع الأول سنة (٤٤٩) بالمعرة فيكون مجموع عمره (٨٦) سنة [١] وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بني عمه فقال لهم في اليوم الثالث : اكتبوا عني فأملى عليهم غير الصواب. فقال القاضي أبو عبد الله محمد التنوخي [٢]: أحسن الله تعالى عزاءكم في الشيخ فانه ميت فمات في ثاني يوم .

وقبره في ساحة من دويرة أهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو على غاية ما يكون من الاهمال وترك القيام بمصالحه، وأهله لا يحتفلون به كذا ذكره ابن خلكان في تاريخه [٣] .

علمه

وكان متضلعاً من فنون الآداب قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة وعلى محمد ابن عبد الله بن سعد النحوي [٤] بحلب ، وله التصانيف المشهورة والرسائل المأثورة وهو من بيت علم وفضل ورياسة وأقاربه قضاة وعلماء وشعراء وقد قال الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة .

[٢ و]

وجمع ما قاله في صباه من الشعر وسماه « سقط الزند » لأن السقط أول ما يخرج من النار من الزند وهذا أول شعره وما سمح به خاطره فشبهه وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط [٥]

(١) في الأصل (٨٧) وهو خطأ .

(٢) في ابن خلكان أبو محمد عبد الله وهو الصواب وعبد الله هذا ابن محمد أخي أبي العلاء توفي سنة ٤٦٥ وقد كان يتولى خدمة عمه بنفسه وله ترجمة واسعة في تاريخ المعرة اسليم الجندي .

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٣٣ .

(٤) لم نعثر فيما بين يدينا من المصادر على شيء من أخباره .

(٥) نقله عن التبريزي ، وأوضح مشكلاته وذكر اللغة العربية واقتصر في تفسير المعاني على ما لا بدّ منه . ثم تناوله ابو يعقوب يوسف بن طاهر النحوي فأصلحه وزاد فيه وسماه التنوير . ومن شروح هذا الديوان : ضرام السقط لمجد الدين أبي الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمي المشهور بصدر الأفاضل النحوي . طبع تبريز ١٢٧٦ . فهرست دار الكتب المصرية ج ٣ ص ٧٠ و ٢٦١ .

قال أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي[١]: لما حضرت أبا العلاء المعري قرأت عليه كتباً كثيرة من كتب اللغة وشيئاً من تصانيفه فرأيته يكره أن يقرأ عليه سقط الزند ويقول معتذراً من تأبّيه وامتناعه من سماعه: هذا الديوان مدحت فيه نفسي فأنا أكره سماعه. وكان يحثني على الاشتغال بغيره من كتبه كلزوم ما لا يلزم وهو كبير يقع في أربعة أجزاء، وجامع الأوزان[٢] والسجع السلطاني [٣] وغير ذلك.

وحكى أبو المعافى[٤] بن المهذب أن أبا العلاء المعري عمل ببغداد:

منك الصدود ومني بالصدود رضى ... من ذا عليَّ بهذا في هواك قضى[٥]
بي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت ... من الكآبة أو بالبرق ما ومضا
إذا الفتى ذمّ عيشاً في شبيبته ... فما يقول إذا عصر الشباب مضى؟

---

(١) هو أبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن الحسن بن بسطام الشيباني التبريزي المعروف بالخطيب ولد سنة ٤٢١ هـ وهو أحد أئمة اللغة قرأ على أبي العلاء المعري وسمع الحديث من أئمة الفقهاء وتخرج عليه خلق كثير ودرّس الادب بالمدرسة النظامية في بغداد له تصانيف أشهرها: شرح الحماسة، وشرح ديوان المتنبي، وشرح سقط الزند، وشرح القصائد العشر، وشرح المفضليات، وتهذيب غريب الحديث، وتهذيب إصلاح المنطق. وكان سبب توجهه إلى أبي العلاء أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبي منصور الازهري في عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها من رجل عالم باللغة فدل على المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة، ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل، وهي ببعض الوقوف ببغداد. وإذا رآها من لا يعرف صورة الحال فيها ظنّ أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب. وتوفي التبريزي سنة ٥٠٢ هـ ببغداد. (ابن خلكان ج٢ ص ٢٣٣، بغية الوعاة ص ٤١٣، نزهة الألبا ص ٣٤٣).

(٢) جامع الأوزان: كتاب فيه شعر منظوم على معنى اللغز يعم به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها ويذكر قوافي كل ضرب به تسعة آلاف بيت، ومقداره ستون كراسة في ثلاثة أجزاء.

(٣) السجع السلطاني: كتاب يشتمل على مخاطبات الجنود والوزراء والولاة وغيرهم عمله لبعض الكتاب القليلي الصناعة ليستعين به على الكتابة وهو في أربعة أجزاء.

(٤) في الأصل: أبو المعافا.

(٥) سقط الزند ص ٥٣، شرح التنوير ج١ ص ٢٠٢، ياقوت ج ٣ ص ١٣٨.

وقـد تعوضتُ عن كل بمشبهه   فمـا وجدت لأيام الصبا عوضا
وقد غرضتُ من الدنيا فهل زمني   معطٍ حياتي لغرٍّ بعدُما غرضا

غرضت : ضجرت . والغر : الذي لم يجرب الأمور . يتمنى إيثار حياته لمن لم يعلم من أحوال الدنيا ما علمه .

[ظ ٢]

جربت دهري وأهليه فما تركت   لي التجارب في ودّ امرئٍ غرضا
وليلةٍ سرت فيهـا وابنَ مزنتها   كميتٍ عاد حيًّا بعـدَما قُبضا

يعني بابن مزنتها القمر، جعل استتاره بالغيم موتاً له، وخروجه من تحته حياة له. أي رب ليل سرت والقمر كأنه ميت لخفائه تحت الغيم فعاد حياً بانجلائه عنه

كأنمـا هي إذ لاحت كواكبها   خودٌ من الزنج تُجلى وشحّت خضضا

الخضض خرز صغار بيض تلبسه العجائز والإماء . شبه الليلة لما بدت نجومها بامرأة زنجية تقلدت وشاحاً من هذا الخرز والوشاح ما يكون على خاصرتي المرأة .

كأنما النسر قد قصت قوادمه   فالضعف يكسر منه كلما نهضا

يصف الليل بالطول أي كأنه قطعت أجنحة نسر النجوم يعني النسر الطائر فليس يستطيع النهوض وكلما نهض أدركه الضعف فوقع .

والبدر يحتث نحو الغرب أينقه   فكلما خاف من شمس الضحى ركضا (١)
ومنهل ترد الجوزاء غمرته   إذا السّما كان نحو المغرب اعترضا (٢)

يقول : لصفاء هذا المنهل تبين النجوم فيه . وغمرته : مجتمع مائه

وردته ونجـوم الليل وانية   تشكو إلى الفجر أن لم تطعم الغمضا

أي وردت هذا المنهل عند الصباح ونجوم الليل ضعيفة معيية لأنها سرت طول الليل فهي تشكو إلى الفجر ضعفها وسهرها لأنها لم تذق النوم وضعفها خفاء توقدها بالفجر .

[و ٣]

وهي قصيدة حسنة ولما ظهرت عُني بها لحسنها ورقتها . وكان أبو العـلاء ذات ليلة في بيته فسمع في جواره غناء بها فلطم وبكى واستغفر الله من ذلك

---

(١) في الأصل : وكلما .
(٢) في سقط الزند : شطر المغرب .

وقال: والله لو علمت أنه يُغنى بشعري لما نطقت به . وأين هذا من قول أبي الطيب المتنبيء حيث يمدح شعره .

فسار به من لا يسير مشمراً وغنىّ به من لا يغنيّ مغرّدا (١)

وشرح ديوان أبي العلاء المسمى بسقط الزند البطليوسي (٢) والامام الواحدي (٣) وأبو زكريا التبريزي .

وشعر أبي العلاء كثير في كل فن ، وميلُ الناس على طبقاتهم من شاعر مفلق وكاتب بليغ إلى هذا الديوان أكثر ورغبتهم فيه أصدق وهو أشبه بشعر أهل زمانه مما سواه لأنه سلك فيه طريقة أبي تمام الطائي وأبي الطيب المتنبيء وهما هما في جزالة اللفظ وحسن المعنى . وأظهر المعجز في درعياته .

نقل عن ابن منقذ (٤) قال: كان بأنطاكية خزانة كتب وكان الخازن بها

---

(١) ديوان ابي الطيب ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) هو ابو محمد عبد الله بن محمد بن السيّد البطليوسي النحوي ولد سنة ٤٤٤ ه في مدينة بطليوس . كان عالماً بالأدب واللغات . سكن مدينة بلنسية ، كان الناس يجتمعون اليه ويقرؤون عليه ويقول ابن خلكان « أنه ألف كتباً نافعة وله شرح سقط الزند ، شرحه شرحاً استوفى فيه المقاصد وهو اجود من شرح ابي العلاء صاحب الديوان » . توفي في منتصف رجب سنه ٥٢١ في مدينة بلنسية (ابن خلكان ج ١ ص ٢٦٥) وعلى ذكر شرح البطليوسي لسقط الزند يقول زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٥٥ « لم نقف على شرحه لسقط الزند » ويقول المرحوم احمد تيمور باشا : « وشرح ابن السيّد البطليوسي عزيز الوجود ، وقعت لي منه أوراق من نسخة قديمة فاذا به شرح على ديوان ممزوج من سقط الزند واللزوميات . وقد انتقد ابو بكر بن العربي على مواضع منه فردّ عليه ابن السيّد في رسالة لطيفة وقفت عليها وهي عندي » . (ابو العلاء المعري ص ٦٨) أقول : ومن هذا الشرح نسخ متعددة ذكرها بروكلمان ج ٢ ص ٢٥٥ وذيله ج ١ ص ٤٥٢)

(٣) هو ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي بن متويه الواحدي كان استاذ عصره في النحو والتفسير توفي سنة ٤٦٨ ه بنيسابور . (ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٣ ، معجم الادباء ج ١٢ ص ٢٥٧ ، بغية الوعاة ص ٣٢٧) .

(٤) يشك الاستاذان طه حسين والراجكوتي في ان تكون هذه القصة صادرة عن الامير أسامة بن منقذ لأن أبا العلاء توفي سنة ٤٤٩ ه وأسامة ولد سنة ٤٨٨ ه ويقول الاستاذ الراجكوتي: « فلعل الحكاية عن بعض متقدمي بني منقذ قبل أن يملكوا شيزر بنحو نصف قرن او اكثر . (ابو العلاء وما اليه ص ٤٧) ويقول ابن العديم « وإن صحت هذه الحكاية فان منقذاً هذا والله أعلم هو ابو المتوج مقلد بن نصر بن منقذ وكان صاحب كفرطاب » . تاريخ الطاخ ج ٤ ص ١٦٣

رجلاً علوياً فجلست يوماً إليه فقال قد خبأت لك خبيئة غريبة ظريفة لم تسمع بمثلها في تاريخ ولا كتاب منسوخ قلت: وما هي ؟ قال : صبي دون البلوغ ضرير يتردد إليّ وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب وذاك أني أقرأ عليه الكراسة والكراستين مرة واحدة فلا يستعيد إلا ما يشك فيه ثم يتلو عليّ ما قد سمعه مني كأنه كان محفوظاً له . قلت : لعله يكون ذلك ؟ قال:سبحان الله! كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ولئن كان كذلك فهو أعظم (١) . [ظ ٣]

ثم حضر المشار إليه وهو صبي دمم الخلقة مجدّر الوجه على عينيه بياض من أثر الجدري كأنه ينظر بإحدى عينيه قليلاً وهو يتوقد ذكاءً يقوده رجل طويل من الرجال أحسبه يقرب من نسبه . فقال له الخازن : يا ولدي هذا السيد رجل كبير القدر وقد وصفتك عنده وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك فقال : سمعاً له وطاعة فليختر (٢) ما يريد . قال ابن منقذ : فاخترت شيئاً وقرأته على الصبي وهو يموج ويستزيد فاذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره يقول: أعد هذا ، فأردده عليه مرة واحدة حتى انتهيت إلى ما يزيد على كراسة ثم قلت له يقنع هذا من قبل نفسي . قال : أجل حرسك الله قلت كذا وتلا عليّ ما أمليته عليه وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً حتى انتهى إلى حيث وقفت عليه فكاد عقلي يذهب لما رأيت منه وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا أن يشاء الله تعالى وسألت عنه فقيل : هذا أبو العلاء المعري التنوخي من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى (٣) . [و ٤]

ذكر قوة حافظة المتنبي

وكذلك ما يحكى عن أبي الطيب المتنبي :

قال محمد بن يحيى العلوي: كان أبو الطيب المتنبي وهو صبي ملازماً للوراقين فكان علمه من دفاترهم . قال وأخبرني وراق قال: ما رأيت أحفظ من ابن عبدان قط يريد المتنبي، فقلت له كيف ذلك ؟ قال: كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً نحو ثلاثين ورقة يريد بيعه فأخذ ابن عبدان ينظر فيه طويلاً فقال له الرجل : يا هذا أريد بيعه وقد قطعتني عن ذلك فان كنت تريد حفظه فهذا إن

---

(١) الصبح المنبي ص ٣ .
(٢) في الأصل : فيختار .
(٣) في الأصل : والغناء .

شاء الله تعالى يكون بعد شهر . قال : فقال له ابن عبدان : فان كنت حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ قال: أهب لك الكتاب . قال : فأخذت الدفتر من يده وأقبل يتلوه حتى انتهى إلى آخره (١)

ذكر قوة حافظة أبي تمام الطائي

وكذلك ما حكاه أبو عبادة البحتري عن أبي تمام الطائي قال البحتري : أول ما رأيت أبا تمام الطائي أني دخلت على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بالقصيدة التي أولها :

أأفاق صبٌّ من هوى فأفيقا أم خان عهداً أو أطاع شفيقا (٢)

وهي أكثر من سبعين بيتاً فسرَّ بها أبو سعيد وقال : أحسنت والله يا فتى وكان في مجلسه رجل رفيع المجالس فوق كل من حضر في مجلسه تكاد تمس ركبتُه ركبتَه فأقبل عليَّ وقال : يا فتى أما تستحي هذا شعري تنتحله وتنشده بحضرتي؟ فقال أبو سعيد أحقاً تقول؟ قال نعم وإنما علقه مني فسبقني به إليك ثم اندفع فأنشد القصيدة حتى شككني علمَ الله في نفسي وبقيت متحيراً فأقبل عليَّ أبو سعيد وقال يا فتى لقد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا فجعلت أحلف بكل محرجة من الأيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد ولا سمعته ولا انتحلته فلم ينفع ذلك شيئاً وأطرق أبو سعيد وقطع الكلام حتى تمنيت أني سخت في الأرض فقمت منكسر البال أجرُّ رجلي فخرجت فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان إليَّ فردوني فأقبل عليَّ الرجل وقال : الشعر لك يابنيَّ والله ما قلته قط ولا سمعت به إلامنك ولكن ظننت أنك تهاونت بموضعي فأقدمت على الانشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرَّفني الأمير نسبك وموضعك . ولوددت ألاّ تلد طائية إلا مثلك . وجعل أبو سعيد يضحك فدعاني أبو تمام فضمني إليه وعانقني وأقبل يقرظني ولزمته بعد ذلك وأخذت عنه واقتديت به .

ذكر ماجرى بين الطائيين

وكذلك ما حكاه أبو العباس المبرِّد في كامله عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما حيث قال : ويروى أن ابن الأزرق (٣) أتى ابن عباس يوماً فجعل يسأله [ظ ٤]

(١) راجع تاريخ بغداد ج ٦ ص ١٠٣ .

(٢) راجع القصيدة في الديوان ج ٢ ص ٧٢٢ .

(٣) ابن الأزرق : هو نافع بن الأزرق الحنفي المكي الخارجي ، زعيم فرقة الخوارج الملقب بأمير المؤمنين . كان من أعلم الناس بفقه الخوارج ، وقد جرت لهم حروب دامية مع قائد الامويين المهلب بن أبي صفرة قتل في احدى الواقع سنة ٦٦هـ . الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٦٢ .

[و ٦]

حتى أمله فجعل ابن عباس يظهر الضجر وطلع عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة على ابن عباس وهو يومئذ غلام فسلم وجلس فقال له ابن عباس ألا تنشدنا شيئاً من شعرك . فقال :

أمن آل نعمٍ أنتَ غادٍ فمبكرُ غـداة غدٍ أم رائحٌ فمهجّر(١)
بحاجة نفسٍ لم تقل في جوابها فتبلغ عذراً والمقـالة تعذر(٢)
تهيم إلى نعمٍ فلا الشمل جامع ولاالحبل موصول ولا أنت مقصر(٣)
ولا قرب نعمٍ إن دنت لك نافع ولا نأيها يُسلي ولا أنت تصبر(٤)
وأخرى أتت من دون نعمٍ ومثلها نهى ذو النهى لو يرعوي أو يفكر
إذا زرتُ نعماً لم يزل ذو قرابة لهـا كلمـا لاقيته يتنمر(٥)
عزيز عليه أن أمرّ ببابهـا يسرّ لي الشحناء والبغضَ يُظهر(٦)
ألكني إليهـا بالسلام فانه يشهَّر إلمامي بها وينكّر
بآية مـا قالت غداة أجبهـا بمدفع أكنان « أهذا المشهَّر ؟ »(٧)
قفي فانظري يا أسم هل تعرفينه ؟ أهذا المغيريّ الذي كان يُذكر ؟(٨)
أهذا الذي أطريتِ نعتاً فلم أكن وعيشك أنساه إلى يوم أقبر(٩)
فقالت نعم لا شك غير لونه سُرى الليل يحيي نصه ، والتهجّر(١٠)

---

(١) راجع القصيدة في الديوان ص ٢ وفي الأغاني ج ١ ص ٧٩

(٢) في الديوان وفي الأغاني . لحاجة . أي هي في غاية من السر لا يجاب عليها إذا سئل عنها . والاعذار نفي العذر .

(٣) في الديوان : أهيم .

(٤) الديوان . ولا القلب مقصر .

(٥) في الأصل : يتنهر

(٦) الديوان : أن ألمّ ببيتها . . ظهر

(٧) الديوان لقيتها .

(٨) الديوان قفي فانظري أسماء هل تعرفينه . وجاء هذا الشطر في الأغاني :[أشارت بمدراها وقالت لأختها] . والمدراة : حديدة يحك بها الرأس

(٩) الديوان رعينك .

(١٠) في الاغاني :يطوي نصه . ونصّ السرى : إسراعه،وأصله حثّ الدابة واستخراج أقصى ما عندها من السير .

لئن كان إياه لقد حال بعدنا   عن العهد والإنسانُ قد يتغيّر
رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت   فيضحى وأما بالعشي فَيَخْصر

حتى أتمها وهي ثمانون بيتاً فقال له ابن الأزرق : لله أنت يا بن عباس أنضرب إليك أكباد الابل نسألك عن الدين فتعرض، ويأتيك غلام من قريش فينشدك سفهاً فتسمعه فقال تالله ما سمعت سفهاً فقال ابن الأزرق :

[ظ ٦]

ذكر ما جرى بين ابن عباس وابن الازرق

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت   فيخزى وأما بالعشي فيخسر

فقال ما هكذا قال وانما قال فيضحى وأما بالعشي فيخصر

قال أو تحفظ الذي قال ؟ قال : والله ما سمعتها إلا ساعتي هذه ولو شئت أن أرددها لرددتها قال فرددها فأنشده إياها كلها (١)

وكان ابو العلاء المعري يجري رزقاً على جماعة يقرؤن عليه . ويترددون إليه ولم يقبل لأحد هدية ولا صلة . وكان له أربعة (٢) رجال يكتبون عنه

(١) راجع هذه القصة في الأغاني ج ١ ص : ٧٢

(٢) وكان يكتب له : ابن أخيه ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سليمان ، وكان ملازماً لخدمته براً بعمه مشفقاً عليه وكتب تصانيفه بخطه وتولى قضاء المعرة . وابن أخيه ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الله وقد تولى قضاء المعرة أيضاً ونسخ بخطه جميع أمالي عمه وسمع منه . ومن كتابه أيضاً جعفر بن صالح بن جعفر بن سليمان بن داودُ بن المطهر ويجتمع نسبه مع أبي العلاء في سليمان بن داود وكان من أعيان كتابه وكتب الكثير عنه وقرأ عليه كثيراً من كتب الأدب وروى عنه وخطه على غاية من الصحة والضبط . ومن كتابه أيضاً أبو الحسن علي بن عبيد الله بن أبي هاشم المعري وكان يتولى أوقاف الجامع بمعرة النعمان، وكان من العدول الأمناء الفضلاء ، ولزم الشيخ أبا العلاء وكتب كتبه بأسرها ، كتب من المصنف الواحد عدة نسخ وكان خطه موثقاً حسن الضبط والاتقان . ويقول عنه ابو العلاء في أحد فصوله معترفاً بجميل صنعه : « أحسن الله معونته ، فألزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء ، لأنه أفنى فيّ زمنه ولم يأخذ مما صنع ثمنه ، ثم والله يحسن له الجزاء ويكفيه حوادث الزمن والأرزاء » . ومن كتابه أيضاً ولد المتقدم ذكره أبو الفتح محمد بن علي بن عبد الله ابن أبي هاشم، كتب له أيضاً من تصنيفه ووضع له الشيخ أبو العلاء كتاباً لقبه « المختصر الفتحي » وكتاباً يعرف بعون الجمل في شرح شيء من كتاب الجمل . وكان أبو الفتح هذا فاضلاً . ومن كتابه جماعة من بني أبي هاشم لم تعرف أسماؤهم . وقال ابن العديم : انه وقف على رسالة لأبي العلاء تعرف برسالة الضبعين كتبها إلى معز الدولة ثمال بن صالح يشكو إليه رجلين أحدهما الشريف بن المحبرة الحلبي كانا يؤلبان عليه وينسبانه إلى الكفر والالحاد وقد حرفا—

ما يرتجله ويروى عن أحدهم أنه قال لا أعلم أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها الشيخ أبو العلاء . ولقد كان قوم من الذين يقرؤن عليه وضعوا حروفاً وألفوا كلمات وأضافوا إليها من غريب اللغة ووحشيها كلمات أخر وسألوه عن الجميع على سبيل الامتحان فكان كلما وصلوا الى كلمة مما ألفوه ينزعج منها وينكرها ويستعيدها مراراً ثم يقول دعوا هذه والألفاظ اللغوية يشرحها ويستشهد عليها حتى انتهت تلك الكلمات فأطرق ساعة مفكراً ، ثم رفع رأسه وقال : كأني بكم وقدوضعتم هذه الكلمات لتمتحنوا بها معرفتي وثقتي في روايتي . والله لئن لم تكشفوا لي الحال وتدعوا المحال وإلا فهذا فراق بيني وبينكم فقالوا : والله الأمر كما قلت وما عدوتَ ما قصدناه فقال : سبحان الله والله ما أقول إلا ما قالته العرب وما أظن أنها نطقت بشيء ولم أعرفه

[و ٧]

ذكر حفظ أبي العلاء للغة

ومن هذا القبيل ما ينقل عن أبي عبد الله محمد بن أبي الحسن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي البخاري الحافظ الامام في علم الحديث صاحب الجامع الصحيح رضي الله تعالى عنه « وكان رحل في طلب الحديث إلى أكثر محدثي الأمصار بخراسان والجبال ومدن العراق والحجاز والشام ومصر وقدم بغداد واجتمع إليه أهلها واعترفوا بفضله وشهدوا بتفرده في علم الرواية والدراية . »

وحكى أبو عبد الله الحميدي (١) في كتاب حذوة المقتبس أن البخاري لما

— بيتاً من لزوم ما لا يلزم عن موضعه ليثبتا عليه الكفر بذلك قال فيها : «وفي حلب حماها الله نسخ من هذا الكتاب بخطوط قوم ثقات يعرفون ببني أبي هاشم أحرار نسكة أيديهم بحبل الورع متمسكة جرت عادتهم أن ينسخوا ما أمليه ، وان أحضرت ظهرت الحجة بما قلت فيه . »ومن كتابه ابراهيم الخطيب ، وهو كاتب حسن صحيح الخط متقن في الضبط ، كتب معظم كتبه وتصانيفه بخطه ، وكتب عنه في السماع عليه والاجازة منه وقرأ عليه راجع : ابن العديم ج ٤ ص ١١١ وابو العلاء وما اليه : ص ٢٠٩

(١)هو ابو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله حميد بن يصل الأزدي الحميدي الاندلسي الميورقي الحافظ المشهور . أصله من قرطبة رحل إلى المشرق سنة ٤٤٨ ه وحج فسمع بمكة وبافريقية وبالاندلس ومصر والشام والعراق واستوطن بغداد وكان موصوفاً بالنباهة والمعرفة والاتقان والدين والورع وكانت له نغمة حسنة في قراءة الحديث له كتاب الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم وله أيضاً تاريخ علماء الاندلس سماه : جذوة المقتبس في مجلد واحد . توفي ببغداد سنة ٤٨٨ه . راجع : بن خلكان ج ١ ص ٤٨٥ السمعاني : كتاب الأنساب ص ٤٥٥

[ظ ٧] قدم بغداد سمع به أصحاب الحديث فاجتمعوا وعدو عليه (١) مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لآخر ودفعوا إلى عشرة أنفس إلى كل رجل عشرة أحاديث وأمروهم اذا حضروا المجلس يلقون ذلك على البخاري وأحذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من أصحاب الحديث من أهل خراسان وغيرها ومن البغداديين. فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب اليه واحد من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث فقال البخاري: لا أعرفه فسأله عن آخر فقال: لا أعرفه فما زال يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه فكان الفقهاء ممن حضر المجلس يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون: الرجل فهم ومن كان منهم ضد ذلك نقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم! ثم انتدب رجل من العشرة فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقال البخاري: لا أعرفه فلم يزل يلقي عليه واحداً بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول: لا أعرفه ثم انتدب الثالث والرابع إلى تمام العشرة حتى فرغوا من تلك الأحاديث المقلوبة والبخاري يقول: لا أعرفه فلما علم البخاري أنهم فرغوا التفت إلى الأول منهم فقال: أما حديثك الأول فهو كذا وحديثك الثاني فهو كذا والثالث والرابع على الولاء حتى أتى على تمام العشرة فرد كل متن إلى اسناده وكل إسناد إلى متنه وفعل بالآخرين مثل ذلك وردّ متون الأحاديث كلها إلى أسانيدها وأسانيدها إلى متونها فأقر الناس له بالحفظ وأذعنوا له بالفضل(٢)

ذكر حفظ البخاري للحديث

[و ٨] ومن غريب ما يحكى عن أبي العلاء المعري أنه لما سافر إلى بغداد وأقام بها المدة التي أقامها اجتاز في طريقه وهو متوجه إليها بشجرة وكان راكباً على جمل فقيل له طأطئ رأسك لئلا تلحقك الشجرة ففعل ذلك فلما عاد من بغداد ووصل إلى ذلك الموضع وكانت الشجرة قد قطعت طأطأ رأسه فقيل له في ذلك فقال: ههنا شجرة فقيل له ما ههنا شجرة، فقال بلى فحفروا في ذلك الموضع فوجدوا أصلها.

وأخبر بعض أهل المعرة قال: كان أبو العلاء يشرب الماء من بئر في المعرة يقال له بئر القراميد وكان يستطيب ماءه فلما رحل إلى بغداد سيرت له والدته

(١) رواية ابن خلكان: وعمدوا إلى ...

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٤٥٦

شيئاً من ماء بئر القراميد فلما وصل الماء لم يعلموه به وسقوه منه فلما شربه قال: لا إله إلا الله ما أشبه هذا الماء بماء بئر القراميد. وقيل بل قال : هذا ماؤها فأين هواؤها

وفضل أبو العلاء ماء المعرة على ماء دجلة في القصيدة التي سنوردها إن شاء الله تعالى بقوله فيها :

وماء بلادي كان أنجع مشرباً   ولو أنّ ماء الكرخ صهباء جريال (١)

ويحكى أن أبا العلاء دخل يوماً على عمه القاضي أبي محمد التنوخي فلما رآه من بعيد يقصده قال لجاريته قومي إلى سيدك وخذي بيده فقامت،وأخذت بيده ومكث ساعة فلما قام أشار إليها عمه فأخذت بيده لتوصله إلى حجرته فلما أخذ يدها التفت إلى عمه وقال:دخلت وهذه الجارية بكر والآن فهي ثيب.فقال ومن أين تعلم أبوحي إليك ؟ كأنه ينكر عليه ذلك فقال حاشا وكلا قد انقطع الوحي بعد نبينا محمد المصطفى صلى الله‌عليه‌وسلم ولكنني لما دخلت مسست يدها وأعصاب الزند كالأوتار المشدودة فعلمت أنها بكر والآن فقد ارتخت فعلمت أن البكارة زالت فبحث القاضي أبو محمد عن ذلك وإذ ابن له قد دخل بها في تلك الساعة . [ظ ٨]

ذكر أياس الذكي

وكذلك ما يحكى عن إياس بن معاوية بن قرة ابن إياس بن هلال بن رباب المزني (٢) اللسن البليغ والألمعي المصيب والمعدود مثلاً في الذكاء والفطنة ورأساً لأهل الفصاحة وبه تضرب الأمثال أنه كان في موضع فحدث فيه ما أوجب الخوف وهناك ثلاث نسوة لا يعرفهنّ فقال ينبغي أن تكون هذه حاملاً وهذه مرضعاً وهذه عذراء فكشف عن ذلك فكان كما تفرّس فقيل له من أين لك هذا ؟ فقال عند الخوف لايضع الانسان يده الا على أعز ماله ومايخاف عليه ورأيت الحامل قد وضعت يدها على جوفها فاستدللت بذلك على حملها والمرضع وضعت يدها على ثديها فعلمت أنها مرضع والعذراء وضعت يدها على فرجها فعلمت أنها بكر . [و ٩]

---

(١) راجع شرح التنوير ج ٢ ص ٧٣ .

(٢) هو أبو واثلة إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال بن رباب بن عبيد بن سواءة بن سارية بن ذبيان بن ثعلبة بن سليم بن أوس بن مزينة المزني القاضي المشهور بفرط الذكاء توفي سنة ١٢٢ هـ راجع ابن خلكان ج ١ ص ٨١ .

وأخبر بعض طلبة أبي العلاء المعري قال كان لأبي العلاء جار أعجمي فاتفق انه غاب عن المعرة فحضر رجل أعجمي يطلبه قد قدم من بلده فوجده غائباً فلم يمكنه المقام فأشار اليه أبو العلاء أن يذكر حاجته فجعل ذلك الرجل يتكلم بالفارسية وأبو العلاء يصغي اليه إلى أن فرغ من كلامه ولم يكن أبوالعلاء يعرف اللغة الفارسية ومضى الرجل وقدم جار أبي العلاء الغائب وحضر عند أبي العلاء فذكر له حال الرجل وجعل يذكر له مقاله بالفارسية والرجل يبكي ويستغيث ويلطم الى ان فرغ من حديثه ،وسئل عن حاله،فأخبرأنه أخبر بموت أبيه وإخوته وجماعة من أهله

وذكر تلميذه أبو زكرياء التبريزي أنه كان قاعداً بمجلسه في معرة النعمان يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه قال: وكنت قد أقمت عدة سنين ولم أر أحداً من أهل بلدي فدخل(١) المسجد بعض جيراننا للصلاة فرأيته وعرفته وتغيرت من الفرح فقال لي أبو العلاء أي شيء أصابك؟ فحكيتُ له أني رأيت جاراً لي بعدأن لم ألق أحداً من أهل بلدي عدة سنين فقال:قم فكلمه فقلتُ:حتى أتمم السبق قال قم وأنا أنتظرك فقمت وكلمته بلسان الأذربية شيئاً كثيراً الى أن سألت عن كل ما بدا لي فلما رجعت ووقفت بين يديه قال لي:أي لسان هذا قلت:لسان أذربيجان فقال لي ما عرفت اللسان ولا فهمته غير أني حفظت ما قلتما . ثم أعاد عليّ اللفظ بعينه من غير أن ينقص منه أو يزيد عليه ، وهذا من أعجب العجائب لانه حفظ مالم يفهمه .

[ظ ٩]

وأخبر عنه بعض أصحابه قال: كان لأبي العلاء جار سمان وكان بينه وبين رجل من أهل المعرة معاملة فجاءه ذلك الرجل وحاسبه برقاع يستدعي فيها ما يأخذه منه عند حاجته إليه وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتها قال فسمع أبوالعلاء السمان المذكور بعد مدة يتأوه ويتململ فسأله عن حاله فقال : كنت حاسبت فلاناً برقاع كانت له عندي وقد عدُمتها ولا يحضرني حسابه فقال أبو العلاء ما عليك من بأس ، أنا أملي عليك حسابه وجعل يملي عليه رقعة

---

(١)يذكر أبن العديم ج ٤ ص ١٣٣ (أقمت عنده سنتين) بزيادة : مغافصة : في ابن العديم ص : ١٣٣ وغافصه : فاجأه وأخذه على غرة (القاموس)

رقعة والسمان يكتب حتى فرغ وقام فما مضت إلا أيام يسيرة ووجد السمان الرقاع [و١٠]
فقابل بها ما أملاه عليه أبو العلاء فطابق املاؤه الرقاع

ونادرة في سرعة حفظ بديع الزمان الهمداني، فانه كان ينشد القصيدة التي لم يسمعها قط فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يخرم حرفاً وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق من كتاب لا يعرفه ثم يهدها عن ظهر قلبه هداً ويسردها سرداً

ذكر بغداد ودخول أبي العلاء إليها

ودخل أبو العلاء المعري بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة وكانت إذ ذاك كما قال الزجاج : بغداد حاضرة الدنيا وما عداها بادية .

وكان أبو الفضل بن العميد إذا امتحن رجلاً من أهل العلم سأله عن بغداد فان وجده متنبهاً على خصائصها عرف فضله .

وعن الجاحظ ، فان رآه منتسباً إلى مطالعة كتبه رجح في عينه وإلاّ لم يعبأ به .

وسأل الصاحب بن عباد عنها فقال: بغداد في البلاد كسيدنا في العباد

وكان يقال لأهلها ملائكة الأرض للطافة أخلاقهم وخفة أرواحهم

وقال ابن زريق الكاتب :

سافرت أبغي لبغداد وساكنها مثلاً وذلك شيء دونه اليأس
هيهات بغداد الدنيا بأجمعها عندي وسكان بغداد هم الناس

وفي بغداد لغات بغداد بدال مهملة وبذال معجمة أخيرة وبغداد بدالين مهملتين وبغذاذ بذالين معجمتين وبغدان بنون عوض الدال الأخيرة ومن اسمائها [ظ١٠]
دار السلام للسلام فيها على الخلفاء ودار الاسلام وتسمى الزوراء لانحراف قبلتها(١)

وأحدثها المنصور العباسي الدوانيقي وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة وفرغ منها في تسع سنين . وهذه بغداد القديمة التي بالجانب الغربي بين الفرات ودجلة .

وكان بها ثلاثون الف مسجد وخمسة آلاف حمام .(٢)

---

(١) راجع : تاريخ بغداد ج ١ ص ٥٨ وما بعدها .

(٢) كتب على الهامش في الأصل: (ذكر أهل التاريخ أن السور الذي أداره المنصور على بغداد العتيقة كان مربعاً تام التربيع كل ضلع منه ميل والميل أربعة آلاف ذراع فمسافته تكون ميلاً في ميل كيف يسع ثلاثين الف مسجد !) .

وأما بغداد الجديدة فانها في الجانب الشرقي وبها دور الخلفاء . وكانت بغداد عبارة عن سبع محال: [١] الرصافة وهي التي بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بغداد بالرعية والجند وكانت مسوّرة . [٢] مشهد أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه وكانت مسوّرة . [٣] جامع السلطان غير مسوّرة [٤] مدينة المنصور المتقدمة وتسمى باب البصرة وكانت مسورة [٥] مشهد موسى بن جعفر وكانت مسورة [٦] الكرخ وكانت مسورة [٧] دار القزّ وكانت مسوّرة .

ولما دخلها أبو العلاء المعري تسامعت به أماثلها وأقبلت عليه أفاضلها ونظم بها قصائد لا يخلق جدتها مرور الدهور ولا يذهب بهجتها تكرار العصور منها القصيدة التي رثى بها الشريف أبا أحمد ابن الموسوي الملقب بالطاهر وعزّى ولديه الرضي والمرتضى أبا القاسم وهي :

[و١١]

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف (١)

جعل كفاف اسماً لكف الأذى أي ليت الحادثات تكف والمسيف الذي ذهب ماله والاستياف الشم يعني كان المرثي مال من ذهب ماله فلما هلك كان كأنه هلك مالُ المسيف وجعل المرثي عنبرَ المستاف أي أنه نفاح بمنزلة العنبر والتقدير أودى مال المسيف وعنبر المستاف فليت الحادثات كفاف والجملة الانشائية معترضة بين الفعل وفاعله .

الطاهر الآباء والأبناء والا آداب والأثواب والألّاف (٢)

رغت الرعود وتلك هدة واجبٍ جبلٍ هوى من آل عبد مناف

الرغاء صوت الإبل عند المكروه ادّعى أن رغاء الرعود لم يكن رعداً بل حس جبل انهد من بني عبد مناف والواجب الهالك وجبل إما خبر مبتدأ محذوف أو بدل من واجب شبه المرثي في عظمه بالجبل وجعل هلاكه اندكاكاً ورغاء الرعود صوت ذلك الاندكاك .

---

(١) راجع القصيدة في سقط الزند ص ١٠٥ وشرح التنوير ج ٢ ص ٧٥

(٢) ورد هذا البيت في سقط الزند :

الطاهر الآباء والأبناء والا أثواب والآراء والألاف

وفي شرح التنوير

الطاهر الآباء والأبناء والا أثواب والآراب والألاف

بخلتْ فلما كان ليلةُ فقدهِ سمحَ الغمامُ بدمعهِ الذرّافِ
ويقال إن البحر غاض وإنها ستعودُ سِيفاً لُجةُ الرّجاف

السيف شاطيء البحر واللجة معظم مائه والرّجاف من نعوته وانها ضمير الشأن ويجوز تأنيثه بإرادة الخطة أي لعظم هذه الحادثة استشعر الناس أنه غاض البحر وان لجته ستعود سيفاً لشاطيء البحر . [ظ١١]

ويحق في رزء الحسين تغير الـ حرسين بَلْهَ الدرّ في الأصداف (١)

الحرسان الليل والنهار وبله بمعنى دع . أي مصاب المرثي أثر في الزمان فلا تعجب من تأثير الدر وانما خصه بالذكر لأن معدنه البحر وادعى أنه غاض بموته واذا غاض انقطع مادة الدر فيتغير لا محالة

ذهب الذي غدت الذوابلُ بعده رُعشَ المتون كليلةَ الأطراف
وتعطفت لِعْبَ الصّلال من الأسى فالزُجُّ عندَ اللهذَمِ الرّعافِ

الصلال جمع الصل وهي الحية واللهذم السنان أي تعطفت الذوابل من الحزن كما تتعطف الحيات وتتلوى اذا لعبت حتى تجمع رؤوسها إلى أذنابها أي صارت تتأود من الحزن حتى يجتمع أسنتها وزجاجها ولعب منصوب على المصدر أي تعطفت الذوابل تعطف الصلال اذا لعبت .

وتيقنت أبطالها مما رأت ألا تُقَوّمَهَا بِغَمْرِ ثِقافِ

أي لما تعوجت الذوابل حزناً تيقنت الأبطال الحاملون لها اليأس من تقويمها بمعالجة التثقيف لحزنها .

شَغل الفوارس بثُّها وسيوفُها تحت القوائم جمةُ التّرجاف

الترجاف الرعدة أي شغل الفوارس بثهم وحزنهم عن تثقيف رماحهم في حاله صارت السيوف ترعد لما هالها من رزء المرثي أي نزل بالفوارس ما شغلهم عن تثقيف الرماح والواو في وسيوفها واو الحال. [و ١٢]

ولو انهم نَكبوا الغمودَ لهالهم كَمَدُ الظُّبى وتفلُّلُ الأسياف

أي لو قلب الفوارس غمود سيوفهم لأفزعهم تغير ألوانها وتكسر مضاربها . ومنها

هلاّ استعاض من السرير جوادَه وثّابَ كلِ قرارةٍ ونياف

النياف ما طال من الجبل ومنه النيف وهو الزيادة على الشيء أي لم يستبدل

(١) في الأصل الجرسين .

من نعشه فرسه الجوادَ الذي تجاوز كل سهل وجبل وثباً أي سواء عنده .

هيهات صادفَ للمنايا عسكراً لا ينثني بالكرِّ والايجاف (١)
هلا دفنتم سيفه في قبره معه فذاك له خليلٌ واف
إن زاره الموتى كساهم في البِلى أكفانَ أبلجَ مُكرم الأضياف
والله إنْ يخلع عليهم حلةً يبعث إليه بمثلها أضعاف
نُبذت مفاتيحُ الجنان وإنما رِضوانُ بين يديه للإتحاف
يا لابس الدرع الذي هو تحتها بحرٌ تلفَّع في غدير صاف

الدرع تشبه بغدير الماء جعل المرثي بحراً لجوده وجعله لابساً للدرع التي كالغدير فهو اذن بحر قد لبس غديراً

ومنها :

[ظ١٢]

تكبيرتانِ حيالَ قبرك للفتى محسوبتانِ بعُمرة وطواف
لو تقدر الخيل التي زايلتها أنْحَتْ بأيديها على الأعراف

أي لو قدرت خيلك التي فارقتها أن تضع أيديها على موضع الأعراف اظهاراً للجزع لفعلت،أو لو أمكنها أن تجز أعرافها بأيديها لأنحت بأيديها على الأعراف لتزيلها جزعاً

فارقتَ دهرك ساخطاً أفعالَهُ وهو الجديرُ بقلة الانصاف
ولقيت ربك فاستردَّ لك الهدى ما نالتِ الأيام بالإتلاف

أي لقيت الله تعالى بعد أن فارقتَ الدنيا فاسترجع تقواك وهديك الصالح ما أخذته الأيام منك وأتلفته يعني لما نالت الايام من حياتك وشبابك ردَّ حسنُ شيمتك في الآخرة حياةً هي أعلى من الحياة الفانية وأحياك في جوار الله حياةً طيبة قال الله تعالى: « فلنحيينه حياة طيبة(٢)» وعد على الهدى طيب الحياة في العقبى.

وسقاك أمواه الحياة مخلَّداً وكساك شرخ شبابك الأفواف
أبقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
متأنقين وفي المكارم أرتعا متألقين بسؤددٍ وعفاف

تأنق الرجل في الرياض إذا وقع فيها متعجباً بها، ووشي أنيق أي حسن معجب أي انهما متأنقان في رياض المكارم يستحسنانها ويعجبان بأنيق منظرها قد أرتعا

(١) في سقط الزند وشرح التنوير : هيهات صادم (٢) سورة النحل .

أنفسها في رياضها وحذف مفعول ارتعا وهو يريده أي أرتعا أنفسهما فيها وسرحا أثناءها طرف طرفهما ، والمتألق المضيء

[و ١٣]

قدَرين في الارداء بل مطرين في الـ إحداء بل قمرين في الإسداف
رُزِقا العلاء فأهل نجد كلما نطقا الفصاحة مثل، أهل دياف

دياف موضع فيه نبط لا فصاحة لهم أي خصا بالفصاحة حتى أنهما متى نطقا كان أهل نجد عندهم عياً وركاكة منطق مثل النبط .

ساوى الرضيُّ المرتضى وتقاسما خطط العلى بتناصف وتصاف
حلفا ندىً سبقا وصلى الاطهر الـ مرضي فيا لثلثةٍ أحلاف
أنتم ذوو النسب القصير فطولكم بادٍ على الكبراء والأشراف (١)
والراح ان قيل ابنة الكرام اكتفت بأبٍ من الأسماء والأوصاف (٢)
ما زاغ بيتكم الرفيع وإنما بالوحد أدركه خفي زحاف
والشمس دائمة البقاء وإن تُنل بالشكو فهي سريعة الإخطاف

أحطف المريض إذا نجا من مرضه شبه شرف بيتهم بشرف الشمس فانه دائم وإن ناله بعض الوهن .

ويُخال موسى جدكم لجلاله في النفس صاحب سورة الأعراف
الموقدي نارَ القِرى الآصالَ والـ أسحار بالأهضام والأشعاف

أي أنهم يوقدون النار لقرى الأضياف أول النهار وآخره في الأماكن المنخفضة والمرتفعة .

حمراءَ ساطعة الذوائب في الدجى ترمي بكل شرارة كطراف

الطِراف قبة من أدُم يصف عظم النار وسطوع لهيبها .

[ظ ١٣]

نار لهم ضَرَميَّةٌ كرَميَّةٌ تأريبها إرثٌ عن الأسلاف (٣)

أرّث النار تأريثاً أوقدها أي هذه النار وإن كانت ضرمية موقدة بالضرم إلا أنها كرمية اقتضى الكرم ايقادها فنسبت اليه وقد توارثوا تأريثها عن الأسلاف الكرام .

تسقيك والأريَ الضريب ولو عدت نَهي الإله لثلثت بسلاف (٤)

---

(١) في الأصل ذوا : وهو تحريف .
(٢) في الديوان ابنة العنب . وعن الاسماء .
(٣) في الديوان : نار لها .
(٤) الضريب : اللبن . الأري : العسل . السلاف : الخمرة الصافية .

أي تسقيك الضريب والأري ولو جاوزت نهي الله لثلثت بالسلاف

يُعشي الطريدُ أمامها وكأنه أسد الشرى أو طائرٌ بشِراف

الشراف جبل منيع والشرى مأسدة أي أن الخائف إذا آوى إلى هذه النار صار منيعاً عزيزاً .

وإذا تضيفتِ النّعام ضياءَها حُمل الهبيدُ لها مع الألطاف

الهَبيدُ حب الحنظل يعالج حتى تذهب مرارته فيؤكل أي إذا أتت النعام ضوء هذه النار ضيفاً اكرمت بالالطاف وحمل إليها الهبيد الذي اعتادت أكله .

مُفتنّةٌ في ظلها وحَرورِها تغنيك في المشتى وفي المُصطاف

زهراء تحلم في العواصف جمرها وتقِرُّ إلا هزّةَ الأعطاف

يصف عظم النار وأن جمرها لا تستخفه الرياح الشديدة الهبوب وتقر أي مستقرة إلا ما يهتز من جوانب لهيبها

سطعت فما يسطيعُ إطفاءً لها زُحَلٌ ونور الحق ليس بطاف

سطعت ارتفعت أي عظمت هذه النار فلم يقدر زحل على اطفائها وخصه لأنه بارد يابس .

[و١٤٠]

تصلُ الوقودَ ولاخمود ولوجرى باليمّ صوْبُ الوابل الغرّاف

الغراف من صفة المطر أي هذه النار دائمة الايقاد لا تخمد وإن جرى عليها وابل المطر بمثل البحر .

شُبت بعاليةِ العراق ونورها يغشى منازلَ نائلٍ وإساف

نائل وإساف صنمان كانا في الكعبة قبل الاسلام أي شبت هذه النار بالعراق ووصل نورها إلى الحجاز

وقدورهم مثل الهضاب رواكداً وجفانهم كرحيبة الأفياف

الأفياف جمع فيف وهو لغة في الفيفاء وهي البرية الواسعة أي قدورهم المنصوبة لقرى الأضياف كبار مثل الجبال المنبسطة على الأرض ، ورواكداً حال أي ثوابتاً لا تنقل ولا تحرك من مواضعها ، وجفانهم كبار مثل البراري لكثرة الضيفان .

من كل جائشة العشي مضيئةٍ بالمَيْرِ خيرَ مرافدٍ وصحاف

مارَ أهله حمل لهم الميرة وهي الطعام والمرفد إناء يحلب فيه ، وفاء رجع

أي من كل قدر تفيء بالطعام عند العشي في كبار الأواني والقصاع . [ظ١٤]

دهماءَ راكبةٍ ثلاثة أجبلٍ عظماً وإن حسبت ثلاثَ أثاف(١)

ياما لكيْ سرْحَ القريض أتتكما مني حمولةُ مسنتين عجاف

المسنت الذي أصابته السنة أي الجدب والعجاف المهازيل استعار للشعر سرحاً وهو الابل العظيمة السارحة وجعل مالك السرح ابني المرثي .

لاتعرف الورَقَ اللآَّجين وإن تُسل تخبر عن القُلاَّمِ والخذْراف

القلاّم والخذراف ضربان من الحمص من نبات البادية واللاجين الورق المدقوق المخلوط بالنوى المرضوض وهو من علف أهل الأمصار أي هذه القصيدة عريقة في العربية نشأت في البادية ولما استعار السرح للقريض ادعى للقصيدة المعرفة برعي البادية .

وأنا الذي أهدي أقلَّ بهارةٍ حُسناً لأحسن روضةٍ مئناف

مئناف من قولهم روضة أنف أي إنشادي هذه القصيدة لمعدن الفضل كمن أهدى زهرة إلى روضة مؤنقة

أوضعتُ في طرق التشرف سامياً بكما ولم أسلك طريق العافي

أي أسرعت في سبيل الفوز بالشرف سامياً إلى يفاعه متوسلاً إليه بكما . أي انما رمت بهذا التشرف والسمو إلى مراتب المجد بشرفكما ولم أقصد نيل معروف.

ذكر الرضي الموسوي ووالده [و١٥]

وكانت وفاة الشريف الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين المرثي بهذه القصيدة سنة (٤٠٣)(٢) وكان قد بلغ من العمر (٦٦) سنة . وكان يتولى نقابة نقباء الطالبيين أجمعين والنظر في المظالم والحج . ثم ردت إلى ولده الشريف الرضي أبي الحسن محمد بن الطاهر ذي المناقب أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنهم الموسوي صاحب الديوان المشهور وابوه حي وتوفي بعد أبيه بثلاثة أعوام وقد بلغ من العمر خمسة وأربعين عاماً .

---

(١) في الأصل اساف وهو تحريف

(٢) يشكل على هذا ان جهور المؤرخين ذكروا ان ابا العلاء دخل بغداد سنة ٣٩٨ وأقام بها سنة وبضعة أشهر فالصواب اذاً ما ذكره ابن الوردي في تاريخه أن الشريف ابا أحمد توفي سنة ٤٠٠

ذكر المرتضى الموسوي

وتولى بعد وفاته ما كان بيده من الأعمال أخوه الشريف المرتضى علي بن الطاهر الموسوي وتوفي سنة ست وثلاثين وأربعمائةوقد بلغ من العمر ثمانين عاماً ذكره ابن بسام في الذخيرة فقال : « امام أئمة العراق بين الاختلاف والاتفاق . إليه فزع علماؤها وعنه أخذ عظماؤها، صاحب مدارسها وجماع شاردها وآنسها ممن سارت أخباره وعرفت به أشعاره وحمدت في ذات الله مآثره وآثاره إلى تآليفه في الدين . وتصانيفه في أحكام المسلمين . مما شهد أنه فرع تلك الأصول ومن أهل ذلك البيت الجليل » .

وذكره ابو منصور في التتمة بما نصه : الشريف المرتضى أبو القاسم علي ابن الحسين الموسوي هو أخو الرضي أبي الحسن الذي تضمن كتاب اليتيمة شعره وقدانتهت الرياسةاليوم ببغداد إلى المرتضى في المجد والشرف والعلم والأدب والفضل والكرم .

[ظ١٥]

وذكره صاحب الدمية بما نصه(١):الشريف المرتضى ابو القاسم علي الموسوي هو وأخوه من دوح السيادة ثمران . وفي فلك الرياسة قمران وأدب الرضي إذا قرن بعلم المرتضى كان كالفرند (٢)في متن الصارم المنتضى . ومن محاسن أشعاره ومحامد آثاره . قوله وهو مما يغنى به (٣) :

نبذة من شعر المرتضى

ألا يا نسيم الريح من أرض بابل	تحمل إلى أهل الخيام سلامي
وقل لحبيب فيك بعض نسيمه	أما آن أن تستطيع رجع كلامي
رضيتُ ولولا ماعلمتم من الجوى	لما كنت أرضى منكم بلمام
واني لأهوى أن اكون بأرضكم	على أنني منها استفدت سقامي
وقد كنت كالعقد المنظّم منكم	فها أناذا سلك بغير نظام
ولا برق إلا خلّب بعد بينكم	ولا عارض إلا بياض جهام

وقوله وهو مما يغنى به :

بجانب الكرخ من بغداد عنّ لنا	ظبي ينفره عن وصلنا نفرُ
ذؤابتاه نجادا سيف مقلته	وجفنه جفنة (والشفة الشفر)(٤)

(١) دمية القصر ص ٧٥

(٢) في الأصل كالفرقد وهو تحريف ،

(٣) دمية القصر ص ٧٥

(٤) في دمية القصر : وافرنده الحور

ضفيرتاه على قتلي تضافرتا فمن رأى شاعراً أودى به الشعر(١)

وله:

يا خليلي من ذؤابة بكر(٢) في التصابي رياضة الأخلاق [١٦و]
غنياني بذكرهم تطرباني واسقياني دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم من جفوني فإني قد خلعت الكرى على العشاق(٣)

وقوله وهو مما يسكر بلا شراب، ويطرب بلا سماع رباب:

أحب ثرى نجد ونجد بعيدة ألا حبذا نجد وإن لم تفد قربا
تقولون نجداً لست من شعب أهلها وقد صدقوا لكنني منهم حبّا
كأني وقد فارقت نجداً شقاوة فتى ضلّ عنه قلبه ينشد القلبا

وقوله في الشيب وذمه

يقولون لا تجزع من الشيب ضلة وأسهمه إياي دونهمُ تصمي
وما سرني حلم بفيء إلى الردى كفاني ما قبل المشيب من الحلم
إذا كان ما يعطيني الحزمُ سالباً حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي؟
وقد جربتْ نفسي الغداة وقاره فما شدّ من وهني ولا سدّ من ثلمي
وإني مذ أضحى عذاري قراره أعاد بلا سقم وأجفى بلا جرم(٤)

وقوله في ذم الشباب:

ومعيري شيب العذار وما درى أن الشباب مطية للفاسق
وأقول إذ عيرت منه لونه هيهات أبدل مؤمناً بمنافق

وقوله وهو مما يغنى به:

مولاي يا بدر كل داجية خذ بيدي قد وقعت في اللجج
حسنك ما تنقضي عجائبه كالبحر حدث عنه بلا حرج
بحق من خط عارضيك ومن سلط سلطانها على المهج
أمدد يديك الكريمتين معي ثم ادع بي من هواك بالفرج(٥) [١٦ظ]

(١) دمية القصر ص ٧٦
(٢) [من ذؤابة قيس] حسب رواية ابن خلكان
(٣) راجع ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٧ — ومعجم الأدباء ج ١٣ ص ١٤٨
(٤) معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٤٩
(٥) ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٧

وقولـه:

قل لمن حده من اللحظ دام | رقّ لي من جوانح فيك تدمى
يا سقيم الجفون من غير سقم | لا تلمني ان متّ فيهن سقما (١)
أنا خاطرت في هواك بقلب | ركب البحر فيك إما وإما (٢)

وقوله من مرثية:

تجري دموع عيون ودّ صاحبها | لو أنهن على خدّ المصاب دم
كأننا اليوم من همّ يقسّمنا | نهبٌ بأيدي ولاة السوء مقتسم
نثني الأكف حياء من ملاطمنا | وفي الحشا زفرات الحزن تلتطم
ونكتمُ الناس وحداً في حوانحنا | وكيف نكتم شيئاً ليس ينكتم

ومنهـا:

أين الذين على خدّ الثرى وطئوا | وحكموا في لذيذ العيش فاحتكموا
لم يبق منهم على ضن النفوس بهم | إلا رسوم قبور حشوها رمم
فلا يغرنك في الموتى وجودُهم | فان ذاك وجود كله عدم
وقد مضى ما اقتضاه الرزء من جزع | فأين ما يقتضيه العلم والكرم

وقوله من أخرى

كأني لما صك سمعي نعيه | صُككت بمسنون الغرارين قاضب
طواه الرّدى طيّ الرداء وعطلت | مغاني الحجى عنه وغر المناقب
ولما بكوت الأصدقاء وودهم | خلصت اليه من خلال التجارب

[١٧و]

وقولـه:

كم ذا تطيش سهام الموت مخطئة | عني وتصمي أخلائي وأخداني
ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي | علمت أن الذي أصماه أصماني
سود وبيض من الأيام لونهما | لا يستحيل وقد بدّلن ألواني
هيهات حكم فينا أزلم جذع | يفني الورى بين جذعان وقرحان (٣)

وقولـه:

شد عروض المطيّ مغتربا | فلم يفز طالب وما طلبا

(١) [ان مت منهن] حسب رواية ابن خلكان ١ — ٣٣٧
(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٣٣٧
(٣) معجم الأدباء ج ١٣ ص ١٥٠

لا درّ في الناس درّ مقتصدٍ يأخذ من رزقه الذي قربا
وما مقام الكريم في بلدٍ ينفق منه الحيـاء والأدبا
لا تعطني بالزمان معرفـةً كم ضاق بي مرة وكم رحبا
أي حطوبٍ لم تولني عظةً وأي دهرٍ لم أفنه عجبـا
ساعات دهرٍ تمر مسرعةً عنا وتبقي الهموم والتعبـا

وقولـه :

أي دمع جرى ونحن بنجرا ن لنا والديار ثمّ رسوم
دِمن لو رنت اليهنّ عينا ك قبيل الفراق قلت نجوم
ومغانٍ من النحول كأروا ح ولكن ليست لهن جسوم
ما سُررنا إلا بهن وفيهن قفاراً سيقت الينا الهموم

وقولـه :

ولما مررنا بالديار التي خلت فهن لفقدان الأنيس نواحل
فاشراقهـا بعد الذين تحملوا ظلام وضحوات النهار أصائل
أثار الجوي عرفانُها وتبادرت على أهلها منا الدموع الهوامل

[ظ١٧]

وقولـه :

كيف أرضي عن الزمان وما أرضى كريماً مثلي الزمان فأرضى
عرصات أصبحن وهي سماء ثم أمسين بالحوادث أرضـا
ورباع كانت عرين أسود أصبحت للضباع مأوى ومفضى
وترى تنبتُ النعيم اذا أنبـ ـتَ تربُ البلاد عشباً وحمضا
ولقد مضني هجومي على الدا ر بلا آذن على الباب مضـا

ذكر ماجرى لأبي العلاء مع المرتضى

ولأبي العلاء المعري مع الشريف المرتضى المذكور أخبار ظريفة : منهـا أنه أول ما دخل عليه قبل معرفة المرتضى به فعثر أبوالعلاء برجله فقال المرتضى من هذا الكلب؟ فقال أبو العلاء الكلب من لا يعرف للكلب سبعين اسماً فسمعه المرتضى فأدناه واختبره فوجده عالماً فطناً ذكياً فأقبل عليه إقبالاً كثيراً (١)

(١) يقول المرحوم أحمد تيمور باشا في كتابه عن أبي العلاء المرّي بعد أن أورد هذه القصة : ومن هذا هرب جلال الدين عبد الرحمن السيوطي فجمع أكثر من ستين اسماً للكلب ونظمها في أرجوزة سماها « التبرّي من معرّة المعري » رأيت أن أوردها هنا إتماماً للفائدة لعزة وجودها ثم أعقبها بشرح يميط اللثام عن الأسماء الواردة فيها ، وأتبعه بما استدركته على الناظم من أسماء الكلب [أبوالعلاء المعري ص٢٣] وفي ابن النديم أن رجلاً قال لأبي العلاء الى أين يا كلب فقال له أبوالعلاء ....

ومنها أنه كان يتعصب لأبي الطيب المتنبيء وحضر يوماً مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر المتنبيء فهضم المرتضى من جانبه فقال أبو العلاء المعري : أيها الشريف لو لم يكن لأبي الطيب المتنبيء من الشعر إلا قصيدته التي أولها :

لك يا منازل في القلوب منازل (١)

لكفاه . فغضب من ذلك المرتضى وأمر بإخراجه من مجلسه وقال للحاضرين : أتدرون ما عنى بذكر هذا البيت فقالوا لا . فقال عنى به قول المتنبيء فيها : [١٨و]

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل (٢)

ومن التلميح بهذا البيت ما حكاه صاحب الحدائق أن الفتح بن خاقان (٣) ذكر ابن الصائغ في كتابه المسمى بقلائد العقيان فقال فيه :

ماجرى بين الفتح وابن الصائغ

هو رمد جفن الدين ، وكمد نفوس المهتدين ، لا يتطهر من جنابة ، ولا تظهر منه مخايل إنابة .

فبلغ ذلك ابن الصائغ(٤) فمرّ يوماً على الفتح وهو جالس في جماعة فسلم على القوم وضرب على كتف الفتح وقال له : إنها شهادة يا فتح ومضى فلم يدر أحد ما قال إلا الفتح فتغير لونه فقيل له ما قال لك ؟ فقال اني وصفته كما تعلمون في كتابي فما بلغت بذلك عشر ما بلغ هو مني بهذه الكلمة فانه يشير بها الى قول المتنبي:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني فاضل

ومن هذا القبيل قصة السرّي(٥) مع سيف الدولة بسبب المتنبيء فان المتنبيء

(١) الديوان ج ٢ ص ١٧٦

(٢) معجم الأدباء ج ٣ ص ١٢٤

(٣) هو أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي الاشبيلي له عدة تصانيف أشهرها كتاب قلائد العقيان . كان واسع العلم كثير الأسفار . سريع التنقلات توفي قتيلاً سنة ٥٣٥ ﻫ بمدينة مراكش في فندق [ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٧]
Huart : Litt . Arabe p : 254

(٤) هو أبو بكر محمد بن باجه التجيبي الأندلسي السرقسطي المعروف بابن الصائغ الفيلسوف الشاعر المشهور كان متهماً بالزندقة وانحلال العقيدة توفي سنة ٥٣٣ ﻫ بمدينة فاس بالمغرب ابن خلكان ج ٢ ص ٧ .

(٥) هو أبو الحسن السري بن احمد بن السري الكندي الرفاء الموصلي الشاعر المشهور اتصل بسيف الدولة بن حمدان ومدحه وأقام عنده ، « وكان شاعراً مطبوعاً عذب الألفاظ مليح المأخذ ، كثير الافتنان في التشبيهات والأوصاف » توفي سنة ٣٦٠ ﻫ بمدينة بغداد . (ابن خلكان ج ١ ص ٢٠١) Huart : Litt . Arabe p 94

في اليتيمة ج ١ ص ١٣ والعكبري ج ١ ص ٢٣٤ ان سيف الدولة أعطي هذه القصيدة للخالديين فراجعها

ذكر السري مع سيف الدولة

والسريّ كانا من مداح سيف الدولة وجرى ذكر المتنبيء يوماً في مجلس سيف الدولة فبالغ في الثناء عليه فقال السري :أريد من الأمير أيده الله تعالى أن ينتخب لي قصيدة من قصائده لأعارضها وتحقق بذلك أنه أركبه في غير سرجه،فقال له سيف الدولة على الفور عارض قصيدته التي أولها :

[ظ١٨]

لعينيك ما يلقى الفؤاد ما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

قال السري : فكتبتُ القصيدة واعتبرتها فلم أجدها من مختاراته لكن رأيته يقول فيها عن ممدوحه

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمق أراه غباري ثم قال له الحق

فعلمت أن سيف الدولة أشار إلى هذا البيت وأحجمت عن معارضته

ذكر تفضيل المتنبي على غيره

وكان أبو العلاء يفضل أبا الطيب المتنبيء على غيره من الشعراء كأبي تمام والبحتري وابن الرومي وغيرهم وإذا ذكر أحداً منهم أو أورد له شيئاً يقول : قال ابو تمام قال البحتري قال ابن الرومي وإذا أورد شيئاً لأبي الطيب المتنبيء قال:قال الشاعر.

أسماء شروح الدواوين الثلاثه

وشرح ديوان أبي تمام وسماه ذكرى حبيب ،وشرح ديوان البحتري وسماه عبث الوليد،وشرح ديوان المتنبيء وسماه معجز أحمد ،وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها ومآخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن اخطائهم . ولما فرغ من تصنيف اللامع العزيزي في شرح شعر المتنبيء وقرئ عليه أخذ الجماعة في وصفه فقال ابو العلاء: كأنما نظر المتنبي إليّ بلحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

[و١٩]

ذكر ابن دوست

وكان الحاكم أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن دوست (١) يقول: عناني أبو الطيب المتنبي بهذا البيت فانه شرح ديوان المتنبي ونبه على كثير من غوامضه وكان أصمّ أصلخ(٢) يضع الكتاب في حجره . ويؤديه بلفظه فيسمع ولا يسمع . كالمسنّ يشحذ ولا يقطع . ذكره الباخرزي في دميته (٣) فقال : ليس اليوم بخراسان أدب مسموع إلا وهو منسوب اليه . متفق بالاجماع عليه . وأورد له شعراً منه .

(١) دمية القصر للباخرزي ص ١٨٦ اليتيمة : ج ٤ ص ٣٠٤

(٢) الاصلخ : الشديد الصمم .

(٣) الدمية ص ١٨٦

لما رأيت شبابي يهيم في كل وادي
عجبت من شيب فودي ومن شباب فؤادي(١)

ورويت عن غير واحد من علماء الأدب أن المولى المشهور بالرياضي يقول عناني أبو الطيب المتنبي بقوله :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

كما عنى به أبا العلاء المعري ، والرياضي المذكور كابن دوست في صممه وأدبه، وجمعه لكتبه ، وأرجو من الله أن يكتحل طرفي برؤيته ، في خدمة من ألف هذا الكتاب لحضرته .

ذكر الرياضي

ولما بلغ المعزّ صاحب مصر وفاة محمد بن ابراهيم المشهور بابن هانيء الأندلسي تأسف عليه وقال : كنا نؤمل أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدّر لنا وليس في المغاربة من المتقدمين والمتأخرين من هو في طبقته بل هو أشعرهم على الاطلاق وهو عندهم كالمتنبيء عند المشارقة .

[ظ١٩]

وكان أبو العلاء منحرفاً عنه متعصباً عليه طاعناً فيه يقول عن شعره : بعر مفضض . واذا سمعه تقول : رحى تطحن قرونا ، ولم أر سبباً لهذا التعسف عن طريق الحق والتعصب المفرط من أبي العلاء (٢) غير مضاهاتهم المتنبيء بابن هانىء الأندلسي ومن فائية ابن هانىء المشهورة

جعلنا حشايانا ثياب مدامنا وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا(٣)
فمن كبدٍ تدني إلى كبدٍ هوىً ومن شفةٍ توحي إلى شفة رشفا

قال القاضي أبو الطيب الطبري:(٤) كتبت إلى أبي العلاء المعري حين وافى بغداد وقد كان نزل في سويقة غالب .

---

(١) الدمية ص ١٨٦
(٢) ابن خلكان ج ٢ ص ٤
(٣) معجم الادباء ج ١٩ ص ٩٩ وفي الأصل جعلن
(٤) هو ابو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر الطبري القاضي الفقيه الشافعي ولد سنة ٣٤٨ هـ كان أديباً ورعاً عارفاً بأصول الفقه وفروعه ، يقول الشعر على طريقة الفقهاء توفي سنة ٤٥٠ هـ ببغداد .

وما ذات درٍ لا يحلُّ لحالبٍ ... تناوله واللحمُ منها محلَّل(١)
لمن شاء في الحالين حياً وميتاً ... ومن رام شربَ الدّر فهو مضلل
إذا طعنت في السن فاللحم طيب ... وآكله عندَ الجميع مغفَّلُ
وخرفانها للأكل فيها كزازة ... فما لحصيف الرأي فيهن مأكل
وما يجتني معناه إلا مبرّز ... عليم بأسرار القلوب محصّل

فأجابني وأملى على الرسول في الحال :

جوابان عن هذا السؤال كلاهما ... صواب وبعض القائلين مضلّل
فمن ظنه كرْماً فليس بكاذبٍ ... ومن ظنه نخلاً فليس مُجهَّل
لحومها الأعناب والرُّطبُ الذي ... هو الحلّ والدر الرحيق المسلسل
ولكن ثمار النخل وهي غضيضة(٢) ... تمرُّ وغض الكرم يجنى ويؤكل
يكلفني القاضي الجليلُ مسائلاً ... هي النجم قدراً بل أعز وأطول
ولو لم أحبْ عنها لكنت بجهلها ... حديراً ولكن من يودك يقبل

[٢٠ و]

وبين القاضي الطبري وأبي العلاء مكاتبات ومراسلات كثيرة .

ورحل أبو العلاء عن بغداد بعد إقامته بها سنة وسبعة أشهر وودعها قبل رحيله بالقصيدة التي أولها :

ماقاله في وداع بغداد

نبيٌّ من الغربان ليس على شرع ... يخبرنا أن الشعوب إلى صدْع

إلى أن قال

أودّعكم يا أهل بغداد والحشا ... على زفرات ما ينين من اللذع

الزفرة تصاعد النفس وما ينين ما يفترن ، ولذعته النار أحرقته أي أودعكم وزفرات الوجد تحرق الأحشاء

وداع ضنىً لم يستقلّ وإنما ... تحامل من بعد العثار على ظلع(٣)

يقال تركته ضنىً أي مريضاً دنفاً، والتحامل ،تكلف الشيء على مشقة والظلع أن يصيب الرحل شيء فتغمز في المشي . أي أودعكم وداع مريض ما يستطيع النهوض وإنما يتكلفه على مشقة .

(١) : ابن خلكان ج ١ ص ٢٣٣ وفيها تتمة المحاورة . ووردت هذه الأبيات أيضاً في فائت شعر أبي العلاء (ابو العلاء وما إليه ص ١٠)

(٢) في الاصل : وهي رطيبة .

(٣) سقط الزند ص ١١١ وشرح التنوير ج ٢ ص ١٠٢

إذا أطّ نسعٌ قلت والدّمعُ كاربي أجدّكم لم تفهموا طرب النسع (١)

الأطيط صوت الرحل والنِسع ومايجري مجراهما، والنِسع الحزام الذي يشد على صدر البعير وكربه الأمر، إذا حزنه واجدكم أي ابجدٍ منكم، أي قلت لصحبي إن الذي تسمعون من الأطيط هو حنين النِسع إلى بغدادَ وإنما تعدّى ذلك اليه مما ننطوي عليه نحن من الحنين وقد ألجأتنا إلى مفارقتها مع شدة الحنين اليها ضرورة وهذا اعتذار عن مفارقته إياها .

[ظ٢٠]

فبئس البديل الشأم منكم وأهله على أنهم قومي وبينهمُ ربعي

ألا زوّدوني شربة ولوَ انني قدرتُ إذا أفنيت دِجلة بالجرع

وأنى لنا من ماء دجلة نُغبةً على الخمس من بعد المفاوز والربع (٢)

أي كيف لنا ماء دجلة شربة ونحن في مفاوز بعيدة الورد حتى أن الابل لا ترد الماء فيها إلا خامساً أو رابعاً لعزة الماء فيها .

وساحرة الأطراف يجني سرابُها فتصلبُ حرباءً بريئاً على جِذع (٣)

وساحرة الأطراف معطوف على من بعد المفاوز، وهي أرض يسحر سرابها العيون أي تتخيل أن بها ماء . وهذا المراد بجناية سرابها وهي تصلب الحرباء البريء من الجرم على جذع الشجر وذلك أنها أبداً تدور مع الشمس وعند الهاجرة تعلو رأس الشجر والمعنى انه تعجب من هذه الأرض لأن الجناية صدرت من سرابها وهي تعاقب بالصلب حرباءها وهي بريء من الجرم .

[و٢١]

وما الفصحاء الصيد والبدوُ دارها بأفصح قولاً من إمائكم الوكع (٤)

أدرتم مقالاً في الجدال بألسن خلقن فجانبن المضرة للنفع

أي تناظرون في العلوم بألسنة خلقت للنفع لا للضرر .

سأعرض إن ناجيت من غيركم فتىً وأجعل زوّاً من بناني في سمعي

---

(١) في الأصل : واللوم كاربي وهو تحريف .

(٢) النغبة : الجرعة من الماء . الخمس والربع : من اظماء الإبل .

(٣) في الأصل : وساحرة الأقطار .

(٤) الوكع : جمع وكعاء ، وهي التي مالت إبهامها على ما يليها ، وربما قالوا عبد أوكع يريدون اللئيم وأمه وكعاء أي حمقاء . يصف أهل بغداد بالفصاحة مبالغاً في ذلك مدعياً أن إماء هم الوكع الموصوفات بالحمق أفصح في المقال من السادة الفصحاء الساكنين في البادية المطابيع في ملك الكلام [راجع : شرح التنوير ج ٢ ص ١٠٤]

أي بعد أن سمعت كلامكم لا أرغب في غيره بل أعرض عنه وأجعل زوءاً أي زوجاً من بناني في سمعي لئلا أسمعه .

ومنها

لبستُ حداداً بعدكم كل ليلة   من الدهم لا الغرّ الحسان ولا الدُّرع(١)

الحداد لبس السواد، والدهم السود، والدرع الليالي التي تسوّد أوائلها وابيض سائرها . يصف سراه في سواد الليالي كأنه لابس أثواب الحداد يعني أن لياليه كلها مظلمة ليست من التي تحسن بضياء القمر ولا مما يضيء بعضها.

أظنُّ الليالي وهي خُونٌ غوادر   بردّي إلى بغداد ضيقةَ الذّرع

وكان اختياري أن أموت لديكمُ   حميداً فما ألفيتُ ذلك في الوسع(٢)

فليتَ حمامي حُمّ لي في بلادكم   وجالتْ رمامي في رياحكم المسعِ(٣)

يقال لريح الشمال مسع .

فليتَ قلاصاً ملعراق خلعنني   خُلعن ولم يفعلن ذاك من الخلع(٤)

ملعراق أي من العراق أي ليت القلاص التي خلعنني منها جعلت خلعاً والخلع أن تنحر الجزور (٥)

[٢١ ظ]

فدونكم خفض الحيـاة فاننا   نصبنا المطايا بالفلاة على القطع

أي تمتعوا بلين العيش وتنعموا بالحياة في بلادكم فانا أعددنا المطـايا لقطع الفلوات .

تعجلت إن لم أثنِ جهدي عليكم   سحابَ الرّزايا وهي صائبة الوقع

رجوع أبي العلاء الى بلده

ولما رجع أبو العلاء من بغداد إلى المعرة ولزم منزله وسمى نفسه رهين المحبسين يعني حبس نفسه في المنزل وحبس بصره بالعمى شرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسارت اليه طلبة العلم من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار

اختلاف الناس فيه

والناس فيه مختلفون بين طاعن ومادح .

---

(١) في الأصل :لا الدهم الحسان وهو تحريف .

(٢) الوسع : الطاقة .

(٣) يقال للريح الشمال مسع ونسع . الرمام : العظام البالية .

(٤) في التنوير جعلن .

(٥) كذا في الأصل وفي التنوير :والخلع أن تنحر الجذور ويطبخ لحمها بشحمها ويطرح فيها توابل ثم يفرغ في جلد فيأكلونه في أسفارهم .

قال أبو اليسر المعري:(١) إن أبا العلاء كان يُرمى (٢) من أهل الحسد له بالتعطيل ويعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار المضمّنة أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه وإيثاراً لاتلاف نفسه وفي ذلك يقول :

حاول اهواني قوم فما واجهتهم إلا باهواني
يحرّشوني بسعاياتهم فغيروا نية إخواني
لواستطاعوا الوشوا بي إلى الـ مريخ في الشهب وكيوان (٣)

[و ٢٢] وقصته مع وزير محمود بن صالح مشهورة وهي لما أغرت به حساده وزير محمود صاحب حلب فجهز لاحضاره خمسين فارساً ليقتله فأنزلهم أبو العلاء في مجلس له بالمعرة فاجتمع بنو عمه اليه وتألموا لذلك فقال :إن لي رباً يمنعني ،ثم تكلم كلاماً لم يفهمه أحد ، وقال : الضيوف!الضيوف ! الوزير!الوزير!فوقع المجلس على الخمسين فماتوا جميعاً وكان الوزير بحمام في حلب فوقع عليه فمات .

فالقائلون إنه كان زنديقاً ملحداً يقولون انه قتل الوزير والخمسين بسحره ورصده . والقائلون انه كان على غاية ما يكون من الدين والزهد يقولون قتلهم بدعائه وتهجده .

وقال كمال الدين الزملكاني (٤) في حقه :هو جوهرة جاءت إلى الوجود وذهبت .

ما يدل على صحة عقيدته

ومما يدل على صحة عقيدته ما حكاه القاضي أبو الفتح بن أحمد السروجي قال : دخلت على أبي العلاء المعرى بالمعرة ذات يوم في وقت خلوة بغير علم منه وكنت أتردد إليه ، وأقرأ عليه . فسمعته ينشد :

(١) راجع : معجم الأدبا ج ٣ ص ١١٦وله ترجمة في تاريخ المعرة للأستاذ سليم الجندي

(٢) وفي الأصل يرى وهو تحريف

(٣) أورد الراجكوتي هذه الأبيات الثلاثة في فائت شعر أبي العلاء • [أبو العلاء وما اليه • ص ١٤] راجع : معجم الأدباء ج ٣ ص ١٦٤ • ونكت الهميان ص ١٠٥ إهواني : الحاق الهوان بي • والهوان الضعة والصغار • التحريش : الإغراء بين الناس وبين الكلاب أيضاً • السعاية : إفساد النيات بين الناس • المرّيخ كوكب من السبعة السيارة • كيوان : اسم زحل بالفارسية •

(٤) هو محمد بن علي بن عبد الواحد كمال الدين بن الزملكاني الأنصاري السماكي الدمشقي كبير الشافعية في عصره ولد سنة ٦٦٧ هـ وتوفي سنة ٧٢٧ هـ • [راجع : طبقات الشافعية للسبكي — فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٠ •

كم غودرت غادة كعاب وعمّرت أمّها العجوز
أحرزها الوالدان خوفاً والقبر حرز لها حريز
يجوز أن تبطئ المنايا والخلد في الدهر لا يجوز(١)

ثم تأوه مرات وتلا (إنّ في ذلكَ لآيةً لمنْ خافَ عذابَ الآخرةِ ذلكَ يومٌ مجموعٌ لهُ الناسُ وذلكَ يومٌ مشهودٌ وَما نؤخّرُهُ إلاّ لأجلٍ معدودٍ يومَ يأتي لا تَكلمُ نفسٌ إلاّ بإذْنِه فَمنهمْ شقيٌ وسعيدٌ) (٢) [ظ ٢٢] ثم صاح وبكى بكاء شديداً وطرح وجهه على الأرض زماناً ثم رفع رأسه ومسح وجهه وقال: سبحان من تكلم بهذا في القِدَم . سبحان من هذا كلامه . فصبرت ساعة ثم سلمت عليه فردّ السلام وقال: متى أتيت فقلتُ الساعة، ثم قلت: يا سيدي أرى في وجهك أثر غيظٍ فقال: لا يا أبا الفتح بل أنشدت شيئاً من كلام المخلوق وتلوت شيئاً من كلام الخالق فلحقني ما ترى، فتحققت صحة دينه وقوة يقينه .

امتناع أبي العلاء عن أكل اللحم

ومكث أبو العلاء مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تديناً ولاماتولد من الحيوان رحمة له وتخوفاً من ازهاق النفوس .

قيل: إنه كان يرى رأي الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا(٣) الحيوان لأن فيه تعذيباً له وهم لا يرون بالايلام مطلقاً في جميع الحيوانات .

وكان أكله العدس، وحلاوته التين، ولباسه القطن، وفراشه اللباد، آخذاً نفسه في الرياضة وخشونة العيش مقتنعاً بالقليل غير راغب في الدنيا .

وكان قد رحل في ابتداء أمره إلى طرابلس وكان بها خزائن كتب موقوفة فأخذ منها ما أخذ من العلم .

قيل: واجتاز باللاذقية ونزل ديراً كان به راهب له علم بأقاويل الفلاسفة فسمع كلامه فحصل له شكوك .

وقيل إن أبا زكريا التبريزي (٤) قال: قال لي أبو العلاء المعري ما الذي [و ٢٣]

(١) هذه الأبيات من شعره في ملقى السبيل ورواية هذا البيت فيه: كم هلكت غادة ... وهو الملائم لبقية البيت .
(٢) سورة هود .
(٣) في الأصل يذبحون وهو خطأ .
(٤) في الأصل الرازي وهو خطأ .

تعتقد ؟ فقلت :في نفسي ، اليوم يتبين لي اعتقاده وقلت له :ما أنا إلا شاك فقال وهكذا شيخك (١)

ما صدر بين أبي العلاء وبين المنازي

ويروى عن أبي نصر أحمد بن يوسف المنازي(٢) الكاتب وزير أبي نصر صاحب ميافارقين وديار بكر وكان من أعيان الفضلاء وأماثل الشعراء قال : اجتمعت بأبي العلاء المعري بمعرة النعمان وقلت:ما هذا الذي يروى عنك ويحكى ؟ فقال : حسدني قوم وكذبوا عليّ وأساؤا فقلت: علىماذا حسدوك وقد تركتَ لهم الدنيا والآخرة،فقال:والآخرة أيضاً !والآخرة أيضاً !قلت إي والله ثم قلت له: لم تمتنع من أكل اللحم وتلوم(٣) من يأكله؟ فقال :رحمة للحيوان . قلت لا ،بل تقول انه من شره الناس فلعمري إنهم يجدون ما يأكلون ويتخبرون(٤) به عن اللحم ويتعوضون ،فماتقول في السباع والجوارح التي خلقت لا غذاء لها غير لحوم الناس والبهائم والطيور ودمائها وعظامها ولا طعام تعتاض (٥) به عنها حتى لم يخلصْ من ذلك حشرات الأرض،فان كان الخالق لها الذي نقوله نحن فما أنتَ منه بخلقه أعلم ولا أحلمَ منه في تدبيره ،وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك على مذهبك فما أنتَ بأحذق(٦) منها ولا أتقن صنعةً ولا أحكم عملاً حتى تعطلها ويكون رأيك وعقلك أوفى منها وأرجح وأنت من إيجادها غير محسوس عندها ، فأمسك .

[ظ٢٣]

شعر المنازي

على أن المنازي هذا هو الذي مدح أبا العلاء بقوله :

لله لؤلؤ ألفاظ تساقطها	لو كنَّ للغيد ما استأنسْنَ بالعطل
ومن عيون معان لو كحلن بها	نجل العيون لاغناها عن الكحل
سحر من اللفظ لو دارت سلافته	على الزمان تمشى مشية الثمل

---

(١) معجم الأدباء : ج ١٩ ص : ١٢٦

(٢) هو أبو نصر أحمد بن يوسف السليكي المنازي الكاتب الشاعر أورد له ابن خلكان بعض مقطوعات من شعره جيدة . توفي سنة ٤٣٧ هـ . ابن خلكان ج ١ ص ٤٤ .

(٣) في الأصل : وتلم وهو تحريف

(٤) كذا في الأصل ولعله يتجزؤن بمعنى يجتزئون ويكتفون

(٥) في الأصل : تعتاظ وهو تحريف

(٦) في الأصل بأحدق وهو تحريف .

واجتاز المنازي المذكور بوادي بزاعة (١) فأعجبه حسنه فعمل هذه الأبيات العجيبة .

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ سقاه مضاعف الغيث العميم(٢)
نزلنا دوحه فحنا علينا حنوّ المرضعات على الفطيم(٣)
وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً أرق من المدامة للنديم
يراعي الشمس أنىّ قابلته فيحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

ولما توفي أبو العلاء اجتمع على قبره ثمانون شاعراً وختموا في اسبوع واحد مائتي(٤) ختمة .

قيل إنه أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت وهو :

هذا جناه أبي علــيّ وما جنيت على أحد

وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون: إيجاد الولد وإخراجه الى هذا العالم جناية عليه لأنه يتعرض للحوادث والآفات .

[٢٤ و]

قيل لما دُفن أبو العلاء قرئ على قبره سبعون مرثية

وممن رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن همّام بقوله :

إن كنت لم تُرق الدماء زهادةً فلقد أرقتَ اليوم من جفني دما
سيرت ذكراً في البلاد كأنه مسك مسامعها يضمّخ أوفما(٥)
وترى الحجيجَ إذا أرادوا ليلةً ذكراك أوحب فديةً من أحرما (٦)

قيل :إنه أشار في البيت الأول إلى ما كان يعتقده ويتدين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره .

وقول تلميذه لم ترقِ الدماء زهادة لم يعط من المعنى ما قالوه ولو أراده لقال

---

(١) رواية ابن خلكان بزاغا وهو تحريف

(٢) في الأصل « وفاه مضاعف النبت العميم » .

(٣) في الأصل فحنى

(٤) في الأصل مائتا وهو خطأ .

(٥) في الأصل : ذكرك وفسامعه . ضمخها عطرها ومسامعها مفعول مقدم ليضمخ وعطف عليه أو فما وأو بمعنى الواو والمعنى أنه يملأ الأسماع والأفواه .

(٦) في الأصل وأرى . وأخرج فدية . الحجيج : الحجاج . والمعنى إن ذكراك طيب والطيب لا يحل للمحرم فيجب عليه الفدية . راجع : معجم الأدباء ج ٣ ص ١٢٦

فلسفةً ،ثم ما ذا على من تركَ اللحم وهو من أعظم الشهوات خمساً وأربعين سنة زهادة خصوصاً وقد قال صاحب قوت القلوب : اباحة حلال الدنيا حسن والزهد فيه أحسن .

ولما أتى رسول الله ﷺ أهلُ قبا بشربةٍ من لبن مشوبةٍ بعسل وضع القدح من يده وقال: أما اني لستُ أحرّمه ولكنني أتركه تواضعاً لله تعالى .

وأتى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها .

وقد نهى النبي ﷺ عن التنعم . والكتب مشحونة بترك السلف الصالح للشهوات والملاذ الفانية رغبة في النعيم الباقي . [ظ ٢٤]

والرحمة للحيوان من الخصال المندوبة كما قيل،والشاة ان رحمتها رحمك الله

وقد ترك جماعة من الزهاد والعبّاد أكل الطيبات تقرباً إلى الله تعالى وعُدّ ذلك في مناقبهم ومحاسنهم ولم ينكر عليهم فكيف يجعل الامتناع من أكل اللحم تركاً للآخرة على رأي المنازي .

مرثية أبي الفتح في أبي العلاء

وممن رثى أبا العلاء الأمير أبو الفتح الحسن بن علي بن عبد الله بن أبي حصينة المعري بقصيدة طويلة منها :

العلمُ بعد أبي العلاء مضيّعُ ... والأرض خالية الجوانب بَلقعُ

أودى وقد ملأ البلاد غرائبا ... تَسري كما تسري النجوم الطلّعُ

ما كنت اعلم وهو يُودع في الثرى ... أن الثرى فيه الكواكب تُودعُ

جبلٌ ظننت وقد تزعزع رُكنه ... أن الجبال الراسيات تَزعزعُ

وعجبتُ أن تسع المعرةُ قبره ... ويضيق عنه بطن الأرض الأوسعُ

لوْ فاضتِ المُهَجاتُ يوم وفاته ... ما استُكثرت فيه فكيف الادمعُ

تتصرّمُ الدنيا ويأتي بعده ... أممٌ وأنت بمثله لا تسمعُ

لا تجمع المالَ العتيد وجُدْ به ... من قبل تركك كلّ شيء تجمعُ

وإذا استطعت فسر بسيرة أحمد ... تأمنْ خديعةَ من يغرُّ ويخدعُ

رفض الحياة وماتَ قبل مماته ... مَتطوّعاً بأبرّ ما يتطوّعُ

عين تَسهدُ للعفاف وللتقى ... أبداً وقلب للمهيمن يخشعُ

شيمٌ تُجمله فهنَّ لمجده ... تاج ولكن بالثناء يرصّعُ [و ٢٥]

جادتْ ثراكَ أبا العلاء غمامةٌ كندى يديك ومزنةٌ لا تقلعُ (١)
ما ضيع الباكي عليك دموعه إن الدموع على سواك تضيَّعُ
قصدتك طلابُ العلوم ولا أرى للعلم باباً بعد بابك يقرعُ
مات النُّهى وتعطَّلتْ أسبابهُ وقضى التأدُّبُ والمكارمُ أجمعُ

ونقل عن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد(٢) أنه كان يقول : كان أبو العلاء المعري في حيرة . قال ابن أيبك : وهذا أحسن ما يقال في أمره لأنه قال :

خُلقَ الناس للبقاء فضلَّت أمـة يحسبونهم للنفـاد

لأن أصحاب الشرع مجمعون على أن بعد الدنيا آخرة تبقى فيها النفوس إما في خير أو في شر ومن خالفهم فهو مضل

إنما ينقلون من دار أعمالٍ إلى دار شقوةٍ أو رشاد

ثم قـال

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة وحُقَّ لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطِّمنا الأيام حتى كأننـا زُجاجٌ ولكن لا يعادُ لنا سبكُ(٣)

ويمكن أن يقال أن مراده بقوله لا يعاد لنا سبك في الدنيا بدلالة قوله خلق الناس للبقاء . كما حمل قول أبي النجم :

ميز عنـه قنزعاً عن قنزع جذب الليالي أبطئ أو أسرعي
على المجـاز بقرينة قوله (أفناه قيل الله للشمس اطلعي)

[٢٥ظ]

قال ابن أيبك ووضع على لسان أبي العلاء أشياء لا تخفى على ذي لب وأما الأشياء التي دونهـا وقالها في (لزوم ما يلزم) وفي (استغفر واستغفري) فما فيه حيلة وهو كثير من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله .

---

(١) في الأصل : مرية وهو تحريف .

(٢) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع الامام تقي الدين أبو الفتح بن دقيق العيد القشيري المنفلوطي المصري المالكي الشافعي أحد الأعلام وقاضي القضاة . كان إماماً متفنناً محدثاً فقيهاً أديبـاً ولد ٦٢٥ هـ وتوفي سنة ٧٠٢ هـ طبقـات الشافعية للسبكي ج ٦ ص ٢ فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٤٤ . الوافي بالوفيات ص ٢٤٧ .

(٣) كتب على هامش الأصل : يحطمنـا صرف الزمان كأننا . وفي اللزوميات ج ٢ ص ١٢٦ « يحطمنا ريب الزمان كأننا . » معجم الأدباء ج ٣ ص ١٦٩

وأورد الرازي لأبي العلاء قوله

قلتم لنا خالق حكيم قلنا صدقتم كذا نقول(١)
زعمتوهُ بلا زمان ولا مكان ألا فقولوا
هذا كلامٌ له خبيءٌ معناهُ ليستْ لنا عقولُ

ثم قال الرازي : قد هذى هذا في شعره .

الأشياء المنتقدة على أبي العلاء

وقال ياقوت الحموي : كان أبو العلاء متهماً في دينه يرى رأي البراهمة لا يرى إفساد الصورة ولا يأكل لحماً ولا يؤمن بالرسل ولا البعث والنشور .

وقال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني :قال لي أبو العلاء المعري: ما هجوتُ أحداً قط فقلت له : صدقتَ إلا الأنبياء عليهم السلام فتغير لونه يريد مثل قولـه :

إذا ما ذَكرْنا آدماً وفعالَهُ وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا
عرفنا بأن الخلق من نسل فاجر وإن جميع الخلق من عنصر الزنا(٢)

فأجابه القاضي أبو محمد اليمني بقوله :

[و٢٦]

لعمرك أما فيك فالقول صادق وتكذب في الباقين من شطَّ أودنا
كذلك إقرار الفتى لازم له وفي غير لغو كذا جاء شرعنا

وقولـه :

قِرانُ المشتري زُحلاً يرجَّى لإيقاظِ النواظرِ من كراها
تقضى الناس جيلاً بعد جيلٍ وخُلّفتِ النجومُ كما تراها
تقدّم صاحب التوراة موسى فأوقع في الخسار من اقتراها
فقال رجالهُ وحيٌ أتاهُ وقال الظالمون بل افتراها (٣)
وما سيري إلى الأحجار بيت كؤوس الخمر تشرب في ذُراها
إذا رجع الحصيفُ إلى حجاهً تهاون بالمذاهبِ وازْدراها (٤)

ومن شعره المؤاخذ به :

(١) في الأصل : لنا صانع .
(٢) وردت هذه الأبيات في معجم الأدباء ج ٣ ص ١٥٦ وفي نكت الهميان ص ١٠٦ وفي ياقوت ورد البيت الثاني هكذا :

علمنا بأن الخلق من أصل زنيةٍ وأن جميع الناس من عنصر الزّنا

(٣) راجع القصيدة في اللزوميات ج ٢ ص ٣٥١ .
(٤) معجم الأدباء ج ٣ ص ١٦٩

تحكم ما لنا إلا السكوت له وإن نعوذَ بمولانا من النار
يدٌ بخمس مئينٍ عسجدٍ فُديت مابالها قُطعت في رُبعِ دينارِ ؟

أجابه عنه علم الدين السخاوي[١] بقوله

صيانة العرض أغلاها وأرخصها خيانة المال فافهم حكمة الباري[٢]

ومنه

هفت الحنيفة والنصارى مااهتدت ويهودُ حارت المجوسُ مضلله

[ظ٢٦]

اثنان أهلُ الأرضِ ذو عقلٍ بلا دينٍ وآخرُ ديِّنٌ لا عقلَ له

فقال الأخسيكثي[٣] راداً عليه :

الدِّينُ آخذُهُ وتارِكهُ لمْ يخفَ رشدُهما وغيهما
رجلان أهلُ الأرض قلتفقل يا شيخَ سوءٍ أنتَ أيهما ؟[٤]

ومنه

دين وكفرٌ وأنباءٌ تُقالُ وفرقان ينصّ وتوراة وإنجيل[٥]
في كلّ جيلٍ أباطيل يدان بها فهل تفرّد يوماً بالهدى جيل؟

فأجاب الحافظ الذهبي[٦] :

نعم أبو القاسم الهادي وأمته فزادك الله ذلاً يادُجيجيلُ

---

(١) هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الرحمن السخاوي القاري المشهور المتوفى سنة ٦٤٣ انظر : بروكلمان ج ١ ص ٤١٠ و معجم الأدباء ج ١٥ ص ٦٥ .

(٢) وفي رواية : « عز الأمانة أغلاها وأرخصها : ذل الخيانة فأفهم حكمة الباري »

(٣) هو أحمد بن محمد بن القاسم بن أحمد بن خذيو الأخسيكثي نسبة إلى أخسيكث اسم مدينة في ماوراء النهر ، وهو الملقب بذي الفضائل ، كان شاعراً أديباً مصنفاً كاتباً ولد سنة ٤٦٦هـ وتوفي سنة ٥٢٨ هـ . معجم الأدباء ج ٥ ص ٥٢ وبغية الوعاة ص ١٦٢ .

(٤) معجم الأدباء ج ٥ ص ٥٤

(٥) في لزوم ما يلزم : وأبناء تقص

(٦) هو أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي الإمام الحافظ إمام زمانه في الحديث والتاريخ ، وصاحب المؤلفات الجليلة ولد سنة ٦٧٣ في دمشق وتوفي سنة ٧٤٨ . فوات الوفيات ج ٢ ص ١٨٣ ، طبقات الحفاظ ج ٣

ترجمة الباخرزي لأبي العلاء

قال الباخرزي(١) في دميته (٢)ما نصه

أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري التنوخي . ضرير ماله في أنواع الأدب ضريب، ومكفوفٌ له شخص في قميص الفضل ملفوف ومحجوب، حصمه الألدّ محجوج، وقد طال في ظلام الإسلام آناؤه، ولكن ربما يترشح بالإلحاد إناؤه وعندنا خبر بصره، والله أعلم ببصيرته والمطلع على سريرته، وإنما تحدثت الألسن بإساءته لكتابه الذي زعموا أنه عارض به القرآن وعنونه بالفصول والغايات ومحاذاة السور والآيات وأظهر من نفسه تلك الخيانة وجذ تلك الهوسات كما تجذ العير الصليانة . حتى قال القاضي أبو جعفر قصيدة أولها

[٢٧و]

كلبٌ عوى بمعرَّة النعمان لما خلا منْ ربقة الإيمان

أمعرَّةَ النعمانِ ما انجبتِ إذ أخرجت منك معرّة العميان(٣)

وأورد له الباخرزي في الدمية قوله :

محمودنا الله والمسعود خائفه فعدّ عن ذكر محمود ومسعود

ملكان لو انني خيرت ملكهما وعود طيب اشار العقل بالعود

عودي يخاف من الاحراق صاحبه إنْ قال ربي لأحسام البلى عودي

وقوله : (٤)

يا ساهر البرق أيقظ راقد السَّمُرِ لعل بالجزع أعواناً على السهر

يقال برق ساهر أي يسهر عليه من رآه كقولهم ليل نائم ونهار صائم لأنه يُنام ويُصام فيهما . يخاطب البرق بأن يمطرَ السمرَ الراقد .والسَّمر شجر

---

(١) هو علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السنحي صاحب كتاب دمية القصر وعصرة أهل العصر وهو ذيل يتيمة الدهر للثعالبي ، قال عنه ابن خلكان : « كان أوحد عصره في فضله وذهنه والسابق إلى حيازة القصب في نظمه ونثره » قتل الباخرزي في مجلس أنس سنة ٤٦٧ هـ . معجم الأدباء ج ١٣ : ص ٣٣ ابن خلكان : ج ١ ص ٦٥٠ (طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ٢٩٨) و Huart : Litt. Arabe, p. 107

(٢) دمية القصر : ص ٥٠

(٣) ص ٥٠

(٤) سقط الزند ص ١١ وشرح التنوير ج ١ ص ٤٤ .

وعنى برقوده يبسه ،أي أن السمَر قد يبس لجدوبة الأرض وقلة المطر فأيقظه أي نبهه ،يعني أمطره حتى يورق ويخضر،سأله أن يوقظه لعلَّ بالجزع أعواناً على السهر ،أي أن بهذا الموضع قوماً أعواناً للبروق يوافقونه على السهر يترقبون المطر لما بهم من الجدب

وإن بخلتَ عن الأحياء كلهمِ فاسق المواطرَ حياً من بني مطرِ

أي إن منعت السقيا جميع الأحياء فاسق حياً من بني مطر لأن اشتراكهم معك في اسم المطر تقتضي العناية .

[ظ٢٧]

ويا أسيرة حجليها أرَى سفهاً حمْلَ الحُلِيّ لمن أعيا عن النظر

ماسرت إلاوطيف منك يصحبني سرًى أمامي وتأويباً على أثري (١)

لوحطَّ رحلي فوق النجم رافعه ألفيت ثمَّ خيالاً منكمنتظري

وفي بعض النسخ وجدت ، والهاء في رافعه عائدة على النجم أي لو وضع رحلي فوق النجم سبقني اليه خيالك .

يودُّ أن ظلام الليلِ دامَ له وزيد فيه سوادُ القلب والبصرِ

لواختصرتم من الإحسان زرتكمُ والعذب يهجر للإفراط في الخصر

الخصر البرودة وخصر الرحل إذا آلمه البرد في أطرافه .

أبعد حولٍ تناجي الشوْق ناجيةٌ هلاّ ونحن على عشْرٍ من العشَرِ

ناجية ناقة تنجو بصاحبها ،والعشر شجر ،والمعنى أن هذه الناقة كان ينبغي أن تحنَّ وهي قريبة من العشر وأما بعد الحول فكان ينبغي أن تنسى

كمْ باتَ حولكِ من ريم وجازيةٍ يستجديانكِ حسنَ الدَلّ والحَورِ

الريم الظبي ،والجازية البقرة الوحشية التي تجتزي بالرطب عن الماء،يقول أن الدَلّ الطبيعي ،والحور إنما يوجدان في الظباء وبقر الوحش وهذان النوعان يستجديانك

فما وهبتِ الذي يعرفن من خلقٍ لكن سمحتِ بما ينكرن من دُرر

خِلق جمع خلقه أي لم تسمحي لهما بالدلّ والحور لأنّ ذلك من خلق الله تعالى ولكن بذلت لهما نفائس الدرر .

[و ٢٨]

(١) في رواية الدمية يتبعني • السرى : سير الليل • التأويب: سير النهار كله ، يقال تأوب الرجل أهله : إذا سار النهار كله حتى يطرقهم مع الليل •

وما تركت بذات الضال عاطلةً من الظباء ولا عارٍ من البقرِ

ذات الضال، موضع والعاطلة التي لا حلي عليها أي وهبت الحلي للظباء حتى زال عطلها وكسوت بقر الوحش فلم تبق عارية، وقوله ولا عار على سنن :

« ولو أن واشٍ باليمامة داره وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا »

قلدت كلَّ مهاةٍ عقدَ غانيةٍ وفزتُ بالشكر في الآرام والعُفُرِ

المهاة البقرة الوحشية والغانية المستغنية بجمالها عن التزين ، والعُفر الظباء تعلوها غبرة .

ورب ساحب وشي من جآذرها وكان يرفل في ثوبٍ من الوبرِ

حسَّنت نظم كلامٍ توصفين به ومنزلاً بك معموراً من الخفرِ

خفرتْ استحيتْ ، أي لبراعة حسنك حسن الكلام الذي وصفت به وحسن المنزل الذي نزلت به

فالحسن يظهر في شيئين رونقه بيت من الشِّعْر أو بيت من الشَّعَر

فسر البيت الذي قبله أي فالحسن الرائق ثابت لبيت من الشِّعْر لأنك موصوفة به أو لبيت من الشَّعَر لأنك ساكنة فيه .

أقول والوحش ترميني بأعينها والطير تعجبُ مني كيف لَمْ أطر

يقول انه لا يزال مسافراً يجوب القفار من الأرض وحيداً لا يأنس فيها إلا الوحش والطير وهي تنظر اليه وتتعجب من حاله :

لمشمعلَّيْن كالسيفين تحتهما مثل القناتين من أيْنٍ ومن ضمْرِ

[ظ٢٨]

المشمعل السريع الخفيف ، أي أقول لصاحبين في المضاء كسيفين تحتهما ناقتان كرمحين من الهزال والأين ، والأين التعب والضمر الهزال .

في بلدة مثل ظهر الظبي بتُّ بها كأنني فوق روق الظبي من حذَرِ

البلدة الأرض العراء ، أي كان قولي لصاحبي في عراء من الأرض مستوٍ يشبه ظهر الظبي لكن من شدة الحذر من الأعداء كنت كأني فوق روق الظبي وهو لا يكون محلاً للقرار ، والمنزل النابي بالنازل يشبه بقرن الظبي. قال الشاعر :

كأني وأصحابي على قرن أعفرا

لا تطويا السر عني يوم نائبة فان ذلك ذنب غيرُ مغتفر

البيت مفعول أقول ، أي لا تكتما عني السر إن نابتكم نائبة .

والخِلُّ كالماء يُبدي لي ضمائره مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

يا روّع الله سوطي كم أروعُ به ... فؤاد وجناء مثل الطائر الحذِرِ

يا واقعة على مخاطبٍ مقدر يدعو،على سوطه بالتقريع لأنه يفزع به ناقته والمراد شكوى كثرة الأسفار

باهتْ بمهرة عدنان فقلتُ لهـا ... لولا الفُصيصيُّ كان المجد في مُضر

أي فاخرت الوجناء بقبيلة مهرة التي ينسب اليها خيار الإبل قبيلة عدنان لأنها من قضاعة ،والفُصيصي من تنوخ وتنوخ من قضـاعة فقلت الشرف في مضر بن نزار لأن النبوة والخلافة في مضر لولا هذا الممدوح،وإذ كان هو من قضاعة ثبت الفخر والشرف لهم لمكانه منهم . [٢٩و]

وقـد تبين قدري أن معرفتي ... مَنْ تعلمين سترضيني عن القدر

القاتل المحل إذ تبدو السماء لنا ... كأنها من نجيع الجدب في أزُر

وقاسمُ الجود في عالٍ ومنخفضٍ ... كقسمة الغيث بين النجم والشجر(١)

ولو تقدم في عصرٍ مضى نزلتْ ... في وصفه معجزاتُ الآيِ والسور

يبين بالبِشر عن إحسان مصطنعٍ ... كالسيف دلَّ على التأثير بالأثر

فلا يغرنْك بِشر من سواهُ بدا ... ولو أنار فكم نوْر بلا ثمر

يا بن الأُلى غير زَجرِ الخيل ما عرفوا ... إذ تعرف العرَبُ زجر الشاء والعكَرِ

العكر جمع عكرة القطعة من الإبل من الستين إلى الثمانين .

والقائديها مع الاضيـاف تتبعها ... ألاّفها وألوف اللائم والبِدرِ

جمالَ ذي الأرض كانوا في الحياة وهم ... بعد الممات جمال الكتْب والسِّيَرِ

وافقتهم في اختلافٍ من زمانكمُ ... والبدر في الوهن مثلُ البدر في السحر

الموقدون بنجدٍ نار باديةٍ ... لا يحضُرون وفقد العزّ في الحضر

يقول انهم من الموقدين نار الضيافة بمكان مرتفع ، ومعنى لا يحضرون يقيمون بالبادية ولا يقدمون الامصار حيث يفقدون بها العزّ الذي يحصل لهم بالبادية من قرى الأضياف

إذا همى القطر شبّتها عبيدُهمُ ... تحت الغمائم للسارين بالقُطر

القطر العود،أي يوقدون العود بدل الحطب ليهتدي بطيب أرجه كما يهتدي بضوء النار ولا يقوى القطر على اطفاء نارهم لكثرة ما فيها من القُطر [٢٩ظ]

---

(١) في الأصل : بين النبت والشجر

من كل أزهرَ لم تأشرَ ضمائرُهُ للثم خدٍ ولا تقبيل ذي أشُرِ

لم تأشر لم تنشط ، والأشر التحزيز في أطراف الأسنان .

لكن يقبّل فوهُ سامعيْ فرَسٍ مقابل الخلْق بين الشمس والقمر

أي لا يقبل الخد والأشر وإذا رأى فرساً جواداً قبل أذنيه ومقابل ... الخ أي قوبل خلقه بين الشمس والقمر . أشبه القمر ببياض حجوله وغرته وأشبه الشمس بشقرته .

كأن أذنيه أعطت قلبه خبراً عن السماء بما يَلقى من الغِيَرِ

يحسّ وطءَ الرزايا وهي نازلةٌ فيهب الجريَ نفسَ الحادث المكر

من الجياد اللواتي كان عوّدها بنو الفُصيص لقاء الطعن بالثُغر(١)

تغنى عن الوِرد إن سلوا صوارمهم أمامها لاشتباه البيض بالغُدُر

أعاذ مجدك عبد الله خالقهُ من أعين الشهب لا من أعين البشر

فالعين يسلمُ منها مارأت فنبت عنه وتلحق ماتهوى من الصور

فكم فريسة ضرغامٍ ظفرتَ بها فحزتها وهي بين الناب والظفر

ماجت نُمير فهاجت منك ذا لبدٍ والليثُ أفتكُ أفعالاً من النمر (٢)

همّوا فأموا فلما شارفوا وقفوا كوقفة العيْر بين الورد والصدر(٣)

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهمُ بالسمهرية دون الوخز بالإبر

تلقي الغواني حفيظ الدُرّ من حزع عنها وتلقي الرجال السّرد من خوَر(٤)

فكم دلاصٍ على البطحاء ساقطةٍ وكم جمانٍ على الحصباء منتثر(٥)

دع اليراعَ لقوم يفخرون به وبالطوال الردينيات فافتخرِ

فهن أقلامك اللاتي اذا كتبتْ مجداً أتت بمدادٍ من دم هدرِ

وكلّ أبيض هنديٍّ له شطب مثل التكسر في جارٍ بمنحدر

تغايرت فيه أرواحٌ تموتُ به من الضراغم والفرسان والجُزُر

روضُ المنايا على أنّ الدماءَ به وإن تخالفن أبدالٌ من الزّهر

[و٣٠]

(١) الثغر : مفردها ثغرة وهي اللبة والنحر .

(٢) اللبد : الشعر بين كتفي الأسد .

(٣) العير : حمار الوحش .

(٤) السرد : الدروع

(٥) درع دلاص : براقة .

ما كنت أحسب جفناً قبل مسكنه في الجفن يطوى على نار ولا نهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها مشي على اللج أو سعي على السعر
قالت عداتك ليس المجد مكتسباً مقالة الهجن ليس السبق بالحضر
رأوك بالعين فاستغوتهم ظنن ولم يروك بفكر صادق الخبر
والنجم تستصغر الأبصار صورته والذنب للطرف لا للنجم في الصغر
ياغيث فهم ذوي الأفهام إن سدرت إبلي فمرآك يشفيها من السدر

جعل الممدوح غيث فهم ذوي الأفهام ، لأن الخواطر والفهوم تحيي بوصف مكارمه ، ويروى يا غيث فهم بالتنوين وفهم قبيلة من تنوخ منها الممدوح وذوي الأفهام نعت فهم ، أي أنه لهذه القبيلة بمنزلة المطر وسدرت ابلي أي حارت ويروى عن السدر .

والمرء ما لم تفد نفعاً إقامته غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يسر
فزانها الله أن لاقتك زينته بنات أعوج بالأحجال والغرر

أي زان الله هذه الابل ان لاقتك ، زينته بنات أعوج أي الخيل التي هي من [ظ ٣٠] نتاج أعوج ، وهو فحل تنسب إليه الخيل .

أفنى قواها قليل السير تدمنه والغمر يفنيه طول الغرف بالغمر

الغمر بالفتح الماء الكثير ، وبالضم القدح الصغير ، أي أفنى قواها إدمان السير القليل .

حتى سطرنا بها البيداء عن عرض وكل وجناء مثل النون في السطر

عن عرض أي عن ناحية ، والمعنى أنا قطرنا الابل في الصحراء بعضها في أثر بعض مثل سطور الكتاب

علوتم فتواضعتم على ثقة لما تواضع أقوام على غرر
والكبر والحمد ضدان اتفاقهما مثل اتفاق فتاء السن والكبر
يجنى تزايد هذا من تناقص ذا والليل إن طال غال اليوم بالقصر
خف الورى وأقرتكم حلومكم والجمر تعدم فيه خفة الشرر
وأنت من لو رأى الانسان طلعته في النوم لم يمس من حطب على خطر
وعبد غيرك مضرور بخدمته كالغمد يبليه صون الصارم الذكر
لولا قدومك قبل النحر أخره إلى قدومك أهل النفع والضرر

سافرتَ عنا فظلَّ الناس كلهمُ يراقبون إياب العيد من سفَرِ
لو غبتَ شهرَكَ موصولاً بتابعه وأبْتَ لانْتقلَ الأضحى إلى صفرِ
فاسْعدْ بمجدٍ ويوم إذسلمت لنا فما يزيد على أيامنا الأخَرِ

يعني فاسعد بمجدك ويومك هذا أي يوم العيد فانه عيد لا يزيد على سائر الأيام التي نراك فيها

[٣١و]

ولا تزَلْ لكَ أزمانٌ ممتّعة بالآل والحالِ والعلياءِ والعُمُرِ

وأورد له قوله : (١)

حيِّ من أجل أهلهنّ الديارا وابك هنداً لاالنُّؤى والأحجارا
هي قالت لما رأت شيب رأسي وأرادتْ تنكّراً وازورارا (٢)
أنا بدْر وقد بدا الصبح في رأســك والصبح يطرُدُ الأقمارا
لستِ بدراً وإنما أنتِ شمس لا ترى في الدجى وتبدو نهارا

وأورد له قوله (٣) :

وصفراءلوْنَ التبر مثلي جليدة على نوَب الأيام والعيشةالضّنك
تريك ابتساماً دائماً وتجلداً وصبراً على ما نالها وهي في الهُلك
ولو نطقت يوماً لقالت أظنكم تخالون أني من حذار الردى أبكي (٤)
فلاتحسبوا دمعي لوَجدٍ وجدته فقدتَدمعُ الأحداق من كثرة الضحك

هذا آخر ما أورده الباخرزيّ في الدمية لأبي العلاء .

نبذة من الكتاب المعنون بالفصول والغايات

وهــذه نبذة من الكتاب المعنون بالفصول والغايات وهو الذي أشار إليه الباخرزي أوردناها ليعرف الواقف عليها ماهيته .

قال أبو العلاء : أنشأت كتابي المعروف بكتاب الفصول والغايات ونظمته على حروف المعجم سوى الألف لأني بنيته على الرِدْف وقد نجز بحمد الله كتاب غايات وفصول يتبعه كتاب أيكٍ وغصون ،وقلت ذلك لعل بركة ذاكرٍ لله منيب تدركني وأنا حي أو ميت

---

(١) سقط الزند ص ٥٢ . شرح التنوير ج ١ ص ٢٠١

(٢) في الأصل : وقد رأت .

(٣) سقط الزند: ص ١٣٢ . شرح التنوير ج ٢ ص ١٨٨

(٤) في الأصل: من حذار النوى .

نبذة من الفصول والغايات [ظ٣١]

غاية:(١) إذا أحب الأولُ القديم أرسل أمّ حندُب وأم عوف فحملتا رضوى وثبيراً حتى يلحقا بالجارية والبرجيس، وغيرُ معتاص عليه أن يجعل جناح الجرادة واصلاً من المشرق إلى المغرب ولو أمر لشربت ماءً الدأماء.

غاية: (٢) اخصب السعدان، وساحت القُلُبُ لإبلٍ حملت أهل الطاعة، وطالبي مرضاة الله يُهلونَ فوقها بالتحميد ويرقبون الفرقد على غير سبيل، ويتباشرون باعلام سُهَيل، مناسمها تهدمُ بناء الشياطين، وذَريفُ عيونها تخمدُ أجيج السعير، ولغامها نور في القيامة، وبغامها (٣) استغفار للمدلجين، وأوبارُها أشرفُ من سَرق الحرير، وهي من سُرىَ الليل كقسيّ السراء.

غاية: (٤) سبق عزّك الأماكنَ وحدَّ الزمان، ولك المنة على كل حيوان، ما أدرك سواد الخلد وسوادَ الظلام والأضواءَ، ضوء الصبح وضوء البصر وضوء الأبصار ما من شيء إلا علمك به محيط، إحاطة أرحب محل بالمستحق صفة التحيز من الهباء

غاية: (٥) رحل اشتكت يداه فأكلتها أدويةُ الأساة، وركب السفين بعد [و٣٢]

(١) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. أمّ عوف: الجرادة. رضوى: جبل بالمدينة. ثبير: جبل بمكة. الجارية: الشمس. البرجيس: بالكسر نجم أو هو المشتري (القاموس). الدأماء: البحر.

(٢) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. السعدان: بوزن المرْجان نبت وهو من أفضل مرعى الإبل. وفي المثل: مرعى ولا كالسعدان. ساحت: ساح الماء، جرى على وجه الأرض. القُلب: جمع قليب وهي البئر. يهلون: يقولون لا إله إلا الله. الفرقد: نجم قريب من القطب. سهيل: نجم. المناسم جمع منسم بوزن مجلس وهو خفّ البعير. ذريف عيونها: دموع عيونها. ذرف الدمع: سال. الأجيج: تلهب النار. اللغام: ألغم الجمل، رمى بلغامه لزبده.

(٣) بغامها: بغمت الظبية: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها، وبغمت الناقة: قطعت الحنين ولم تمده. أدلج: سار من أول الليل وسرق الحرير: شققه البيض. قسيّ: جمع قوس. السراء: اسم مكان.

(٤) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. التحيز: الكون في حوزة أي ناحية. الهباء: الشيء المنبث الذي تراه في البيت من ضوء الشمس

(٥) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. النوش: التناول. السيف: ساحل البحر. التهزيم: من الليل ثلثه أو رُبعه.

تتضمن قدرة الله تعالى

فغرِقَ فناشته صغار الحيتان، وقذفه إلى السيف الموج فأصابت منه الطير وصنوف الهوام، حتى إذا بقي عظاماً بيضاً، وبرَدَ الليل على ركبٍ سارين حملوا عظامه وقودَ نارٍ، وارتحلوا بعد هزيعٍ، وتلك النار رمادٌ في الصبح، واختلفت الرياح فذرَّته في رؤوس الشجرَ، وأعالي الجبال، رد ذلك الجسد عينه على الله كنفس نابل أحدنابل أيسر عند الاجراء.

غاية: (١) علمه عنصر المعلومات، وقلب العادة عليه يسير، إن حكم غرَّق بالنار الحمراء، وحرَّق بالشبم في السبرات، وجعل أحداً يطير في السكاك، والسُّم القاتل شفاء من كل داء.

غاية: (٢) السماء تَدق، والبلاد تورِق، والله الموفق، والرزقُ بكرمه متدفق، أيها البخيل المشفق، أغانم الدفين أمْ مخفق، أنفق (٣) من حياته المنفق، إن نفاق الرجل نفق، والموت عجل مترفق، فعش في الزمان كما يتفق، واسأل ربك جزيلَ الحباء.

غاية: (٤) أعوذ بك رب من الجهل، فقد ارتقيت في سن الكهل، وفقدت أكابر الأهل، وقات للراغية ذهل ذهل، ليس طريق الآخرة بسهل، لا علل إلا بعد نهل، فاجر أيها الانسان على مهلٍ، طعنة الأجل أنفذ من طعنة شهل، إنما الدنيا كسرابٍ ضهلٍ، وريحُ التقريظ أطيب من رائحة الكباء.

[ظ ٣٢]

غاية: أرأيتَ حبة القفر (٥)، العارضة في (٦) سبيل السفر، والهاجمة على نقيع الجفر، يشهد خلقها بأمر. للواحد ملكِ الدهر، خالق السنة والشهر، غبتُ غيبةً بقدر، ثم رجعتُ عن هجْرٍ فما كدتُ أجدُ من شفر، بُدِّلَ مسكن بقبر، كأنهم سقوا ماء الإباء.

(١) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. الشبم: بفتحتين البرد. السبرات: جمع سبرة بفتح السين وهي الغداة الباردة وفي الحديث: «إسباغ الوضوء في السبرات» أحُد: بضمتين جبل بالمدينة. السكاك: الهواء الملاقي عنان السماء [القاموس].

(٢) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. الودق: المطر.

(٣) نفق: يقال فرس نفق الجري سريع الانقطاع. الحِباء: العطاء

(٤) هذه الغاية غير موجودة في كتاب الفصول والغايات المطبوع. الراغية: الناقة. الضهل: الماء القليل

(٥) في الأصل: حِية النقر.

(٦) هنا يبدأ كتاب الفصول والغايات المطبوع.

غاية: أحلف بسيفٍ هبّار، وفرس ضبّار، يدأبُ في طاعة الجبار، لقد خاب مُضيع الليل والنهار، في استماع القينة وشرب العُقار، أصلح قلبك بالاذكار، صلاح النخله بالآبار، كم في نفسك من اعتبار، ألا تسمع قديمة الأخبار، أين ولد يعرب ونزار، مابقي لهم من إصار، لا وخالقِ النار، مايردّ الموتُ بالإباء.

غاية: ما آمل وقد فقدتُ أبويّ، وأخذت الشبيبة من يديّ، ومشيت الى الأجل على قدميّ، حتى كدتُ أطؤه بأخمصيّ، ووقع كلّ الأيام عليّ، ونظرت عين المنية إليّ، آن اشتعال الوَضح (١) بمفرقيّ، وأنا لا أفارق الغيّ، وأصبح أخا السلامة الحيّ، وأعلم أن المُلحَد آخر (٢) منزليّ، وأن جسدي مزايلٌ للحوباء (٣).

من غاية: لله الغلب؛ وإليه المنقلب، لا يعجزُه الطاب، بيده السالب والسَّلب، سل قمراً كالجلْب، وهلالاً مثل المخلب، وليلاً جمع من الخشلب (٤) يخبرْك بالعجب.

[و ٣٣]

غاية: العمل وإن قلّ يُستكثر إذا اتصل ودام، لو نطقتَ كل يومٍ لفظة سوءٍ لاسودّت صحيفتك في رأس العام، ولو كسبتَ كل يوم حسنةً عُددتَ بعد زمنٍ من الأبرار؛ ان اليوم أئتلف من الساعِ (٥)؛ والشهر اجتمع من الأيام، والسنة من الشهور، والعُمُر يستكمل بالسنين، الرجل مع الرجل عصبة، والشعَرة مع الشعرة ذؤابة، والحجر فوق الحجر جدار، والنخلة الى النخلة حائش (٦)، والصَّيحانيه (٧) إلى الصيحانية صاعٌ، وإلى الخالق مفزَع القوم الأرباء (٨).

(١) الوضح: الشيب.

(٢) في الأصل: أخير وهو تحريف.

(٣) الحوباء: النفس. راجع: الفصول والغايات ص ٢

(٤) الخشلب: ما يتخذ من الليف والخرز أمثال الحلي، وهي كلمة عراقية ليس على بنائها شيء من العربية. راجع الفصول والغايات ص ٤.

(٥) الساع: جمع ساعة.

(٦) الحائش: جماعة النخل، لا واحد له من لفظه. وسمي حائشاً لأنه لا منفذ له أو لأنه يحوش بعضه بعضاً.

(٧) الصيحانية: التمرة نسبة إلى صيحان، اسم كبش كان قد ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت ثمراً فنسب اليه.

(٨) راجع الفصول والغايات ص ٦.

من غاية: رب جسد كالنبَث، ما صنع التراب بالجُثث، فعل بها فعل الجُثث، ولا يُفرَق بين السبط والكَث، ألحقتِ المنونُ حديداً برثّ، ما أنشأك ربك لعبث، بل اجتباك بالكرم أحسن اجتباء.

[ظ٣٣] من غاية: أنت أيها الانسان أغرُّ من الظبي المُقمِر، لست بالعامر ولا المعتمر، ولا في الصالحات بالمؤتمِر، أحسبتَ الخيرَ ليس بمثمر، بلى! إن للخير ثمرة لذت في المطعَم، وتضوَّعت لمن تنسَّم، وحسُنت في المنظر والمتوسَّم، وجاوزت الحد في العظم، وبقيت بقاء السلَم (١).

من غاية(٢): لا تغرَّنك قوة الجسد، وسواد الشعر، واقتبال الامل، فانما أنت بشفىً، تلتقط سُلاءً وسفىً، تمسي أو تصبح منصرفاً، من دار الرحلة إلى دار المُقام (٣)، ولا يعجبنك البدْن فهزْل من غير أزْل، خير من فخامة تشهد عليها بالوخامة، كم من بدن بطين، كالفدَن المَطين، لا ذكر عنده ولا فِكر، شغله عن ذكر الله صبوحٌ أو غبوق، فاترك للخالق هواك وامتهن نفسك امتهان العُسَفاء.

غاية: أستغفرك ماحيَ السيئات، من قول ليس باسناد، استكثر من السناد، كم أوطيء في الذنوب، وأضمن الحُوب بالحوب، وإذا تقوَّيتُ بفعل الحسنة أقويت، ومتى انكفأت إلى الخير أكفأت، فاسترني ربّ فعيوبي أقبح من السناد والاكفاء (٤).

---

(١) الفصول والغايات ص ٦ . تفسير: أغرّ من الظبي المقمر، مثل ويقال إن الظبي يصاد في الليلة المقمرة .

(٢) راجع أول الغاية في الفصول والغايات ص: ١٦

(٣) اختصر البديعي قسماً كبيراً من الغاية فراجعه في الفصول والغايات ص ١٥ — ١٦ الشفى: البقية . السُلاء: الشوك . السفى: شوك البهمى . البدن: عظم البدن . الهزل: الهزال . الأزل: الضيق والحبس . الفَدن: القصر . العسفاء: الأجراء واحدهم عسيف .

(٤) راجع تتمة الغاية في الفصول والغايات ص ٣٥ . السناد هاهنا المخالفة . والايطاء: تكرير القافية في الشعر . ويروى عن أبي عمرو الشيباني أنه نزل به أعرابي فقدم اليه طعاماً فيه لونان متساويان فقال: يا أبا عمرو قد أوطأتَ في طعامك . والتضمين: أن يكون المعنى يحتاج إلى البيتين من الشعر . والإقواء في الشعر اختلاف إعراب الرويّ وهو هاهنا مثَل، والمعنى أني لا أستمر على صواب . والاكفاء: اختلاف حرف الرويّ في —

غاية: خافوا الله وتجنبوا المسكرات، حمراء مثل النار ، وصفراء كالدينار ، وبيضاء تشبه الآل ، ولو ُهجِر أب لجناية ولد ، لحُرِم العنبُ لجريرة المدام ، فاجتنبوا ما ُيذهب العقول فبها عرف الصواب (١) .

[و ٣٤] من غاية : كل جبار وعاتٍ ، وماضٍ من الناس وآتٍ ، ينظر إلى جبار السماوات ، نظر المربوب إلى الرّاب (٢) .

غاية : إن معابي لكثير ، فجازِ مولاي بالإحسان رجلاً أعلمني بعيب فيّ، إما غيّرته وإما سترته ، أو عرفت مكانه فأضمرته (٣) .

من غاية : في النية شاهد لك بالوحدانية ، والوَشل بقدرتك يتمشّل ، وفي اللاجة ، بك أعظم الحجة (٤) .

من غاية: نجع التأنيب في المُنيب، وهبت ريح ذاتُ صرّ، علامة (٥) المُصِر، يا قلب هلمّ وهاتِ ، أأعتُبك أم هيهات ، جل الأمر عن العتاب (٦) .

من غاية : فأعدّي المطية لبعد الطّية ، والوِقاء من طول الشقاء (٧) ، أنا معترف مقرّ (٨) ، أشهد أن ُسهْد الدنيا َمقِرٌ وأن غنيها مفتقر ...

ـ نفسه مثل أن يكون مرةً طاءً ومرةً دالاً . وأكثر ما يقع ذلك في الحروف المتقاربة مثل السين والصاد والطاء والدال قال الراجز : جارية من ضبة بن أدّ * كأن تحت درعها المنعَطّ . َشطاً أُرِزّ فوقه بشط . وإنما يوجد ذلك في أشعار النساء والضعفة من الشعراء .

(١) في الأصل : « ولو هجر ولد لجناية أب » وهو خطأ . راجع الفصول والغايات ص ٤٠ — ففيها تتمة الغاية .

(٢) كامل الغاية في الفصول والغايات ص ٤٢ . المربوب : ابن امرأة الرجل من غيره، والرجل رابّ .

(٣) الفصول والغايات ص ٤٣ .

(٤) الفصول والغايات ص ٤٤ الوشل : الماء القليل ، وتمشل : إذا سال قليلاً قليلا .

(٥) في الأصل بملازمة.

(٦) هنا تنتهي الغاية . الفصول والغايات ص ٤٦

(٧) تتمة هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٤٦

(٨) تتمة الغاية في الفصول والغايات ص٤٧ . المقر: الصبر ويقال أنه شيء يشبهه

من غاية (١): إن سرَّتك السلامة من الناس ، فكن لله غيرَ ناس (٢) .

من غايه : لا تقدم المحلب(٣) ، إلى ذات المخلب ، فانها تبدّل رغبتك سدماً ، وتملأ العُسَّ دماً ، فاسترزق ربك فانه ربُّ الاقتدار (٤) ، لا تمار ولا تباه ، وقس الأمور بالاشباه ، فالله المشاكلُ بين المشتبهين .

[ظ٣٤]

من غاية (٥) ليس الكوكب الدُّرّي ، كوكب دَرّي ولا العَفَراء من الفراء ، أيها المسوء ، عذْ بالله من السوء َنخِبْتَ(٦) أو ِخبتَ ، إن عبدتَ الجِبْتَ (٧) .

من غاية :(٨) ، حبُّ السِّلاء ، أوقعك في السُّلاء ، فرح الملأ بالكلاء ، جاء اللِّبأ (٩) ، وذهب الوبأ (١٠) .

من غاية :(١١) ليس على القمر وسم ، أنه رأته طسمُ ، لقد بقي اسم ، ودرس الأسمُ ، كُنيت وأنا وليد بالعَلاء ، فكأن علاء مات ، وبقيت العلامات .

من غايه : (١٢) أحبُّ الدنيا كأنها تحبُّني ، والحرص يوِضعني ويخبني ،

---

(١) تتمة هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٨٨ .

(٢) في الفصول والغايات: فكن للخالق .

(٣) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٨٨ .

(٤) تتمة الغاية في الفصول والغايات ص ١٩٠ . السدم الحزن والندامة في الوجه . العسُّ : القدح الكبير .

(٥) الفصول والغايات ص ١٩٣

(٦) نحبت: جبنت وضعف قلبك .

(٧) الجبت : كل ما عُبد من دون الله تعالى .

(٨) هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٩٨ في الأصل: فرح العالم ير واللباء والوباء وهو تحريف . السلاء : مايلسى من الشحم والسمن ونحوهما . والسُّلاء : الشوك ، ويقال هو شوك النخل .

(٩) اللبأ : أول اللبن في النتاج .

(١٠) مثل الوباء بالمد .

(١١) تتمة هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢٠٩ في الأصل ودرس الرسم .

(١٢) هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢١٥ . يألبنى : يطروني . يلبني : يقابلني . واشتقاقه من أن لبة الرجل تكون بحذاء لبة الآخر . وحكى أبو زيد : داره تلبُّ دار فلان أي تقابلها . والبغاث : صغار الطير وما لا يصيد منها . وقال بعضهم : البُغاثُ ضربٌ من الطير أعظم من الرَّخمة .

والغريزة عن الرشد تذبني، والخالق يغذوني ويربّني[1]، أرتفع والقدر يكبّني، يألبني دائماً ويلبّني، كم استنسر وأنا من البُغاث .

من غايات : يا نفس كأني بك وقد بِنتِ [2]، من غير ابنٍ لك ولا بِنت، فسُئلتِ عمّا دِنت [3] وصدقت في ذلك ومِنتِ، طالما رِنت وأرنْت، فالآن خبت وخُبنت، أما عملك فشِنت، أردت الزّين فما زِنت، فرحمك الله إذ حِنت [4]، أمر الآخرة جِد، وأمر الدنيا جَدّ، وسيصرم الانسان ويُجدّ، كما ذهب الأب والجدّ، فاقتنع بماء الجُدّ، ولبن الجَدود، فإن جديد الأرض سيصبح وهو خلاء [5]، كنت جنيناً في حشى الوالدة، وأصير جنيناً في بطن الأرض، فطوبى لمن جعل خيفة جَنانه من الله جُنّة يستتر بها من سوء العقاب [6]، هل لك في مصباحٍ، من المغرب إلى الصّباح، كلمة لا يبيضّ منها الدّم، وليس وراءها ندم، ولا يلخَن [7] منها الأدَم، كأنها زهرة في الطيب، أو جوهرة في القدر الثمين، تُثنى بها على ربك، وتترك مجالسة كلّ مغتاب، فمُه لمعايب القوم نفّاث [8] .

[و ٣٥]

غاية : استأثر مولانا بالثناء، وله العظمة والكبرياء، حياتك عليك أمسَكَ ثم انه أمسَّك، مسْكاً من رحمته، فطيب جسدك بذكره، وفي قدرته

---

(١) يربني : يكافني ويصلح أمري. يكبني : يصرعني.

(٢) بنت : من البين وهوالفرقة وأراد به الموت.

(٣) عما دنت : من الدين وهوما يتدين به .

(٤) راجع أول الغاية وآخرها في الفصول والغايات ص ٢١٩ رِنت من الرّين، وهو ما يركبُ القلب ويغطى عليه . وأرنتِ من الأرَن وهو النشاط . وخُبنتِ : من خُبن الثوب إذا قطع ثم خيط ليقصر . حنت : هلكت .

(٥) أول هذه الغاية وآخرها في الفصول والغايات ص ٢٢٠ — ٢٢١ ورد في الأصل : ذكر الدنيا قبل الآخرة . الجُدّ البئر الجيدة الموضع من الكلأ والجدود : القليلة اللبن . وجديد الأرض : ظاهرها .

(٦) تتمة الغاية في الفصول والغايات ص ٢٢٦ .

(٧) يلخن : ينتن .

(٨) الفصول والغايات ص ٢٢٦ . ورد في الأصل : « فه بمعايب القوم .. »

المتمكّنة أن يُجنى عنبر عن بر ، ويُمتاح الكافور من قلب الكفور ، لا تطامن لتضيء دنياك فتظلم آخرتك ، فظلام الدنيا متجلٍّ ، وظلام الآخرة واقع بالخطب الأجل ، ليس عسل الذيب ، كعسل المذيب ، ففارق بين الأسماء ولا تكن أسنانك أسنّة ، تطعن بها في حق أخيك ، ولا تلقَ في لهاتك لهوةً من الغيبة [ظ٣٥] فانها كالمنّ الضربي ، وغبُّها حدٌّ وبيٌّ ، إنها تفسد النكهة العطرة ، والرضاب كالماء الغريض ، والثغر مثل الاغريض ، فيجعل الريق كصري نقيع ، والضواحك مثل حشرات البقيع ، وتذهب الأشر ، وتجعل اللثّة كمروج الصليب ، فاذا انقضت المدة لم تق حرابيُّ الدروع شبا الحراب .

من غاية : الله أنعم وأجمل ، وحاش الحسنَ منَ الأسن ، لا بد لقصير من نصير ، والأعمال غير اهمال ، ولربنا الكمال والاكمال ، فاجعل بنانك معطالاً من خاتمك ، وحلّ بها بنان سائلك ، فجمالك به في يده ، أكثر من جمالك به في يدك ، ويا أيتها الغنية المموّلة أصبحت فتصبّحت صبحةً من نوم ، وصبوحاً مما اقتدر واحتلب في الأشوال وابن جارتك ضرم لفقد الطعام ، تمسين وأنتِ تميسينَ ، في موشيٍّ من غدافك إلى العشّي ، وجارتك لا تستنير بنجادٍ تنظمين عقوداً تحلينَ بها عقود الدين ، السوار سوءٌ أوارٌ ، والخلخال خلٌّ مودّةٍ خالٍ ، ما أجدر حلي النضار ، أن يكون في الآخرة حجل نارٍ

[و٣٦] من غاية : ما تصنع أيها الإنسان بالسنان ، إنك لمغترٌ بالغرار ، كفت المنية تأثراً ما أراد ، ليستيقظ جفنك في تقوى الله ويهجعْ نصلك في القراب .(١)

من غاية: (٢) موتُ كمد ، خير من سؤالٍ مُجمدٍ ، ورضاعُ لوعٍ ، ولا انتصارٍ بهلوعٍ ، ولقاءُ فهرٍ ، أسهلُ من لقاء مكفهرٍ ، والندم(٣) بعد إراقة الدّم [شيء لا ينفع(٤)] كردّكَ أمس ، أو عقدك حبال الشمس ، [لا أسف ما سلف لا يعود إلى يوم الخلود(٥)] ، وسعف النخيل خيرٌ من إسعاف البخيل ،

(١) الفصول والغايات ص ٦٢ . الغرار : حد الرمح .

(٢) الفصول والغايات ص ٦٨ .

(٣) وردفي الأصل : والتكرم عوضاً عن الندم .

(٤) غير موجود في الفصول والغايات .

(٥) غير موجود في الفصول والغايات . الانقضاب : الانقطاع .

ورعيُ الرِّخال ، أكرم من الحاجة إلى عمٍّ وخالٍ ، والبختُ كأنه نهار أو فختٌ لا بدَّ له من انقضاب .

تتضمن التوحيد

غاية (١): لا أعلم كيف أعبر عن صفات الله وكلام الناس عادةٌ واصطلاح ، وإن فعلت ذلك [حشيت(٢)] التشبيهَ ، [وأشركت(٣)] الضعفةَ العاجزين مع القويّ القادر في بعض المقال [لكني أصفه بما وصفَ به نفسه من الصفات الراجعة إلى الفعل والذات فما رجع إلى الذات فلم يزل موصوفاً به ولا يزال ، وما رجع إلى الفعل فصفات كائنة في خلقه لخلقه أوجدها بعد أن لم تكن ، فوُصِف بها من حيث التكوين لها ، وليس إذا قلتَ فعلَ الأولُ وأنت تريده تعالى وفعلَ الأولُ وأنت تريد بعض خلقه تساوى الحكمان(٤)] ، وهيهاتَ ما أبعد بين الفعلين ! لولا اجتهادُ الناطق ، [واتباع كتاب الله وسنة نبيه ﷺ(٥)] لفضلتُ السكوتَ ، [وتبارك ربنا عن الشبهات ، وجلَّ عن نقائص الصفات(٦)]

[٣٦ظ]

غاية (٧) : أتدري ما يقولُ المزهر أيها الطَّرِب بالجذلان ! ، إنه يسبحُ الله عزَّ وأثار بطرائقَ ثمانٍ ، بين [ثقائل إلى خفاف(٨)] ، وهو في ذلك يقولُ : ستذوي الروضة وتُرمُّ القينةُ ، ويموتُ الشربُ ، وتصبح [الديارُ(٩)] آياتٍ .

غاية : لو أنصفتَ يابن حوّاءَ ، ولمن تنصف . ألا أعزِّ الناس عليك أعني نفسك ، إذن لانزجر قلبك ، وقصر أملك ، وشغلك الحقُّ عن الأباطيل

(١) الفصول والغايات ص ٨٨ . لقد زاد البديعي في هذه الغاية بعض المقاطع ، وهي غير موجودة في الفصول والغايات وقد نبهنا إليها ، وقد يشعر القارئ بهذه الزيادات لاختلاف الاسلوبين .

(٢) في الأصل : لم أرُد التشبيه .

(٣) في الأصل : ولا إشراك .

(٤) غير موجود في الفصول والغايات ولعل هذا المقطع من إنشاء البديعي .

(٥) غير موجود في الفصول والغايات .

(٦) غير موجود في الفصول والغايات . ولعل هذين المقطعين من إنشاء البديعي .

(٧) الفصول والغايات ص ٨٨ .

(٨) في الأصل : بين خفائف وثقال .

(٩) في الأصل : وتصبح الدار تفسير : المزهر : العود ويقال إنه شيء من الملاهي غيره .

وعددْتَ في ترنم النوادب[١] ترجيع[٢] القينات[٣] .

تتضمن ذكر الالف

غاية : هل تشعر الألف ، ولتشعرنّ إن شاء الله أنها تجد الله متوسطةً ومنتهى ورويّاً ليس بمُجرىً ، وتأسيساً في البناء ، ومنقلبةً عن الواو والياء ، وزائدةً للمعنى ولغير المعنى ، وتأسّف ، أنها لا تستأنف ، فتقدّس بجميع الحركات .

غاية : إفتد منْ أسرك بخسرك ، وأفق سهام شكرك ، وأفق من سكرك ، واجعل خوف الله نُصب فكرك ، والموت غير خالٍ من ذكرك ، اسودّ عملك فما حزنت وحزنتك بيض الشّعَرات

[و٣٧]

من غاية : أخذ ربنا بفضله ، وفرح الوارث لجهله ، نعيم كلبٍ في بؤس أهله ، حبذا التراث لولا فرط ذله ، من لك بأخيك كله ، نُسخ يومك بمثله ، وكفاك السرْحُ[٤] بظله .

تتضمن ذكر حروف

من غاية[٥] : ربنا شافي الاسقام ، [والجادب أحق بما قال من الجديب[٦]] ، لو شاء ربنا قالت راء عامر في قيل زياد ، لهاء أميمة كالعناد ، لِمَ[٧] حملت الاحكام ؟ ، فقالت : كما حذفتُ [في عام] [٨] ، أنا زائدة ، والزائد يجب أن يكون البائد[٩] ، وأنت خيم ، فكيف حذفك الترخيم ، والله بقدرته يعلم النطق الحروف ، وهي لخشيته مستشعرات ، لا أرينك[١٠] تفتخر فيقال بعد الآخر ، والله مذل المتكبرين ، [لو أذن] [١١] ، قالت ميم قم إذا لقيتها الألف

(١) النوادب : النائحات على الميت بأحسن أوصافه وأفعاله .

(٢) الترجيع : ترديد الصوت في الحلق .

(٣) القينات : الجواري والمغنيات .

(٤) السرح : شجر كبار عظام طوال لا يرعى وانما يستظل فيه وينبت بنجد في السهل . راجع الفصول والغايات ص ١٠٧ .

(٥) انظر أول الغاية في الفصول والغايات ص ١٢٠ .

(٦) في الاصل المخطوط « والحادث احق بما قال من الحديث » وهو تحريف .

(٧) في الاصل « لمن » .

(٨) سقط في الاصل : في عام .

(٩) في الاصل : « والزائدة يجب ان تكون البائدة » .

(١٠) اول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٢١ .

(١١) في الاصل : « لو شاء » .

واللام ، لألف قام لم لا تحرّكين ؟ فقالت : أصابك ألم ! ، إذا كانت الحركة كسراً فالسكون أسلم والله يميت الحركات .

غاية (١) : رب أبلغني هواي ، وارزقني منزلاً لا يلجه سواي ، من دخله أمن ، فهو كعند وأنا كمنْ ، ولا تجعلني رب في الصالحين كواو الخزْم ، والثابتة في الجزْم ، واثبت اسمي في ديوان الابرار ، مع الاسماء المتمكّنات . [ظ ٣٧]

تتضمن ذكر العروض

غاية (٢): ألتفتُ إلى ذنوبي فأجدها متتابعة كحركات الفاصلة الكبرى وأستقبل جرائم تترى ، طوالاً كقصائد الكُميت الأسدي مختلفة النظم كقصيدتي عَبيد وعَديّ ، وأجدني ركيكاً في الدين ، [ركاكة] (٣) أشعار المولّدين ، سبقتهم الفصاحة وسبقوا أهل الصنعة ، وأعمالي في الخير قصار كثلاثة أوزانٍ رفضها [المتجزّلون في قديم الأزمان] (٤) ، ولا بد للوتد من حذّ ، والسبب من جذّ ، وربّ فرحٍ ، طوي طيّ المنسرح ، فارحمني ربّ إذا صرت في الحافرة ، كالمتقارَب وحيداً في الدائرة ، وهجرني العالم هجر النون العُجُمات .

غاية (٥) : قيّدْتني [ربّ] تقييد « وقاتم الأعماق (٦) » ، فأطلقني إطلاق « عفت الديار (٧) » ، ولا تحشرني مُقعداً كبيت الربيع ، ولا أصْلمَ كثالث السريع ، ولا مخبولاً كما قُدّم سبباه فانكسر لذلك شباه ، ولا مكفوفاً كأجزاء الرمَل والمديد ، وأعوذ بك أن أحشر أثرَمَ كالجزء الاول من الطويل ، أو أشتر كالهزج القصير ، واحشرني [رب] كاملاً كبيت

(١) الفصول والغايات ص ١٢٢ .

(٢) هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٣١ .

(٣) في الأصل « كركاكة » .

(٤) في الأصل « المتحركون في قدم الأزمان »

(٥) الفصول والغايات ص ١٣٥ .

(٦) مطلع أرجوزة لرؤبة بن العجاج « وقاتم الأعماق خاوي المخترق »

(٧) مطلع معلقة لبيد بن ربيعة العامري وهو :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

العَبْسيّ ، ما له من سِيّ ، أنهض من الحفرة إلى رحمتك يوم تُبعث رِمَمُ القوم النَّخِرات .

[و٣٨] غاية (١) : ربّ وألبسني من عفوك حلالاً ، مرفّلاً يوم القيامة مُذالاً ، أحتل بين عبادك فيه ، كسابغ الكامل وأخيه مخدّداً في العيش الرفيغ ، تاماً ألحِقَ بتسبيغ كرابع الرَمل ليس بالمستعمل ، ولا تنهكْ ربّ عملي فيصبح كخامس الرّجز ، قلّ حتى ذلّ وعجَز ، أشكرُك بغير تشعيث ، فعل اليشكُريّ بالوزن الحثيث ، وإن عنترة هينم فقال : « هل غادر الشعراء من مترَنّم » ، وإني سائلك هل أنقت السيئات عندك موضماً للحسنات .

تضمن ذكر حروف
غاية (٢) : خالقي لا أحتار تشبّه الظالمين ، فان الشيئين يتشابهان . فينقلها التشابه إلى الانفاق ، كإنّ المكسورة المشدّدة أشبهت الأفعال فجاء بعدها إسمان آخرها كالفاعل وأولها كالمفعول ، وكذلك ما قاربها من الأدوات .

لاتجعلني رب معتلاً كواو يقوم ، ولا مُبْدَلاً كواو موقن تبدل من الياء . ولا أحِب أن أكون زائداً مع الاستغناء كواو «جدْوَلٍ» و« عجوز » ، فأما واو عمرو فأعوذ بك ربّ الأشياء ، إنما هي صورة لا جرس لها ولا غناء ، مشبهها لا يحسب من الذّسمات(٣) .

[ظ٣٨] غاية (٤) : الناس كبَنانك إن كان غير متساوٍ ، فانه ليس بمتباعد الشّاو ، كلُّنا ذو عيب ، رجل يَظهر ما لديه ، ورجل يستررَبُه عليه ، من كان ذا عقل سيط ، فهو كالجزء الثالث من البسيط ، أيُّ نقص غيّره ، مجه السمع فأنكره ؛ إن طُويَ ، فكأنه عُقدولوي وإن خُبنَ ، عيب بذلك وأبِن ، وإن خُبل ، فأسيرٌ حبل ، ومن كان فيه خير وشر ، والشر عنده أكثر ، فهو في الدول ، كالجزء الأول ، أما خبنه فخفيٌّ ، وأما غيره فبيّن جليٌّ ، والله ساتر العيوب ، ومن اعتدل أمراه من بطءٍ وأزَج ، كان كالجزء الثالث من الهزَج ؛ يدركه النقصان ، وأي الخلق عن ذلك يُصان ! ، أحدهما خاف والآخر ذو انكشاف ،

(١) الفصول والغايات ص ١٣٧ .

(٢) الفصول والغايات ص ١٤٢ .

(٣) النفس والروح .

(٤) الفصول والغايات ص ١٤٤ .

ومن وفقه خالق التوفيق ، كان كالجزء من الرَّجَز، لا يُعلم إذا عجز، أيّ نقص دخله ، هان على حس السامع فاحتمله ووجدت الجزء الأخرم كمسيء في غير دار، غير أنه أسند إلى جدار فهو لذلك مبين الحرمات .

تتضمن حروف الزوائد

غاية (١) : الله [مسدّد (٢)] القائلين ، جمع من مضى حروف الزوائد فجعلها « اليوم تنساه » وتلك طيرة للمتعلمين ، وقال بعضهم «هويت السّمان » وتلك دعوى تحتمل أن يبطل قائلها [في دعواه (٣)] ، فجمعتها في لفظين لا يكذب قائلها فيما قال، أحدهما « التناهي سموٌّ » والآخر « هاوني أسلم » ، وربنا مزيل الشُّبهات .

[و ٣٩]

غاية (٤) : خلدي بالخطايا مملوء ، وأنا بها أبوء ، أحملها فلا أنوء ، وعملي مكتوب مكلوء ، مُقترىً بالحفظ ثم مقروء وثوب الحياة عني مسروء ، وغير القدر هو المدروء ، لا يَبعُدمني السوء أَهمُّ بالخير وأهوء ، والأقدار دونه معترضات .

غاية(٥) [أيها (٦)] الدنيا البالية ، ما أحسنَ[ما (٧)]حلْيَتَك(٨) الحالية ، أين أممك الخالية إن نوَبَك لمتوالية ، والنفس عنك غير سالية ، تتبع أولاك التالية ، والله َ أستنجدُ على تلك الصُّعُدات(٩).

من غاية (١٠) إستغنى الأمين ، عن بذل اليمين ، وجاءك اتهام ، بسوء

---

(١) الفصول والغايات ص ١٤٦ .

(٢) ورد في الأصل « الله سدّد القائلين » .

(٣) ورد في الأصل : فيما ادعاه .

(٤) الفصول والغايات ص ١٤٩ .

(٥) الفصول والغايات ص ١٤٩ .

(٦) ورد في الأصل : «أينها »

(٧) سقط من الأصل [ما] .

(٨) حلتك : زينتك بالحلي . والحالية : التي تزين المرأة ، يريد بها هنا النفس فكأنه يقول ما أحسن ما حسنتك النفس .

(٩) الصعدات : الطرق جمع صُعد بضمتين وهو جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات والصعيد المرتفع من الأرض . وأراد بالصعدات المشاق التي يلاقيها من الدنيا .

[١٠] الفصول والغايات ص ١٥٦ .

الاوهام ، والقناعة ، نِعْم الصناعة ، والراغب ، أبداً ساغب ، فني العمر ، ولم يدر الغمْر .

من غاية (١) : والافتقاد يُذهب الاحقاد . لمن أعظِّم وأجلّ وكلنا معه بالموت سجّل ، إن من تبلى أعظُمُه لغير حدير بالتعظيم ، والأثَر بهالك البشر .

من غاية (٢) : لا يغرِنَّك النِّقاب ، بما تحتا لحقاب(٣) ، فان النفس موكلة بالضلال ، خاب سير خميس (٤) ، جهز لهوى لِميس (٥) ، يا دعدُ ، العقد ، في قلب الحاسد حقد ، والطوق ، في عنقه أوْق ، وأنت وحاسدك تصليان من الدهر بسطوات (٦) .

[ظ٣٩]

من غايات(٧) : صاحب الطّمليل في الظل الظّليل ، كأنه أبوساسان . أكلَةٌ في اليوم ، راحةٌ من اللوم ، أيها العوْد البارك ثمرٌ عقال ، ما كان بذوات الصّقال ، وأبأس هجار ، ما كان بدمجار ، فاحمد خالقك ، أنت في الرّبْل ، وعقالك من حبل ، فلا تُرَينَّ في الشاكين .

من غاية (٨) : أهل الأرب من العرب ، والقروم من آل الروم ، كأنهم حرْس عند الفرس ، فسبحان من جعل لكل أمة [لِسنا (٩)] هي بلغة المتكلّمين .

من غاية (١٠) : كم بلي تحت الكف الخضيب من الأكف المختضبات .

من غاية (١١) : وإن حيوان الأرض في قدرته أهون من المتخيّلة في حيط

---

(١) أول هذه الغاية وتتمتها في الفصول والغايات ص ١٥٨ .

(٢) كامل هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٥٩ .

(٣) الحقاب : شيء تعلق به المرأة الحلي وتشده في وسطها وجمعه حُقُب [بضمتين]

(٤) الخميس : الجيش .

(٥) لميس : اسم امرأة .

(٦) جمع سطوة وهي شدة البطش .

(٧) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٦٣ .

(٨) أول هذه الغاية وتتمتها في الفصول والغايات ص ١٦٤ — ١٦٥ .

(٩) وردت في الأصل [ألسنا] .

(١٠) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ١٦٧

(١١) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢٥٢ .

باطل ، لو شاء جعل يُنطق عباده ثناءً عليه [وكذلك هو ولكنهم لم يعقلوه[١]] ، وإن غناء القَينة تسبيحٌ عند الأبرار ، ولو كانت صخرة صماء ، [كثافتها [٢]] مسيرة ألف عام لِذُكاء في وسَطها أصغر جسم متحرك نمَّت تلك الصخرة إلى الله بحركات ذلك الجسم [نميمة [٣]] الزجاجة الصافية ، بالخمر القانية إلى عين الشارب وهي في يده على أنه في النظر كزرقاء [حوّ [٤]] أو أحد منها عيناً ، بل تلك الصخرة إلى الله أنمّ في النظر من صافي الزجاج .

من غايات[٥]: يُفقدَ [مجاور[٦]] مثل الرَّقلة ، يُسعفك[٧] ولا يَشعَفُك[٨] [٤٠٩] ويُجنيك[٩] ولا يجني عليك ، وأي أم ترُبُّك [١٠] ولا تريب [١١] ! ومن قال [يُبلِيَ] ومن سكت فطال ما كفي ، وأحسن الفضل ما شهد به الملأ لغير شاهد ، إذ كان الغائب كثير العائب ، والحاضر يُلقى بالوجه الناضر ، والدعوى رأس مال ، قلما ربح تاجره وإن صدق ، وأحب لابن آدم أن تكون مناقبه كمناقب الطرف الرائع ، والسيف الحسام ، يُذكر وهما صامتان .

من غاية [١٢] : أفلحت البطيئة ، عن الخطيئة ، والمُقْصية عن المعصية ، وما أقل المفلحين ، إنّ الموت إذا فجَع ، كرّ فرجع ، فاصبر إن ثوب العمر قد أنهج أو عزم على الإنهاج .

---

(١) في الأصل « وانهم كذلك ولكنهم لا يعقلون » .
(٢) في الفصول والغايات أضيفت كلمة « طولها » والصحيح ما أثبتناه .
(٣) في الأصل « نميم » .
(٤) زائدة عن الفصول والغايات .
(٥) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢٦٣ .
(٦) في الأصل : فقد تجاوز .
(٧) في الأصل : تسعفك ... بإبدال الياء تاء .
(٨) الشعف هنا : الذعر .
(٩) يجنيك : من اجنت الشجرة اذا صار لها جنى يجنى فيؤكل .
(١٠) تربك : تربيك وتكفلك .
(١١) تريب : من رابني فلان يريبني اذا رأيت منه ما يريبك وتكرهه .
(١٢) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢٨٦ .

من غايات (١) : يا نفس العِيار قبل الغيار ، والمشاورة قبل المساورة القليل يكفيك ، لا الدم [بك (٢)] سفيك ، ولا طالبُ الحق أفيك ، وربكِ عن وجه الأرض َينفيك .

من غاية (٣) : وإذا في صِباك ، فلا َجنوبُك ُتحمد ولا َصباك ، وإذا اكتهلتَ ، عالت وأنهلت ، فالصدَر الصدَر ، إن عدوك لقريب ، وإذا أسنّ الرجل فقد دنا الرحيل ، إن الحي ُحلوف وليس الأطيطُ بالغطيط ، و'يسمع النقيق، في الماء الرقيق ، واللجّة لها رجّة ، وإلى الخالق نتوجه ...

[ظ٤٠] من غاية (٤) . خاب السير النصيص (٥) ، إلى الدّسكرة والأصيص ، إن الأمر ِحدّ، فكن أيها الغافل من المجدين ... ، والوقت متناهٍ ، وهل من ناهٍ .

من غاية (٦) : الأحْباء يفوُتهم الحباء (٧) ، فما بال السّوَق ِ المتباعدين! ، إن الرجل [ارتبأ (٨)] ، فعلم [النبأ (٩)] ، ولم يوقظ القوم الراقدين ، فضل الصاحب وضلّ الرفيق ، وليس الأباء (١٠) ، أهلاً للإباء .

من غاية (١١) : يا نفس أصبت ، أنني إياك قصبتُ ، ما حطيت لوأني في دِ مّك وطيت ، ومن في اللاجة ، يغبط السائر على المحجة (١٢) ، ما [أحسن (١٣)] سقيمٌ ،

(١) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٢٩٩ .
(٢) سقطت هذه الكلمة من الأصل .
(٣) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص ٣٠٣ .
(٤) أول هذه الغاية في الفصول والغايات ص : ٣٠٦ .
(٥) النصيص : الجذ الرفيع .
(٦) الفصول والغايات ص ٣٠٦ .
(٧) الحباء : العطاء .
(٨) في الأصل : ارتباء .
(٩) في الأصل : النباء وهو تحريف .
(١٠) الأباء : القصب واحدته أباءة .
(١١) لقد اختصر البديعي قسماً كبيراً من الغاية . الفصول والغايات ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .
(١٢) اول الغاية في الفصول والغايات ص ٣١١ .
[١٣] في الاصل « ما أخسر سقيماً » .

هو على المعصية مقيم (١) ، إن عذر المعافى أقومُ وكلٌّ ليس له اعتذار ، سوف يُرفع على العَلَم ، ما كتب بالقلم ، فاجتهد أن تكون حسن المرفوع. أيها المسرف أنت على العذاب مشرف ... ، صرف الأمور إنك منصرف ، تحرّف القولَ لتحترف .

من غاية(٢): ينبغي لمن يرث، أن يحترث ، وإلا فنيَ [التراث(٣)] ، وخزائن الله لا تنفد وفيها الأرزاق. قد أحذتُ[في(٤)] كل الانحاء فرأيتُ مرَضَ الأصحّاء ، أرْوَح من سؤال الأشِحّاء ... (٥) ، لا خير في الالجاج والالحاء ، الأمر وِحيٌّ فعليك بالوَحاء..(٦) وللغبطة رجال؛ فأما أنا فلا غبطة ولا ابتهاج.

تمت النبذة

وهذا كلام إذا تأمله المتأمل علم أنه بعيد عن المعارضة وهو بمعزل عن التشبيه بنظم القرآن العزيز والمناقضة .

[و ٤١]

وزعم بعضهم أنه قيل لأبي العلاء: ما هذا إلا جيد إلا أنه ليس عليه طلاوة القرآن الكريم، فقال: حتى تصقله الألسن في المحاريب اربعمائة سنة وعند ذلك فانظروا كيف يكون .

وأورد الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي(٧) من هذا الكتاب فصلاً وهو (٨) :

أقسم بخالق الخيل ، والريح الهابة بليْل ، بين الشَّرَط ومطالعِ سُهَيْل ، إن الكافر لطويلُ الويل ، وإن العمر لمكفوف الذيل... [وإياك (٩)]ومدارج السيل ، [وعليك (١٠)] التوبة من قُبَيل ، تنجُ وما إخالك بناج .

(١) في الاصل « مقيما » .

(٢) اول الغاية في الفصول والغايات ص ٣١٣ .

(٣) في الاصل : « التراب » .

(٤) سقطت في من الاصل .

(٥) و (٦) الفصول والغايات ص ٣١٣ - ٣١٤ .

(٧) هو الأمير الشاعر الأديب صاحب الديوان المشهور وكتاب سر الفصاحة ، توفي سنة ٤٦٦ ﻫ .

(٨) هذه الغاية بتمامها في الفصول والغايات ص ٢٥٣ — ٢٥٤

(٩) في الأصل : « اتق » .

(١٠) في الاصل : « وطالع » .

ويقال إن الذين نسبوه إلى معارضة القرآن العزيز بهذا الكتاب وهو الفصول والغايات، كانوا من أهل زمانه يحسدونه على فضله ومكانته من أبناء زمانه، فتصدوا لأذاه وتتبعوا كلامه وحملوه على غير المقصد الذي قصده كما هو عادة ابناء كل زمان في افتراء الكذب واختلاق البهتان .

وقد ألف هو كتاباً في الرد على من نسبه الى معارضة القرآن والجواب عن أبيات استخرجوها من نظمه ورموه بسببها بالكفر والطغيان وسمّى الكتاب « زجر النابح » (١) رد فيه على الطاعن في دينه والقادح .

[ظ٤١] وكتابه الذي سماه «الايك والغصون »(٢) وهو المعروف بالهمزة والردف يشتمل على ما اشتمل عليه الفصول والغايات من تمجيد الله تعالى والثناء عليه والمواعظ .

قال ابن العديم : كتاب الأيك والغصون نحو ستين مجلداً .

قال ابن خلكان : بلغني ان لأبي العلاء كتاباً سماه الأيك والغصون . ثم قال : وحكى لي من وقف على المجلد الاول بعد المائة من الكتاب المذكور وقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا ؛ ولم ينسبوه فيه الى معارضة القرآن العزيز كما نسبوه في الفصول والغايات مع أنهما على نمط واحد .

---

(١) يقول ياقوت: معجم الادباء ج٣ ص١٥٣ ما يأتي: « .. كتاب زَجر النابح، يتعلق بلزوم ما لا يلزم ، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم ، يريد بها التشرر والاذيّة، فالزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا ، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره ».

(٢) قال ياقوت : معجم الادباء ج ٣ ص ١٤٧ : « الكتاب المعروف بالأيك والغصون وهو كتاب الهمزة والرِّدف بخطه [أوله بخط احمد مستملي أبي العلاء] يبنى على احدى عشرة حالة ، الهمزة في حال إفرادها وإضافتها ؛ ومثال ذلك : السماءُ بالرفع — السماءَ بالنصب — السماءِ بالخفض : سماء يتبع الهمزة التنوين . سماؤه : مرفوع مضاف ، سماءه منصوب مضاف ، سمائه مخفوض مضاف . ثم يجيء سماؤها وسماءها وسمائها على التأنيث . ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل عباءهْ وملاءهْ ؛ فاذا ضُربت في حروف المعجم الثمانية والعشرون خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول وهي مستوفاة في كتاب الهمزة والرّدف . وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف ، وهي الواو المضموم ما قبلها، والواو التي قبلها فتحة ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً ، كما ذكر للألف » .

نبذة من كتاب الأيك والغصون

وهذه نبذة من كتاب الأيك والغصون متضمنة للمع والعيون .

قال أبو العلاء :

لولا ما أصفق المتعبدون [عليه(١)] من تمجيد الله ؛
لوجب أن لا يذكر اسم الله تعالى اجلالا وهيبة ؛
وأن لا ترفع أنملة إلى السماء إعظاماً وتأثماً
الخمصة للفحل وجاء(٢) ،
لا يستثيرن غضبك هجاء ،
للأقدار النظرة والفجاء(٣)

☆☆☆

إذا نزل قدرك فلا راق (٤) ،
وإذا هلك عبادك فأنت باق .
أين المتأسف على قومه ؟
لقد شغل بلقاء يومه .
افرح بالحسنة اذا صنعتها ،

[و ٤٢]

واندم على صلاتك متى أضعتها .
الأمل والحرص متواخيان ،
والزهد والعبادة نسيبان .
خير ما تنطق به ثناؤك على خالقك ،
وكيف ثناؤك على ما لا تعرفه ؟ ،
إنما دلك عليه الصنع ،
فمعرفتك وقعت بالأفعال دون من فعل ،
والله حكيم والمعرفة بربنا عوصاء .
كلت الألسن عن صفتك .
تؤمن بك ونشق بعزتك ،

(١) ساقطة في الاصل وأصفق : أجمع .
(٢) الخمصة : الجوع ، والوجاء القطع .
(٣) أي الامهال والمباغتة .
(٤) المراد بالراقي هنا : الواقي .

ونسألك أن توسعنا من رحمتك،
كذب المادح سوى مادحك[١] ،
سبحانك — رب المملكة — ما لها انقضاء .

٭٭٭

احذر صديقك وصاحبك ،
مثلما تحذر عدوّك ومحاربَك .
اذا انتوت [٢] بصديقك نوى فلا تنْسَه ،
واذكر ملاطفتك اياه وأنسه .
كاشف صاحبك المعصية وازعجه ،
وأكرم الناسك ولا تهجْه ،
وأحسن الى فقيرك وابهجْه .
من أراد من الدنيا حظاً هضم نفسه في خدمها ،
ومن ادركها من غير نَصب فذلك جرى مجرى
الشاذ لا يحتمل قياساً عليه .
كم قومٍ في حب العاجلة قد اضّمنوا ،
وخلّفوها بعد ذلك وظعنوا .
قل ما بدا لك أو اصمت ،
كلنا سمْتَ الآخرة يسمُت[٣] ،
أقبح من الغيّ الاغواء .

٭٭٭

إذا سقيت عافيَك [٤] فاسقه محضا ،
وإذا سالت ربك معيشتك فاساله خفضا ،
ولا تذمّ صاحبك شذَرَغاً[٥] وبغضا ،

(١) في الأصل « مادحيك » .
(٢) أي بعد به البعد .
(٣) أي وجهة الآخرة ينحه .
(٤) العافي : الطالب للفضل .
(٥) اهلاكاً .

واغفر له ما اجترم تفضّلاً وغمضا .

[ظ٤٢]

كيف لا أحذر وأتقي ،
هل خُلّد أحد وبقي ،
يا ربَّ مَنْ سعد وشقي ،
لقنا برحمتك خير ما لقي ،
فان الهوّة اكول فوهاء(١) .

***

اشجع فان أقدار الله لا تعجل الى الشجاع
ولا تنكصُ عن لقاء الجبان ،
فلا تكن من قوم نخباء(٢)

***

اذا رزقت الظفر فأحسنْ ،
وقيد فرسك وأرسن(٣) .
وخاصم نفسك فإنها عدوة ،
واصبر على أقاربك فان الصبر عليهم مروّة ،
واعلم أن عبادة ربك جنة مجفوّة .
لا تعين أحداً بأمر ،
فتطأ على مثل الجمر
اصبر على ما حكم ربك وإياك وليت الكاذبة
ولو الغارة(٤) وعسى المخلفة ولعلّ الخالبة ،
وابك على خطيئتك ولا تكونن كالرجل يبكي العداء .

***

لا تملّن من استغفارك ،

---

(١) واسعة الفم .
(٢) نخباء جمع نخيب وهو الجبان الذاهب القلب .
(٣) الارسان : شد الرسن .
(٤) في الاصل : الغرارة .

وواصل التذكرة وداركِ (١) ،
واخف الكلمة في إضمارِك ،
ولا تزيدن جرائمك باعتذارِك .
أعدّ سنة بعد سنة ،
فمر الزمان وأنا في سنة (٢) .
إن الله يرفع المتواضع ويعينه ،
ويذل المتجبر ويهينه .
إذا كان جليس الرجل يعينه على طاعة الله ،
فالمجالسة افضل من التوحيد ،
واذا كان الجليس يغمسك في المعصية فبادر الاخلاء .

***

المؤمن بليغ وكأنه عيّ ،
ومحسن في الباطن وكأنه مسيّ
في كل نفس أعجوبة ،
والحقائق عن البشر محجوبة .
من كفر فلا تُلاحه (٣)، [٤٣و]
حسبه سيء صباحه ،
في مغداه ورواحه ،
فكان مثل الكلب الأخرق جازى المطعِم بنباحه ،
لا تغبط الثمل براحه ،
وارثِ له من اجتراحه ،
لو رضي ببارد من قراحه ،
لرجوت أن يظفر بفلاحه (٤) ،
على أن الملك محسن في كل الانحاء .

---

(١) امر من المداركة .
(٢) السنة : النوم .
(٣) الملاحاة : اللوم .
(٤) في الاصل [بفلاحه] .

يا نحو يا نحو ،
حُق لما كتب منك المحو ،
ما أنت وما الحاجة اليك ،
انما يُفتقر الى تقوى الله ،
ما أشغلني إذا نودي بي عن أحكام النداء .
ما ترخيمٌ ورُضِع ،
وكلامٌ ضم وجمع ،
جر بالاضافة ونصب على الاغراء .

✿✿✿

استغفر ربك وتب ،
هل تنفعك هذه الكتب ؟
انظر الى من شئت من أهل الزمن ،
تجده في عناء ومحن .
قضى بالجهل المتكهن ،
فاذا هو بالجهل متلهن(١)
كلنا يظلم ويحوب (٢) ،
والرجل إلى الهلكة يجوب .
يندم الثَّمل اذا صحا ،
ويعلم أنه جهل فيما انتحى .
إذا لاقيت جارك فحيّه ،
وان نزح به الزمن عن حيّه .
لو وجدنا غير القناعة لأخذناه ،
أبى علينا الغصن لما جذبناه .
من يذكر الله بلسان ،
ويفعل أفعالاً غير حسان ،
فبَعُدَ ذاك من إنسان

(١) متلهّن : لهي عن الشيء لُهيّاً بالضم والتشديد لهياناً ، سلاعنه وترك ذكره وأضرب عنه .
(٢) حاب يحوب : أَثِمَ ، والحوب : الاثم .

الزمن كر وفر ،
خير يطرق وشر .
لله ما أبتكر وأروح ،
[ظ٤٣] إن ملء الخلَدِ قروح .
التائب خير من غيره ،
رجع عن شر العمل إلى خيره .
إن أمر الصمد لمقضي ،
وكل ما فعله لمرضي .
أعلمُ وعلمي قليل ،
أن ظل الرحمة هو الظليل .
إن السائل إذا حرمته ،
فقد أهنت نفسك وأكرمته .
اطو صاحبك على غرّة ،
واحذر من عدوك شرّه .
لا تيأس من رحمة ربك فانه كريم ،
ولا تأمن من غضب خالقك فانه بئيس (١)
على أنك أقل في ملك الله من أن ينالك غضبه أورضاه ،
لولا تُفاضل نفوس البشر وُجدوا أكفاء .

٭٭٭

إذا كتم عنك شيء فدعه ،
وصد عما قبُحَ ولا تصدعه .
لا إله إلا الله كم أجهل وكم أمهل .
إذا عرضتَ على فانيتك صداً ،
ظننت أنك فعلت زهداً .
لو أنك وجدت المسلك إلى نيلها ،
لكنت المتشبث بذيلها .
استح من ربك ومن البشر ،

(١) في الأصل : « بئس » . وبئيس : شديد .

وأقلل في دعتك من الأشر .
سم نفسك ما حسن من الصنع ،
فانها تألف العادة وتدع النفار .
وهب نفسك من المعدومات فالى العدم عن قليل تصير .
كلنا يعدو لما قضي ،
هذا سخط وهذا رضي .
لا تقل إلا ما ينفعك ،
ولا تسمعن إلا ما يردعك .
من مت إلى أهل الخداعة بتركها أحبوه ،
ومن دافعهم في طلبها سبوه .

نبذة من رسالة الملائكة (١)

قال أبو الفضل مؤيد بن موفق الصاحبي في كتاب « الحكم البوالغ في شرح الكلم النوابغ » : رسالة الملائكة ألفها أبو العلاء المعري على جواب مسائل تصريفية ألقاها إليه بعض الطلبة فأجاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفوائد الأنيقة مع صورتها المستغربة الرشقية .

قال أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي :

ليس مولاي الشيخ [أدام الله عزه (٢)] بأول رائد ظعن (٣) إلى الارض العازبة (٤) فوجدها من النبات قفراً . ولا بآخر (٥) شائم ظن الخير بالسحابة فكانت من قطر صفراً وقد شهر بالفضل وسمه والمعرفة به اسمه (٦) .

جاءتني منه فوائد كأنها في الحسن بنات مخر (٧) فأنشأت متمثلاً ببيت صخر:

(١) في الاصل خرم، وقد أحببنا اتمام النقص، فكان اعتمادنا على رسالة الملائكة التي نشرها العلامة الراجكوتي وألحقها بكتابه «أبو العلاء وما إليه» وعلى نسخة مخطوطة كاملة تقريباً في دار الكتب الظاهرية يقوم بتحقيقها الاستاذ سليم الجندي، ثم على طبعة العلامة الروسي كراتشوفسكي.

(٢) زائدة في الرسالة المطبوعة وفي الروسية .

(٣) في المطبوعة : ظن .

(٤) في الروسية : في الأرض العارية .

(٥) في المطبوعة وفي الروسية : آخر .

(٦) سقطت هذه العبارة من الرسالة المطبوعة والروسية .

(٧) سحائب بيض يأتين قبل الصيف .

لعَمري لقد نبَّهتِ من كان نائماً وأسمعتِ من كانت له أذنانِ

إن الله يُسمع من يشاء ، وما أنت بمُسمع من في القبور ؛ أولئك يُنادَوْن من مكان بعيد ، وكنتُ في غَيْسان (١) الشبيبة أودُّ أنني من أهل العلم فشجنتني عنه شواجن (٢) ، غادرتني مثل الكرة رهْنَ (٣) المحاجن(٤) . فالآن مشيتُ رويداً ، وتركت عمراً للضارب وزيداً وما أوثرُ أن يزادفي صحيفتي خطأ في النحو ، فيخلُد آمناً من المحو وإذا صدق فجْر اللمّة فلا عذر لصاحبها في الكذب ، ومن لمُعذَّب العطش بالعذْب ، وصدْق الشَعْر في المفرِق ، يوجب صدق الانسان الفرِق ، وكون الحالية بلا خُرُص ، أجمل بها من التخرّص . وقيام النادبة بالمنادب (٥) ، أحسن بالرجل من القول الكاذب (٦) . وهو — أدام الله الجمال به — يلزَمُه البحث عن غوامض الاشياء ، لأنه يُعتمد بسؤال رائحٍ وغاد ، وحاضرٍ يرحو الفائدة وبادٍ ، فلا غَرو إن كشف عن حقائق التصريف ، واحتج للتنكير (٧) والتعريف وتكلم فيهمز (٨) وإدغام، وأزال الشُبه عنصدور(٩) الطغّام فأما أنا فحِلْسُ البيت، إن لم أكن الميت فشبيه بالميت لو أعرضتِ الأغربة عن النّعيب ، إعراضي عنالأدبوالأديب ، لأصبحتْ لا تُحسن(١٠) نعيباً ، ولا يُطيق هرمُها زعيباً.

ولما وافى شيخنا أبو القاسم علي بن محمد بن همّام (١١) بتلك المسائل ألفيتها

---

(١) في المطبوعة وفي الروسية عنفوان . غيسان الشباب : أوله وحدّته .

(٢) في المطبوعة وفي الروسية : فسجنتني عنه سواجن .

(٣) في المخطوطة : وهي، وفي الروسية : وهنّ ، وفي بعض النسخ : الكرة مع المحاجن .

(٤) مفردها محجن وهي العصا المنعطفة الرأس او الصولجان .

(٥) في المخطوطة : بالمآذب .

(٦) في المخطوطة : أقوال الكاذب .

(٧) في المخطوطة والروسية : للنكرة .

(٨) في المخطوطة : على همزٍ .

(٩) في المخطوطة : من صدور .

(١٠) في الرسالة المطبوعة : لا تجسُّ .

(١١) في المطبوعة وفي الروسية : شيخنا فلان .

في اللذه كأنها الراح ، يستفزّ من سمعها المراح فكانت الصهباء الجرجانيّة طرَقَ بها عميد كَفْر بعدميل الجوزاء وسقوط الغَفْر وكان عليّ يحياها (١) جلب إلينا الشمس وإياها . فلما جُليت الهديُّ (٢) ، ذكرت ما قال الأسدي :

فقلتُ اصطبحها أو لغيري فأهدِها فما أنا بعد الشيب ، وَيْبَكَ ! والخمرُ
تجاللت عنها في السنين التي مَضَت فكيف التصابي بعدما كلأ العُمْر

وما رغبتي في كوني كبعض الكِرْوان ، تكلم في الخطب جرى ، والظليم يسمع ويَرى . فقال الأحفش او الفرّاء :

أطْرِق كرا ! أطرق كرى إن النعـام في القُرى

وحُقَّ لمثلي (٣) ألاّ يُسأل ، فإن سئل ، تعيّن عليه ألا يجيب فان أجاب ففرضٌ على السامع أن لا يَسمَع منه ، فان خالف باستماعه ففريضة ألاّ يكتب ما يقول فإن كتبه فواجب أن لا ينظر فيه فان نظر فيه فقد خبط خبط عشواء (٤) . وقد بلغتُ سنَّ الاشياخ وما حار (٥) بيدي نفعٌ من هذا الهذيان ، والظـّعن إلى الآخرة قريب أفتراني أدافع ملاك الموت فأقول : أصل مَلَك مالكٌ وإنما أُخذ من الألوكة وهي الرسالة ، ثم قُلب . ويدُلّنا على ذلك قولهم الملائكة في الجمع لان الجموع ترُد الأشياء إلى أصولها وأنشدُ قول الشاعر :

فلستُ لإنسيّ ولكن لملأكٍ (٦) تنزّل من جوّ السماء يصوبُ

فيُعجبه ما سمع ، فينظرني ساعة لاشتغاله بما قلت . فاذا همَّ بالقبض قلت : وزن مَلَك على هذا القول مَعَل ، لأن الميم زائدة وإذا كان الملك من

---

(١) في المطبوعة : وكان على يحباها . وفي الروسية : وكأنّ على محيّاها .

(٢) سقطت هذه العبارة في الرسالة المطبوعة ؛ وفي بعض النسخ : فلما جلبت الهدي ؛ وفي الروسية : جُلِيَت الهَديُّ .

(٣) في المطبوعة والروسية : وحق مثلي .

(٤) في الرسالة المخطوطة : خبط في عشواء .

(٥) في الروسيه : وما جاز .

(٦) في الروسيه : لمألك .

الألوكة فهو مقلوب من ألَكَ إلى لأكَ والقلب في الهمزة ، وهمز (١) العلة معروف عند أهل المقاييس . فأما حَذَبَ وجَبَذَ ، ولقَمَ الطريق ولمقه ، فهو عند أهل اللغة قلب، والنحويون لايرونه مقلوباً ، بل يرون اللفظين كل واحد منهما أصل في بابه فوزن الملائكة على هذا مَعا فلَة لأنها مقلوبة عن مآلكة ومنه قالوا : ألِكْني الى فلان ، قال الشاعر :

ألكني إلى قومي السلامَ رسالةً بآية ما كانوا ضعافاً ولا عُزْلا

وقال الأعشى في المألُكة

أبلغ يزيد بني شيبان مألُكةً أبا ثُبيت أما تنفكّ تأتكلُ

فكأنهم فرّوا من المألكة من ابتدائهم بالهمزة، ثم يجيئون(٢) بعدها بالألف فرأوا أن مجيء الألف أولاً أخفّ كما فرّوا من شأى إلى شاء ومن نأى إلى ناء قال عمر بن أبي ربيعة

بان الحُمول فما شأونَكَ نفْرَةً ولقد أراكَ تُشاء بالإظعانِ

وأنشد أبو عبيدة :

أقول وقد ناءت بهم غربة النوى نوىً خيْتَعورٌ لاتشطّ ديارُك

فيقول الملَك: من ابن أبي ربيعة ؟ وما أبو عبيدة ؟ وما هذه الأباطيل ؟ إن كان لك عمل صالح فأنت السعيد ، وإلاّ فاخسأ وراءك ! فأقولُ : أمهلني ساعة حتى أخبرك بوزن عزرائيل فأقيم الدليل على أن الهمزة فيه زائدة . فيقول الملك: هيهات! ليس الأمر إليّ « إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولايستقدمون». أم تُراني أداري منكراً ونكيراً فأقولَ كيف جاء إسماكما عربيَّين منصرفين وأسماء الملائكة أكثرها (٣) من الأعجمية مثل إسرافيل وجبرائيل وميكائيل فيقولان: هات حجّتك وخلّ الزخرف عنك . فأقول متقرباً إليهما : قد كان ينبغي لكما أن تعرفا ما وزن ميكائيل وجبرائيل على اختلاف اللغات .

---

(١) في الرسالة المخطوطة : وحروف . وفي الروسية : وحرف .

(٢) في الرسالة المطبوعة : ثم بجثوا . وفي الروسيه : يجيئوا .

(٣) في الرسالة المطبوعة والروسية : كلها .

إذ كانا أخويكما في عبادة الله عزّ وجل فلا يزيدهما ذلك إلاّ غلظة (١) ولو علمت أنهما يرغبان في مثل هذه العلل لأعددتُ (٢) لهما شيئاً كثيراً من ذلك ، ولقلتُ لهما : ما تريان في وزن موسى اسم كليم الله الذي سألتماه عن دينه وحجّته، فأبان وأوضح . فان قالا موسى اسم أعجميّ إلا أنه يوافق من العربية وزن مُفْعَل وفُعلى . أما مُفعل فاذا كان من ذوات الواو مثل أوسيْتُ وأوريتُ فانك تقول موسى وموري ، وإن كان من ذوات الهمزة فانك تخفّف حتى تكون الواو خالصة من مُفْعَل . تقول : آنيتُ العشاء فهو مؤنى وإن خفّفتَ قلت مونى . قال الحطيئة :

وآنيت العشاء إلى سُهيل أو الشعرى فطال بيَ الأناء

ويروى أكريت العشاء(٣) . وقد حكى بعضهم همز موسى إذا كان اسماً ، وزعم النحويون أن ذلك لمجاورة الواو الضمة . لأن الواو إذا كانت مضمومة ضماً لغير اعراب وغير ما يشابه الإعراب جاز أن تحوّل همزة كما قالوا : وُقّتت وأقّتت(٤) ، وحمائم وُرق وأُرق ، ووُشّحت وأشّحت. قال الهُذليّ:

أبا مَعْقِلٍ إن كنت أشّحت حلّةً(٥) أبا معقلٍ فانظر لسهمك مَنْ ترمي

وقال حُميد بن ثور :

وما هاج هذا الشوقَ إلا حمامةٌ دعت ساق حرّ ترحةً (٦) وترنما

من الأرق حمّاء العلاطَيْن باكرت عسيبَ أشاءٍ مطلعَ الشمس أسحما(٧)

وقد ذكر الفارسيّ هذا البيت مهموزاً :

---

(١) في الرسالة المطبوعة والروسية : غيظاً .

(٢) في المطبوعة : أعدت .

(٣) سقطت هذه الجملة من المطبوعة و الروسية .

(٤) في المطبوعة أُقّيت ووُقّيت .

(٥) في بعض النسخ : طيشاً .

(٦) في بعض النسخ وفي الروسية : نوحةً .

(٧) الحماء : السوداء . العلاطان والملطتان في الأصل كي أو سمة في مقدمة عنق الناقة استعيرتا لوصف أعناق القماري .

أحَبُّ المؤْقِدين إليَّ مؤسى وحَرْزَةُ لو أضاء ليَ الوقود(١)

وعلى مجاورة الضمة جاز الهمز في سُؤق جمع ساقٍ في قراءة من قرأ كذلك ويجوز أن يكون جمع على فُعُل مثل أسُد فيمن ضم السين ثم همزت الواو ودخلها السكون بعد أن ذهب فيها حكم الهمز . وإذا قيل أن موسى فُعْلى فان جعل أصله الهمز وافق فُعْلى من مأس بين القوم إذا فسد بينهم، قال الأفوه :

إمَّا ترَىْ رأسي أزرى به مأس زمان ذي انتكاس مَؤوسْ

ويجوز أن يكون فُعلى من ماس يميس فقلبت الياء واواً للضمة كما قالوا الكوسى وهي من الكيْس . ولو بنوا فُعلى من قولهم هذا أعيش من هذا وأغيظ منه لقالوا : العوشى والغوظى فاذا سمعت ذلك منها قلت : لله أنتما ! (٢) لم أكن أحسب أن الملائكة تنطق بمثل هذا الكلام ولا تعرف أحكام العربية . فان غُشيَّ علي من الخيفة فأفقت وقد أشارا إليَّ بالإرْزَبَّة قلت : تثبّتا رحمكما الله(٣). كيف تصغّران الإرزبّة وتجمعانها جمع تكسير؟ فان قالا أريزبّة بالتشديد قلت هذا وَهْمٌ، إنما ينبغي أن يقال أرَيْزِبَة بالتخفيف وكذلك في جمع التكسير [و ٤٤] يقال أرازب بالتخفيف، فان قالا كيف قالوا علابيّ فشدّدوا كما قال القُرَيعي:

وذي نخوات طامح الطّرف جاذَبَتْ حبالي فلوّى من علابيَّة مدّي (٤)

(١) ورد البيت في بعض النسخ :

أحب الوافدين إليّ مؤسى وحؤرة لو أضاء لي الوفود

وفي الروسية :

أحب المؤقدين الى مؤسى وحَزْرَة لو أضاء ليَ الوقود

(٢) في المطبوعة والروسية : لله دركما .

(٣) في المطبوعة : رحمكم الله .

(٤) ورد هذا البيت في الأصل :

وذي نخوات طامح الطرف جادبت حبالي فلوّى من غـلابية يدي

وفي المطبوعة :

وذي نجواتٍ طامح الطرف جاوبت حوالي فلوّي من عـلابيه مري

وفي بعض النسخ :

وذي نجوات طامح الطرف جاذبت حداني فلوّى من عـلانية يدي

والصحيح ما اثبتناه .

قلت ليس الياء كغيرها من الحروف لأنها وإن لحقها التشديد ففيها عنصر اللين، فان قالا أليس قد زعم صاحبكم عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه أن الياء إذا شددت ذهب منها اللين وأجاز في القوافي [طيًّا مع طي(١)] قلت : وقد زعم ذلك، إلا أن السماع عن العرب لم يأت فيه نحو ما قال إلا إن يكون [شاذاً(٢)] قليلاً . فاذا عجبت (٣) مما قالاه أظهر الي هاونا بما يعلمه بنو آدم . وقالا: لو جمع ما علمه أهل الأرض على احتلاف [اللغات (٤)] والأزمنة لما بلغ علمَ واحدٍ من الملائكة [ممن(٥)] تعدونه فيمن ليس بعالم . فأسبّح الله وأمجّده . وأقول: قد صارت بكما وسيله فو سّما لي في الجدث(٦)، إن شئتما بالثاء وإن شئتما بالفاء لأن أحداهما تبدل من الأخرى كما قالوا [مغاثير ومغافير(٧)] وأثافي وأفافيّ وثومٌ وفومٌ وكيف تقرآن رحمكما الله هذه الآية : (وفومها وعدسها [وبصلها (٨)] أبالثاء(٩) كما في مصحف عبد الله بن مسعود أم بالفاء كما في قراءة الناس؟ وما الذي تختاران في تفسير الفوم أهو الحنطةُ كما قال أبو محْجَن الثقفي : [ظ ٤٤]

قد كُنْت أحسبني كأغنى واحدٍ(١٠) قدِم المدينة عن زراعة فوم

---

(١) في الأصل : حياً مع طي . وفي المخطوطة : حياً مع ظبي . وفي الروسية : طياً مع ظبي .

(٢) في المطبوعة والروسية : نادراً .

(٣) في المخطوطة : أعجبت .

(٤) سقطت هذه الكلمة من الأصل ومن المخطوطة .

(٥) سقطت هذه الكلمة من المطبوعة والروسية والمخطوطة .

(٦) في المخطوطة : في الجدف .

(٧) في الاصل : مغاثر ومغاثير .

(٨) سقطت هذه الكلمة من المطبوعة والروسيه .

(٩) في الأصل والروسيه : بالثاء .

(١٠) في رواية : « قد كنت أغنى الناس شخصاً واحداً » . وفي الرسالة المخطوطة والروسية : « كأغنى واحد » .

أم هو الثوم الذي له رائحة كريهة والى ذلك ذهب الفرّاء وقد جاء في الشعر الفصيح قال الفرزدق :

من كلّ أغبر كالراقود حُجْزَتُه   إذا تعشّى عتيقَ التَمْرِ والثوم(١)

فيقولان أو أحدهما : إنك [لمتهدّم(٢)] الجَوْل ، وإنما يوسّع لك في رَيْمك عملُك . [فأقول: لله أنتما (٣)] ما أفصحكما لقد [كنتُ] سمعت [في] الحياة الدنيا أن الرَّيْم القبر وسمعت قول الشاعر :

إذا مُتُّ فاعتادي القبور وسلّمي   على الرَّيم أسقيتِ السحابَ الغواديا

فكيف تبنيان رحمكما الله من الرَيم مثل ابراهيم ؟ أتريان فيه رأي الخليل وسيبويه فلا يبنيان مثله من الأسماء العربية ، أم تذهبان إلى ما قاله سعيد بن مَسْعَدة فتُجيزان أن تبْنيا من العربي مثل العجميّ(٤)؟ فيقولان: تُرْباً لك! ولمن سمَّيت. أيُّ علم في [بني(٥)] آدم؟! انهم للقوم الجاهلون . وهل أتودّد الى مالكٍ خازن النار فأقولَ: رحمك الله ما واحد الزَبانية فان بني آدم [فيهم(٦)] مختلفون ، يقول بعضهم : الزَبانية لا واحد لهم من لفظهم وإنما يُجْرَوْن مُجرى [القوم] السَواسية أي القوم المستوين في الشر . قال الشاعر :

سَواسية سودُ الوجوه كأنما   بطونهمُ من كثرة الزاد أوطُب

[و ٤٥] ومنهم من يقول واحد الزبانية زِبْنِيَةٌ وقال آخرون واحدهم زِبْنيٌّ أو زِبَني (٧) فيعبِّس لما سمع ويكْفهرّ فأقول يا مال ! رحمكَ الله ما ترى في نون غِسْلينٍ وما حقيقة هذا اللفظ ؟ أهو مصدر كما قال بعض الناس [أم

---

(١) في المطبوعة « اذا تمشى عتيق التمر والفوم » . وقد ورد هذا البيت في الديوان ج٢ ص ٧٦٨ :

من كل أقعسَ كالراقود حُجْزته   مملوءة من عتيق التمر والثوم

(٢) في الاصل والمطبوعة : لتهدم الحول وهو خطأ . وفي الروسية : المنهدم الجول .

(٣) سقطت هذه العبارة من المطبوعة والروسية .

(٤) في المخطوطة : الاعجمي

(٥) في المطبوعة والمخطوطة والروسية : في ولد آدم .

(٦) في المطبوعة والروسية : فيه .

(٧) في المطبوعة والروسية : زباني .

واحد[١]] أم جمعٌ أعربتْ نونه تشبيها بنون مسكين كما أثبتوا نون قلين وسنين في الاضافة وكما قال سحيْم بن وثيل الرياحي :

وماذا [يدّري[٢]] الشعراءُ مني وقد جاوزتُ حدَّ الأربعين

فأعرب النون . وهل النون في جهنّم زائدة ؟ أما سيبويه فلم يذكر في الابنية [فَعَنّلاً] [٣] [إلا قليلاً [٤]] وجهنم اسم أعجمي . ولو حملناه على الاشتقاق لجاز أن يكون من الجهامة في الوجه ، ومن قولهم تجهّمت الأمر إذا جعلنا النون زائدةً واعتقدنا زيادتها في عجنّف وأنه مثل عجفّ، وكلاهما صفة للظليم كما قال الهذلي :

كأنّ مُلاءتيَّ على هجفٍّ يعُنّ مع العشية للرئال [٥]

وقال حران العَوْد

يشبّهها الرائي المشبّه بَيضه غدا في الندى عنها الظليم الهجنّف

وقال قوم: ركيّةٌ جهنّام إذا كانت بعيدةَ القعر، فان كانت جهنّم عربيةً فيجوز أن تكون من هذا وزعم قوم أنه يقال أحمَرُ جهنّام اذا كان شديد الحمْرة ولا يمتنع أن يكون اشتقاق جهنم منه فأما سَقَر فان كان [ظ٤٥] عربياً فهو مناسب لقولهم صَقَرتْه [الشمس[٦]] إذا آلمت دماغه (بالسين والصاد[٧]) . قال ذو الرُّمة :

إذا دانتِ الشمس اتّقى صقَراتها بأفنان مربوع الصّريمة مُعْبلِ [٨]

---

(١) سقطت من الأصل .

(٢) في الأصل: يزدري .

(٣) في الأصل: فعنلن .

(٤) سقطت من الاصل ومن الرسالة المخطوطة .

(٥) في رواية أخرى « تفر مع العشية للرئال » .

(٦) زائدة عن الرسالة المطبوعة والروسية .

(٧) سقطت العبارة من الاصل والرسالة المطبوعة والروسية .

(٨) في رواية أخرى :

إذا دانت الشمس اتقي سقراتها بافنان مربوع الصريمه مقبل

والأولى إذا ذابت . الصقرات : شدة وقع الشمس . معبل : مورق .

والسين والصاد يتعاقبان في الحرف اذا كان بعدهما قاف اوخاء [او واو[١]]
او غين او طـاء تقول : سَقَبٌ وصَقَبٌ [٢] وسويق وصويق وبسط وبصط
[وسلَغَ الكبش وصلَغَ [٣]] . فيقول مالكٌ : ما أجهلك وأقل تميزَك ،
ما جلستُ ههنا للتصريف وإنما جلستُ لعقاب الكفرة والقاسطين[٤]، وهل
أقول للسائق والشهيد اللذَين ذكرا في الكتاب المجيد [وجاءت كل نفس معها
سائق وشهيد[٥]] يا صاح انظراني . فيقولان : لِمَ تخاطبنا خطاب الواحد ونحن
اثنان . فأقول : ألم تعلما أن ذلك جائز [من الكلام[٦]] وفي الكتاب العزيز :
« وقال قرينه هذا ما لديَّ عتيد ، ألقيا في جهنم كلَّ كفّارٍ عنيد » فوحّد
القَرين وثنّى في الأمر كما قال الشاعر :

فان تزجراني يابن عفّان انزجر وإن تدعاني أحْمِ عِرْضاً مُمَنَّعا

وقال امرؤ القيس :

خليليَّ مُرّا بي على أم جُندَبِ لنقْضي لبانات الفؤاد المعذَّب [٧]
ألم تر أني كلما جئتُ طارقاً وجدتُ بها طيباً وإن لم تَطيَّب

هكذا أنشده الفرّاء وبعضهم يُنشد ألم ترياني وأنشد الفرّاء أيضاً

[و ٤٦]

فقلت لصاحبي لا تحْبِسانا بنزع أصوله واجتزَّ شيحا

فهذا كله يدل على أن الخروج من مخاطبة الواحد إلى الاثنين أو من مخاطبة
الاثنين إلى الواحد سائغ عند الفصحاء . وهل اجيء في جماعة من جهابذة [٨]
الأدباء قصّرت [بهم [٩]] أعمالهم عن دخول الجنة ولحقهم عفوُ الله

---

(١) هذه زيادة عن النسخ وهي غير صحيحة .
(٢) في المخطوطة : سُقت وصقت .
(٣) غير موجود في الاصل .
(٤) في المخطوطة : القاسطين . وفي الروسيه بزيادة المشركين .
(٥) سقطت هذه الجملة من الاصل والرسالة المخطوطة .
(٦) غير موجود في الاصل وفي الرسالة المطبوعة .
(٧) في المخطوطة : لاقضي حاجات ...
(٨) في الاصل : حمان .
(٩) سقطت هذه الكلمة من المخطوطة والمطبوعة والروسية .

فزُحْزِحوا عن النار فنقف على باب الجنة فنقول يا رِضْوَ! لنا إليك حاجة ، ويقول بعضنا يا رضوُ فيضم الواو فيقول رُضوان ما هذه المخاطبة التي ماخاطبني بها أحد قبلكم فنقول : إنا كنا في الدار الأولى (١) نتكلم بكلام العرب وانهم يُرخّمون [الاسم] الذي في آخره الف ونون فيحذفونها للترخيم وللعرب في ذلك لغتان (٢). فيقول رضوان ما حاجتكم ، فيقول بعضنا: إنا لم نصل إلى دحول الجنة لتقصير الأعمال (٣) وأدركَنا عفوُ الله تعالى (٤) فنجونا من النار فبقينا بين الدارَيْن ونحن نسألك أن تكون واسطتنا إلى أهل الجنة فانهم لا يستغنون عن مثلنا . وإنه قبيح بالعبد المؤمن أن ينال هذه النِّعم وهو إذا سبَّح َالله لحَنَ ولا يحسُن بساكن الجنان أن يصيب من ثمارها في الخلود وهو لا يعرف حقائق تسميتها . ولعل في الفردوس من لا يعرف (٥) أحروف الكُمَّثرى [ظ٤٦] كلّها أصلية أم بعضها زوائد (٦) ؟ ولو قيل لهم ما وزن كُمَّثرى على مذهب أهل التصريف لم يعلموا أن وزنه فُعَّلّى وهذا بناء مستنكر لم يذكر سيبويه له نظيراً . وإذا صحّ قولهم للواحدة كمَّثراة فألف كمَّثرى ليست للتأنيث . وزعم بعض أهل اللغة أن الكَمْثَرةَ تداخلُ الشيء بعضه في بعض فان صح هذا فمنه اشتقاق الكُمَّثرى وما يجمُل بالرجل من الصالحين أن يصيب من سَفَرْجل الجنة [في النعيم الدائم (٧)] وهو لا يعلم كيف تصغيرُه وجمعه ولا يشعر أيجوز أن يُشتق منه فعل أم لا ؟ والأفعال لا تشتق من الخماسية لأنهم نقصوها عن مزية (٨) الأسماء فلم يبلغوا بها بنات الخمسة وليس في كلامهم مثل

(١) في المخطوطة : العاجلة .

(٢) سقط من الأصل: « يختلف حكماهما » . قال أبو زُبَيد :

يا عُثمُ! أدركني فان ركيّتي صَلَدت فأعيت أن تفيض بمائها

وفي الروسية : أن تبضّ بمائها . وفي المخطوطة : أن تبض .

(٣) في المخطوطه : أعمالنا .

(٤) في الأصل : خوف الله تعالى .

(٥) في المطبوعة والمخطوطه: ولعل في الفردوس قوماً لا يدرون. وفي الروسية: لا يدركون.

(٦) في المخطوطة : زائد .

(٧) غير موجود في الرسالة المطبوعة ولا الروسية .

(٨) في الأصل وفي الروسية : مرتبة .

إسفرَجلَ يسفرْجِلُ اسفرجالاً . وهذا السُنْدُس الذي يطؤه(١) المؤمنون ويفترشونه، كم فيهم رجل لا يعرف أوزنه فُعْلل أم فُنْعُل ، والذي نعتقده (٢) فيه أن النون زائدة وأنه من السَّدوس وهو الطَّيلسان الأخضر، قال العَبْدي:

وداويتها حتى شَتَتْ حبشيَّةً   كأن عليها سُندساً وسَدوسا

ولا يمتنع (٣) أن يكون سندس (٤) فعْللاً ، ولكن الاشتقاق يوجب ماذُكر. وشجرة طُوبى كيف يستظلُّ بها المتقون ويجْتَنونها آخر الأبد وفيهم كثير لا يعرفون أمن ذوات الواو هي أم من ذوات الياء ، والذي نذهب إليه اذا حملناها(٥) على الاشتقاق أنها من ذوات الياء [وأنها من طاب يطيب، وليس قولهم الطيب دليل على أن طوبى من ذوات الياء لأننا (٦)] إذا بنينا فعلاً ونحوه من ذوات الواو وقلبناها إلى الياء فقلنا: عيدٌ وقيلٌ، وهو من عاد يعود وقال يقول فان قال قائل: فلعلَّ قولهم طاب يطيب من ذوات الواو جاء على مثال حسِب يحْسِب وقد ذهب إلى ذلك جماعة في قولهم تاهَ يَتيهُ وهو من توَّهت . قيل له يمنع من ذلك أنهم قالوا طيَّبتُ الرجلَ بالطّيب (٧) ولم يحك أحدٌ طوَّبته ، والمطيَّبون [و ٤٧] أحياء من قريش اختلفوا وغمسوا أيديَهم في طيب ، فهذا يدلك على أن الطيب من ذوات الياء وكذلك قولهم: هذا أطيبُ من هذا . فأما ما حكاه أهل اللغة أنهم يقولون أوبةً وطوْبةً فانما ذلك على معنى الاتباع كما يعتقد بعض الناس في حيّاك الله وبيّاك أنه اتباع ، وان أصل بيّاك بوّاك أي بوّأك منزلاً ترضاه [خفّف الهمز(٨)] . فأما قولهم للآجُرّ طوبُ، فان كان عربياً صحيحاً فيجوز أن

---

(١) في الأصل والروسية : يطأه وهو خطأ
(٢) في المخطوطة : أعتقده .
(٣) في المخطوطة : ولا أمنع .
(٤) في الأصل : سندساً .
(٥) في المخطوطة : إذا حملناه .
(٦) سقطت هذه العبارة من الأصل ومن الطبعة الروسية .
(٧) في الاصل : خمان .
(٨) سقطت هذه الكلمة من المطبوعة والروسية والمخطوطة .

يكون اشتقاقه من غير لفظ الطيب إلا على رأي أبي الحسن سعيد بن مسعدة فانه إذا بنى [فُعلا (١)] من ذوات الياء مثل عاش يعيش وطاب يطيب فانه يقلبه إلى الواو فيقول: الطُوب والعُوش، فان كان الطوب أعني الآجر اشتقاقه من الطيب ، فانما أريد به أن الموضع إذا بُني طابت الاقامة فيه . ولعلّنا لو سألنا من يرى طوبى في كل حين لم حذَفتْ منها الألف واللام لم يُحِر في ذلك جواباً [ظ٤٧]

وقد زعم سيبويه أن [الفُعْلى (٢)] التي تؤخذ من أفعل منك لا تستعمل إلا بالألف واللام أو الاضافة تقول : هذا أصغر منك فاذا رددته إلى المؤنث قلت هذه الصُغرى [او صغرى بناتك (٣)] ويقبح أن تقول صغرى بغير إضافةٍ ولا ألف ولام (٤) ولكن تقول : هذه صغراك وصغرى بناتك قال سُحَيم :

ذَهبْنَ بمسواكي وغادرن مُذَهباً   من الصَّوغ في صغرى بَنان شماليا

وقرأ بعض القرّاء : « وقولوا للناس حُسنى » بغير تنوين على فُعْلى. وكذلك قرأ [في الكهف (٥)] «إما أن تعذّب وإما أن تتخذ فيهم حُسنى » [بغير تنوين (٦)] فزعم سعيد بن مسعدة أن ذلك خطأ لا يجوز وهو رأي أبي اسحاق الزّجاج لأن الحسنى عندهما وعند غيرهما من أهل [البصرة (٧)] يجب أن تكون بالالف واللام كما جاء في موضع آخر وكذب بالحسنى [وكذلك اليسرى والعسرى (٨)]

---

(١) غير موجود في الأصل والرسالة المطبوعة والروسية .

(٢) في الأصل : الفعل .

(٣) سقطت من الأصل والرسالة المخطوطة .

(٤) يقول الراجكوتي : ولكني رأيت صاحبنا خالفه في اللزوم حيث يقول :

ومرآة المنجم وهي صغرى   أرته كلّ عامرة وقفر

فكان كالحكَمي في قوله :

كأنّ صغرى وكبرى من فواقعها   حصباء در على أرض من الذهب

« رسالة الملائكة ص ١٩ »

(٥) غير موجودة في الأصل .

(٦) غير موجود في الأصل والروسية .

(٧) في الأصل : من أهل التصريف .

(٨) سقطت من الأصل .

لأنها أنثى أفعل منك . وقد زعم سيبويه أن أخرى معدولة عن الألف واللام ولا يمتنع أن تكون حسنى مثلها وفي الكتاب العزيز «ومناةَ الثالثةَ الأُخرى» . وفيه قوله تعالى آية أخرى : «لنُرِيَكَ من آياتنا الكبرى» .
وقال ابن أبي ربيعة

[٤٨و] وأخرى أتت من دون نُعْمٍ ومثلُها نهى ذوالنهى لو يَرعوي أو يُفكِّر(١)

ولا يمتنع أن تُعدَل حسنى عن الألف واللام كما عُدلت أخرى وأفعل منك إذا حذفت منه «من» بقي على إرادتها نكرة أو عرِّف بالألف واللام ولا يجوز أن يجمع بين «منْ» وبين حرف التعريف [والذين يشربون ماء الحيوان في النعيم المقيم هل يعلمون ما هذه الواو التي بعد الياء؟ وهل هي منقلبة كما قال الخليل أم هي على الأصل كما يرى غيره من أهل العلم؟](٢). ومن هو مع الحور العين خالداً (٣) مخلَّداً هل يدري ما معنى الحَوَر ومن أي شيء اشتقت هذه اللفظة؟فان الناس يختلفون في الحور فيقول بعضهم: هو البياض ومنه اشتقاق الحوّارى من [الخبز (٤)] والحواريّين إذا أريد بهم القصّارون والحواريات إذا عني بهن نساء الأمصار . وقال قوم : الحور في العين أن تكون كلها سوداء وذلك لا يكون في الأناسي (٥)، وإنما يكون في الوحوش . وقال آخرون : الحَوَر شدة سواد العين وشدة بياض بياضها (٦) . وقد قال بعضهم : الحوَر سَعَة العين وعِظَم المقلة .

(١) في المخطوطة : ذا النهي لو ترعوي او تفكر . وفي الروسية : ذا النهى لا يرعوي .
(٢) سقطت هذه الجملة من الأصل .
(٣) سقطت هذه الكلمة من المخطوطة .
(٤) في الأصل وفي الرسالة المخطوطة والروسية : الخبز . ويقول الراجكوتي في التعليق على هذه اللفظة : «فلعلها الحيرة ، أي حيرة آل منذر ويصفونها بالبياض على ما قال ياقوت وغيره . ومن شعر صاحبنا في اللزوم :

وقفْ بالحيرة البيضاء فانظر منازل منذر وبني بقيله
أرى الحيرة البيضاء حارت قصورها خلاء ولم تثبت لكسرى المدائن

والصحيح الخبز كما يعتقد أيضاً أستاذنا الجندي .
(٥) في المطبوعة : في الإنس . وكذلك في المخطوطة والروسية .
(٦) في الروسية : شدة سواد العين وشدة بياضها وهو خطأ .

وهل يجوز أيها المتمتع بالحور العيْن أن يقال حيرٌ كما يقال حورٌ فانهم ينشدون هذا البيت بالياء :

إلى السَّلف الماضي وآخر واقفٍ(١) إلى رَبرَب حيرٍ حسانٍ جآذرُه

[فاذا صحت الرواية في هذا البيت بالياء قدَح ذلك في قول من يقول إنما قالوا الحير إتْباعاً للعين كما قال الراجز :

هل تعرف الدار بأعلى ذي القورْ قد درَستْ غير رمادٍ مكفورْ

مكتئب اللون مَريحٍ ممطور أزمان عيناء سرور المسرورْ

حوراء عيناء من العين الحير](٢)

وكيف يستجيز مَنْ فرشه [من(٣)] الإستبرق أن يمضي عليه ابد وهو لا يدري كيف يجمعه جمع تكسير ولا كيف يصغّره والنحويون يقولون في جمعه أبارق وفي تصغيره أُبَيْرِق. وكان أبو إسحاق الزجّاج يزعم أنه في الأصل سمّي بالفعل الماضي وذلك الفعل استفعل من البَرَق أو من البرْق(٤) وهذه دعوىً من أبي إسحق وإنما هو اسم أعجمي مُعرّب .

[ظ ٤٨]

وهذا العبقري الذي عليه اتكاء المؤمنين إلى أي شيء نسب ؟ فانا كنا نقول في الدار الأولى ان العرب كانت تقول: إن عبْقَر بلاد تسكنها الجن وأنهم اذا رأوا شيئاً حسناً جيداً قالوا عبقريٌّ، أي كأنه من عمل الجن إذ كانت الانس لا يقدرون على مثله ثم كثر ذلك حتى قالوا سيّدٌ عبقريّ وظلم عبقريّ ، قال ذو الرُّمة :

حتى كأنَّ حزونَ القف ألبسها من وَشيِ عبقَر تجليلٌ وتجيد

وقال زهير :

بخَيْل عليها جنّة عبقريّة جديرون يوماً ان ينالوا ويستعلوا

---

(١) في الأصل : وافن .

(٢) سقطت هذه العبارة من الأصل . القور : جمع قارة وهو جبل صغير . المكفور : الذي غطاه الريح بتراب سفته . مريح .ويروى مروح وكلاهما من الريح . عيناء : امرأة .

(٣) سقطت من الأصل

(٤) في الروسية : من البَرْق أو من البريق .

فان كان أهل الجنة عارفين بهذه الأشياء وقد ألهمهم الله تعالى العلمَ بما يحتاجون إليه فلن يستغن عن معرفته الولدان المخلّدون ، فان ذلك لم يقع إليهم وإنا لنرضى بالقليل مما عندهم أجراً (١) على تعليم الوِلدان، فيسم إلينا رضوان ويقول : إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون ، هم وأزواجُهم في ظلال على الأرائك متّكئون . فانصرفوا رحمكم الله فقد أكثرتم الكلام فيما لا منفعة فيه .

[و ٤٩] وإنما كانت هذه الأشياء أباطيلَ زُخرِفت في الدار الفانية فذهبتْ مع الباطل. فاذا رأو [جدّه في ذلك (٢)] قالوا : رحمك الله نحن نسألك أن تُعرّف بعض علمائنا الذين حصلوا في الجنة بأنّا واقفون على الباب نريد أن نخاطبه في أمر . فيقول رِضْوان : من تؤثرون أن أعلم بمكانكم من أهل العلم الذين غُفر لهم ؟ فيشتورون طويلاً ثم يقولون: عرّف بموقفنا هذا الخليل بن أحمد الفُرهودي (٣)، فيرسل إليه رضوانُ بعض أصحابه فيقول له : على باب الجنة قوم قد أكثروا القول وأنهم يريدون أن تخاطبهم (٤) . فيُشرِف عليهم الخليل ويقول : أنا الذي سألتم عنه فما يريدون ؟ فيَعرِضون عليه مثل الذي عرضوا على رِضوانَ ، فيقول الخليل : إن الله حلّت قدرته جعل من يسكن الجنة ممن يتكلّم بكلام العرب ناطقاً بأفصح اللغات كما نطق به يَعرُبُ بن قحطان أو مَعدُّ بن عدنان [وأبناؤه لصلبه لا يدركهم الزبل ولا الزيغ (٥)] وإنما افتقر الناس في الدار الغرّارة إلى علم اللغة والنحو لأن العربيّة الأولى أصابها تغيير، فأما الآن فقد رفع عن أهل الجنة كلُّ الخطأ والوهم فاذهبوا راشدين .

نبذة من رسالة الغفران — وكتب أبو العلاء إلى الشيخ علي بن منصور المحدث بحلب رسالة سماها « رسالة الغفران » صدرها بقوله :

قد عَلِم الحبر الذي نُسب إليه حبريل ، وهو في كل الخيرات سبيل . أن في

---

(١) في المخطوطة : جزاءً .

(٢) في الأصل : فاذا رأوا هذه الحالة .

(٣) الفرهود أو الفراهيد قبيلة ينسب إليها الخليل .

(٤) في المخطوطة والروسية : أن يخاطبوك .

(٥) سقطت هذه العبارة من الأصل والمطبوعة . وسقط من الروسية : أبناؤه لصلبه .

[ظ ٤٩] مسكني حماطةٌ (١) ما كانت قط أفانيَة ، ولا الناكزة بها غانية ، تمر من مودّة مولاي الشيخ الجليل كبَت الله عدوّه، وأدام رَواحه إلى الفضل وغدوّه . ما لو حملتْه العاديَّة من الشجر لدنت إلى الأرض غصونُها ، وأزيل من تلك الثمرة مصونُها ... وان الحماطة التي في مقرّي لتجد من الشوق حماطة ، ليست بالمصادفة إماطة. وان في طِمْري لحضْباً (٢) وكُلّ بأذاتي ، لو نطق لذكر شذاتي . ماهو بساكن في الشقاب ، ولا بمتشرّفٍ على النقاب. ما ظهر في شتاءٍ ولا صيف ، ولا مرّ بجبل ولا خيف ، يُضمر من محبة مولاي الشيخ الجليل ثبَّت الله أركان العلم بحياته ما لا تُضمره للولد أمٌّ ، أكان سمُّها يدَّكر أم فُقد عندها الشّم، وإن في منزلي لأسْوَد هو أعزُّ عليّ من عنترة على زبيبة ، وأكرم عندي من السُّلَيْك عند السلَكة ، وأحق بإيثاري من خُفاف السُلَميّ بخبايا نُدبة، وهو أبداً محجوب ، لا تحجب عنه الأغطية ولا الجيوب ، لو قدَرَ لسافر إلى أن يلقاه ، ولم يحد عن ذلك لشقاءٍ يشقاه ، وإنه يذكر ليؤنَّث في المنطق ويذكَّر ، وما يعْلَم أنه حقيقيُّ التذكير ، ولا تأنيثه المعتمد بنكير ، لا أفتأ دائباً فيما رضي ، على أنه لا مَدفَع لما قُضي ، أعظّمه أكثر من إعظام
[و ٥٠] لَخْمٍ الأسودَ بن المنذر ، وكندةَ الأسودَ بنَ معدي كرب ، وبني نهشل بن دارمٍ الأسود بن يعْفُر ذا المقال المطرب ، ولا يبرح مولعاً بذكره كايلاع سحَيْم بعمَيْرة في محضره ومبداه، ونُصَيْب مولى أميّة بسُعْداه، وقد كان مَثَلُه مع الأسوَد بن زمْعة، والأسوَد بن عبديغوث ، والأسود ين اللذين ذكرهما اليشكريُّ في قوله :

فهداهم بالأسوَدَين وأمر الله بلْغٌ يشقي به الأشقياء

ومع أبي الاسود الذي ذكره امرؤ القيس في قوله :

وذلك من خبرٍ جاءني ونبّئتُه عن أبي الأسودِ

وما فارقه أبو الأسود الدؤليُّ في عمره طرفةَ عين في حال الراحة

---

(١) الحماطة : ضرب من الشجر يقال لها إذا كانت رطبة أفانية . والحماطة حرقة القلب وسواده .

(٢) الحضب : حبة القلب .

ولا الأين ، وقارن سُوَيد بن أبي كاهل، يَرِدُ به على المناهل وحالَف سويد ابن الصامت ، ما بين المبتهج والشامت ، وساعف سُوَيد بن صُمَيع ، في أيام الرَّتب والرَّبع .

منها : وقد وصلت الرسالة التي بحرُها بالحِكَم مسجور ، ومن قرأها [لا شكّ (١)] مأجور ، إذ كانت تأمر بتقبُّل الشرع ، وتعيبَ من ترك أصلاً إلى فرع ، وغرِقْتُ في أمواج بِدَعها الزاخرة ، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة ، ومثلها شَفَعَ ونَفَع ، وقرَّب عند الله ورفَع ، وألفيتها مفتَتِحةً بتمجيد ، صدر من بليغ مُجيد ، وفي قدرة ربنا جلَّت عظمته أن يجعل كلّ حرفٍ منها شَبح نور ، لا يمتزج بمقال الزُّور ، يستغفر لمن أنشأها إلى يوم الدين ، ويذكره ذِكْر محبٍّ خدين ، ولعلَّه سبحانه قد نصب لسطورها المُنْجِيَة من اللهب ، معاريج من الفضة أو الذهب ، تعرُج بها الملائكة من الأرض الراكدة إلى السماء ، وتكشف سجوف الظلماء ... ، وفي تلك السطور كلِمٌ كثير ، كله عن الباري تقدّس أثير ، فقد غُرِس لمولاي الشيخ الجليل إن شاء الله بذلك الثناء ، شجرٌ في الجنة لذيذُ اجتناء ، كلُّ شجرةٍ منه تأخذ ما بين المشرق إلى المغرب بظِلٍّ غاط ، ليست في الأعين كذات أنواط (٢) ، [ظ ٥٠]
والوِلدان المخلَّدون في ظلال تلك الشجر قيامٌ وقعود ، وبالمغفرة نيلَت السُّعود ، يقولون والله القادر على كل [شيء (٣)] عزيز ، نحن وهذه الشجرة صلَةٌ من الله لعليّ بن منصور ، نُخبَأ له إلى نفخ الصور ، وتجري في أصول ذلك الشجر أنهارٌ تختَلَج من ماء الحيوان ، والكوثر يمدها في كل أوان ، من شرب منها النُّغبة فلا موت ، وقد أمِنَ هنالك الفوت ، وسعُدٌ من اللبن متخرّقات ، لا تُغيَّر بأن تطول الأوقات ، وجعافر من الرحيق المختوم ، عزّ المقتدر على كل محتوم ، تلك هي الراح الدائمة ، لا الذميمة ولا الذائمة ... ، ويعمد إليها المغترف بكؤوسٍ من العسجد ، وأباريق خلقت من الزبرجد ... ،

(١) سقطت من الأصل .
(٢) ذات أنواط شجرة كانوا يعظمونها في الجاهلية . « المعري »
(٣) سقطت من الأصل .

[و ٥١] ولو رأى تلك الأباريق أبو زيد ، لعلم أنه كالعبد الماهن أو العُبَيد ، وأنه ما تشبَّب بخير ، ورضي بقليل المَير ، وهزيءَ بقوله :

وأباريق مثل أعناق طير الـ ماء قد جيب فوقهن خنيف

هيهات هذه أباريق ، تحملها أباريق ، كأنها في الحسن الأباريق (١) ، ولو نظر إليها علقمة لَبَرِقَ وفرِقَ ، وظن أنه قد طُرِقَ ، ما ابن عبدة وما فريقه ، خسر وكُسر إبريقه نظرة إلى تلك الأباريق ، خير من بنت الكرمة العاجلية ومن كل ريق ... ، ولو بصُر بها عدي بن زيد ، لشُغِلَ عن المدام والصيد ، واعترف بأن أباريق مدامه ، وما أدرك من شرب الحيرة وندامه ، أمرٌ هيِّن لا يُعدل بنابتٍ من حَمَصيص ، أو حَفْرٍ من خَرْبصيص .. ، وكم على تلك الأنهار من آنية زبرجدٍ محفور ، وياقوتٍ حُلق على حَلْق الدور وأورد فيها قول النمر :

ألمَّ بصحبتي وهمُ هجوعٌ خيالٌ طارقٌ من أمّ حصنِ
لها ما تشتهي عسلاً مصفىً إذا شاءت وحُوّارى بسمن

وهو أدام الله تمكينه ، يعرف حكاية خَلَفٍ الأحمر مع أصحابه في هذين البيتين ومعناها أنه قال لهم : لو كان موضع أم حصن أم حفص ما كان يقول في البيت الثاني ؟ فسكتوا . فقال: حوّارى بلمْص(٢). ويفرّع على هذه الحكاية فيقال :
[ظ ٥١] لو كان مكان أم حصن أم جَزْءٍ وآخره همزة ما كان يقول في القافية الثانية ؟ فانه يحتمل أن يقول : وحوّارى بكشءٍ أو يقال بوَزْءٍ(٣). ولو قال حوّارى بنسءٍ(٤) لجاز ... فان خرج إلى الباء فقال: أم حرب، جاز أن يقول: وحوّارى

---

(١) الأباريق الأولى معروفة والثانية من قولهم جاريةٌ ابريق إذا كانت تبرق من حسنها . قال الشاعر :

وغيداء إبريقٍ كأن رُضابها جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجر

والثالثة من قولهم سيفٌ إبريق مأخوذ من البريق . قال ابن أحمر

تقلدتَ إبريقاً وعلقت جعبة لتُهلك حياً ذا زهاء وجامل

(٢) يعني الفالوذج .

(٣) من قولهم وزأت اللحم اذا شويته .

(٤) من نسأ الله في أجله أي لها خبزٌ مع طول حياة .

بصرْب(١) ، ويجوز بإرْب(٢) ، ويجوز بكَشْب(٣)، فان قال : من أم صمْت ، جاز أن يقول : حوّارى بكُمْت (٤) ، ويجوز حوّارى بحَمْت (٥) ، فان أخرجه إلى الثاء فقال : [من] أم شَثٍّ ، قال وحوّارى ببثّ (٦) ، فان أخرجه إلى الجيم فقال [من] أم لَجٍّ ، جاز أن يقول : وحوارى بدَجٍ (٧) ، فان خرج إلى الحاء فقال : من أم شحّ ، جاز أن يقول : حوّارى بمُحّ ، وببُحّ وبرُحٍّ ؛ وبجُحّ وبسحّ (٨) ، فان قال : أم دُخّ ، قال حوّارى بخّ ، فان قال : أم سعد ، قال حوارى : بثَعْد (٩) ، فان قال : أم وَقْذ ، قال حوارى : بشِقْذ (١٠) . فان قال أم عمرٍو ، فان أشبه ما يقول حوارى بتمر ، فان قال أم كَرْز ، فان أشبه ما يقول حوارى بأرز ، فان قال أم ضِبس ، قال وحوارى بدبس ، فان قال [من] أم قِرْش ، جاز أن يقول حوارى بوَرْش (١١) ، فان قال أم غَرْض ، جاز أن يقول حوّارى بفَرْض (١٢) ، فان قال من أم لَقْطٍ ، جاز أن يقول حوارى بأقْط ، فان قال من أم حظّ ،

---

(١) اللبن الحامض .

(٢) أي بعُضوٍ من شواء أو قديد .

(٣) أكل الشواء .

(٤) جمع تمرة كُمَيت وذلك من صفات التمر .

(٥) من قولهم تمرٌ حَمْت إذا كان شديد الحلاوة .

(٦) البث: تمر لم يجَد كنزه فهو متفرق .

(٧) الدَّج : الفروج .

(٨) المُحّ : مح البيضة ، البح : جمع أبح من قولهم كسرٌ أبحّ أي كثير الدسم . البُح : القداح أي هذه المرأة أهلها أيسار ؛ الرُحّ : جمع أرَحّ وهو من صفات بقر الوحش أي يصاد لهذه المرأة ، ويقال لأظلاف البقر رُح . السُّح : تمر صغير يابس . والجح : صغار البطيخ قبل أن ينضج .

(٩) في الأصل : بسعد . والثعد : الرطب الذي قد لان كله .

(١٠) الشِّقذ : فراخ الحجل .

(١١) الورش : ضرب من الجبن .

(١٢) الفرض : ضرب من التمر . قال الراجز :

إذا أكلتُ لبناً وفرضاً ذهبت طولاً وذهبت عرضا

جاز ان يقول حوارى بكَظّ (١) ، فان قال ام طلاع ، جاز ان يقول حوارى بخلع (٢) ، فان قال ام فرع ، جاز ان يقول حواري بضَرع ، فان قال أم مبغ ، قال حوارى بصبغ (٣) ، فان قال أم حشف ، قال حوارى برَخف (٤) ، فان قال ام فرق ، قال حوّارى بعَرْق (٥) ، فان قال ام سبك قال حوارى برَبْك ، أو بلَبك (٦) . فان قال أم نخْل ، قال حوارى برخل (٧) ، فان قال ام صرم ، قال حوّارى بطرم (٨) ، فان قال ام دَوّ ، قال حوارى بحَوّ (٩) ، فان قال ام كُره ، قال حوارى بوُرْه (١٠) ، فان قال أم شَرْي ، قال حوّارى بأرْي (١١) . [و ٥٢]

ذكر الأعشى

ومنها (١٢) : ويذكر الشيخ حسّن الله الأيام بطول عمره الأعشى فيقول : ..... ووددْت أنه ما صدّته قريشٌ لمّا توجه إلى النبي ﷺ ولو أنه أسلم لجاز أن يكون بيننا في الجنة (١٣) ، فيُنشدَنا غريب الأوزان ، مما نظَم في دار الأحزان ، ويُحدثنا حديثه مع هوْذَة بن عليّ وعامر بن

---

(١) أي يكظها الشبع .

(٢) الخلع : هو الذى كان يطبخ ويحملونه في القروف ، وهي أوعية من أدم وينشد :

كلي اللحم الغريض فان زادي لمن خلْعٍ تضمّنه القروف

(٣) الصبغ : ما تغمس فيه اللقمة من مَرَق او زيت او خل .

(٤) الرخْف : زبد رقيق والواحدة رَخْفة . قال الشاعر :

لنا غنم يرضي النزيل حليبها ورخْف يناديه لها وذبيح

(٥) العَرْق : عظم عليه لحم من شواء او قديد .

(٦) من قولهم رَبَكْت الطعام أو لبكته إذا خلطته . وكان ذلك مما فيه رطوبة مثل أن يخالطه لبن أو سمن او نحو ذلك .

(٧) الرخْل : الأنثى من أولاد الضأن .

(٨) الطرم : العسل . وقد سمي السمن طِرماً .

(٩) الحوّ : الجدي

(١٠) وُرْه : جمع أوْرَه ، من قولهم كبش أوره أي سمين .

(١١) الأري : العسل .

(١٢) رسالة الغفران طبعة هندية ص ١٨ ، وطبعة كامل كيلاني ص ٣٥ .

(١٣) رسالة الغفران [هندية] : في المجلس .

الطُّفَيل ، ويزيدَ بن مُسهر وعلقمة بن عُلاثة وسَلامة بن ذي فائشٍ وغيرهم ممن مدحه أو هجاه ، وخافه في الزَمنِ أو رجاه ثم إنه أدام الله تمكينه يخطُر له حديث شيء كان يسمى « النزهة في الدار الفانية » فيركبُ نجيباً من نُجب الجنة خُلق من ياقوتٍ ودرٍّ في سَجْسَجٍ بَعُد عن الحر والقُرّ ويتمثل (١) :

ليت شعري متى تَخُبُّ بنا النـــاقةُ نحو العُذَيب فالصَّيْبونِ

مُحقِباً زُكْرَةً وخبز رُقاقٍ وحِباقاً وقطعةً من نون (٢)

[ظ ٥٢]

فيهتف هاتفٌ : أتشعر أيها العبد المغفور له ، لمن هذا الشعر ؟ فيقول الشيخ [نعم (٣)] حدثنا أهل ثقتنا أنه لميمونِ بن قيس بن جندل ... فيقول الهاتف: أنا ذلك الرجل مَنَّ الله عليَّ بعدما صرت من جهنم على شفير ، ويئست من المغفرة والتكفير فيلتفت الشيخ إليه هشًّا بشًّا مرتاحاً فاذا هو بشاب غُرانق(٤) غَبَر في النعيم المُفانق وقد صار عَشاه حَوراً معروفاً وانحناء ظهره قواماً موصوفاً [فيقول : أخبرني كيف كان خلاصك من النار فيقول (٥)] : « سحبتني الزَّبانية إلى سقر ، فرأيت رجلاً في عرصات القيامة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر، والناس يهتفون به من كل أوْب : يا محمد ! يا محمد ! الشَّفاعة الشفاعة ، نَمُتُّ بكذا ونمت بكذا ، فصرخت في أيدي الزبانية : يا محمد أغثني فان لي بك حرمة فقال يا عليُّ بادره فانظر ما حرمته . فجاءني علي بن أبي طالب .... فزجرهم عني وقال : ما حرمتك ؟ فقلت أنا القائل

ألا أيُّهذا السائلي أين يمَّمتْ فإن لها في أهل يثربَ موْعدا

فآليت لا أرثي لها من كلالةٍ ولا من حفيً حتى تُلاقي محمدا

متى ما تُناخي عند باب ابن هاشمٍ تُريحي وتَلقَيْ من فواضله ندا

---

(١) في الرسالة [هندية] : « متمثلاً بقول البكري » .

(٢) الحِباق : جرزة البقل .

(٣) سقطت من الأصل المخطوط .

(٤) غرانق : جميل .

(٥) هذه الجملة غير موجودة في الرسالة المطبوعة .

وهي أبيات كثيرة ومنها :

نبيٌّ يرى ما لا يَرَوْنَ وذكره أغارَ لعمري في البلاد وأنجدا

« وقد كنت أومن بالله وأصدّق بالبعث وأنا في الجاهلية [الجهلاء] . [و٥٣]

فذهب عليّ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله هذا أعشى قيسٍ قد روي مدحه فيك وشهد أنك نبيّ مرسل . فقال : « هلاّ جاءني في الدار السابقة ؟ » فقال عليٌّ : « قد جاء ولكن صدّته قريش وحبُّه للخمر » . فشفع لي فأدخلت الجنة على أن لا أشرب فيها خمراً ، وكذلك منْ لم يتب من الخمر في الدار الساحرة ، لم يُسقها في الآخرة .

ذكر زهير وعبيد

وينظر (١) الشيخ في رياض الجنة فيرى قصرَيْن منيفين (٢)، فيقول في نفسه : لأبلُغنَّ هذين القصرين فأسأل لمن هما ؟ فاذا قرب منها (٣) رأى على أحدهما مكتوباً « هذا القصر لزهير بن أبي سلمى المزنيّ » ، وعلى الآخر : « هذا القصر لعَبيد بن الابرص الأسدي » فيعجب من ذلك ويقول : (هذان ماتا في الجاهلية ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء ، وسوف ألتمس لقاء هذين الرجلين فأسألهما بم غُفر لهما ؟ فيبتدئ بزهير فيجده شاباً كالزهرة الجنّية كأنه ما لبس جلباب هرم ، ولا تأفف من البرم (٤) . وكأنه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حوْلاً لا أبا لك يسأم

ولم يقل في الأخرى :

ألم ترني عُمّرت تسعين حِجّة وعشراً تباعاً عشها وثمانيا

فيقول : جَيْر جَير (٥) أأنت أبو كعب وبجَير ؟ فيقول نعم فيقول : أدام الله عزّه بم غفر لك وقد كنتَ في زمان الفترة والناس هَمَلٌ لا يَحسُن منهم العمل ؟ فيقول : « كانت نفسي من الباطل نفورا ، فصادفت ملكاً غفورا [ظ٥٣]

---

(١) رسالة الغفران [هندية] ص ٢٢ ورسالة الغفران [كيلاني] ص ٢٧ .

(٢) عاليين .

(٣) في الأصل المخطوط : إليهما .

(٤) البرَم : الضجر .

(٥) نعم ، نعم .

وكنت مؤمناً بالله العظيم ، ورأيت فيما يرى النائم حبلاً نزل من السماء . فمن تعلق به من سكان الأرض سلِم ، فعلمت أنه أمرٌ من أمر الله فأوصيت بَنيَّ فقلت لهم عند الموت : « إن قام قائم يدعوكم إلى عبادة الله فأطيعوه » ولو أدركت محمداً لكنت أول المؤمنين » . فيقول له الشيخ : أفأطلقَتْ لك الخمر كغيرك من أصحاب الخلود ، أم حرِّمت عليك مثل ما حرمت على أعشى قيس ؟ فيقول زهير : « إن أخا بكر أدرك محمداً فوجبت عليه الحجة لأنه بُعث بتحريم الخمر ... ، وهلكت أنا ، والخمر كغيرها من الأشياء ، يشربها أتباع الأنبياء فلا حجة عليّ » . فيدعوه الشيخ إلى المنادمة ، فيجده من ظِراف الندماء فيسأله عن أخبار القدماء

حديث عَبيد

ثم (١) ينصرف عنه إلى عَبيد ، فاذا هو قد أعطي بَقاء التأبيد (٢) فيقول : « السلام عليك يا أخا بني أسد » فيقول: وعليك السلام (وأهل الجنة أذكياء) لا يخالطهم الأغبياء . لعلك تريد أن تسألني بم غُفِرَ لي ؟ فيقول أجل وإن في ذلك لعجَباً أألفيتَ حكماً للمغفرة موجباً . ولم يكن عن الرحمة محَجَّباً ،

[و ٥٤]

فيقول عبيد : أخبرك اني ادخلت(٣) الهاوية وكنت قلت في ايام الحياة :

من يسأل الناس يحرموه وسائل الله لا يَخيب

وسار هذا البيت في آفاق البلاد فلم يزل يُنشد ويخفّف(٤) عني العذاب حتى أطلقت القيود والاصفاد ، ثم كرّر إلى ان شملتني الرحمة ببركة ذلك البيت (وإن ربنا لغفور رحيم) . فاذا سمع الشيخ ، ثبّت الله وطأته ، ما قال ذانك الرجلان طمع في سلامة كثير من اصناف الشعراء فيقول لعَبيد : ألك عِلمٌ بعَديّ بن زيدٍ العِبادي فيقول : هذا منزله قريباً منك ، فيقف عليه فيقول: كيف كانت سَلامتك على الصراط ، وَخلاَصك من بعد الإفراط فيقول : (إنني كنت على دين المسيح وكان من أتباع الانبياء قبل أن يبعث محمد ﷺ فلا بأس عليه وإنما التَّبعة على من سجد للأصنام ، وعدفي الجهلة من الأنام .

(١) رسالة الغفران [هندية] ص ٢٣ وطبعة [كيلاني] ص ٣٢ .

(٢) التأبيد : الخلود .

(٣) في الرسالة [هندية] : دخلت .

(٤) في الرسالة [هندية] : ويخفف .

حديثه مع رضوان

منهـا (١) .... ويقول [الشيخ (٢)] أنطقه الله بكل فضل ... أنا أقصّ عليك قصتي : لما نهضت انتفض من الرَّيم وحضرت حَرَصات (٣) القيامة ، ذكرت الآية : « تعرج الملائكة والرّوح إليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة ....» فطال عليّ الأمد . واشتد الظمأ والوَمد(٤) . وأنا رجل مِهياف(٥). فافتكرت فرأيت أمراً لا قوام لمثلي به ، ولقيَني الملَك الحفيظ بما زُبِرَ (٦) لي من فعل الخير فوجدت حسناتي قليلةً كالنُّفَأ (٧) في العام الأرمل (٨) ، إلا أن التوبة في آخرها كأنها مصباحُ أبيل ، رُفِع لسالك السبيل فلما أَقمْت في الموقف زهاء شهر أو شهرين ، وخفت من الغرَق في العرَق ، زَيَّنت لي النفس الكاذبة أنْ أنظمَ أبياتاً في رِضوان خازن الجنان ، عملتها في وزن (قفا نبك من ذكرى حبيبٍ وعِرفان) ووسمْتها برضوان . ثم ضانكت (٩) الناس حتى وقفت منه بحيث يسمَع ويرى . فما حفل بي ولا أظنه أبهَ لما أقول . فغَبرْت (١٠) برهةً نحو أيامٍ عشرة من أيام الفانية ، ثم عملت أبياتاً في وزن :

[ظ ٥٤]

مدح رضوان

بان الخليط ولو طوِّعت ما بانا   وقطّعوا من حبال الوصل أقرانا

ووسمْتُها برضوان ثم دَنوت منه ففعلت كفعلي الأول فكأني أحرّك ثبيرا (١١) ، وألتمس من العِضْرِم (١٢) عبيرا فلم أزل أتتبّع الأوزان التي

(١) رسالة الغفران [هندية] ص ٥٤ وطبعة [كيلاني] ص ٧٠ .

(٢) أي ابن القارح .

(٣) الحرصات : مثل العرصات أبدلت الحاء من العين . الرَّيم : القبر .

(٤) الوَمد : شدة الحر وسكون الريح .

(٥) مِهياف : سريع العطش .

(٦) زُبِر : كُتب

(٧) النفأ : القطع من النبات المتفرقة هنا وهنا .

(٨) الأرمل : قليل المطر .

(٩) ضايقت ، زاحمت .

(١٠) مكثت .

(١١) ثبير : جبل بمكة .

(١٢) العضرم : تراب يشبه الجص .

يمكن أن يوسم بها رضوان حتى أفنيتها وأنا لا أجد عنده مغوثة ولا ظننته فهم ما أقول. فلما استقصيت الغرض (١) فما أنجحت، دعوت بأعلى صوتي: [و ٥٥] «يا رضوانُ! يا أمين الجبّار الأعظم على الفراديس! ألم تسمعَ ندائي (٢) بك واستغاثتي إليك؟ فقال: لقد سمعتك تذكر رضوان وما علمت [ما (٣)] مقصدك فما الذي تطلبُ أيها المسكين؟ فأقول أنا رجلٌ لا صبر لي على اللُّواب (٤). وقد استطلتُ مدّة الحساب، ومعي صكٌّ (٥) بالتوبة، وهي للذنوب كلها ماحية، وقد مدحتك بأشعار كثيرةٍ ووسمتها (٦) باسمك. فقال: (وما الأشعار؟) فاني لم أسمع بهذه الكلمة قطُّ إلا الساعة! فقلت: الأشعار جمع شعرٍ، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائطَ إنْ زاد أو نقص أبانه الحسّ، وكان أهل العاجلة يتقربون به إلى الملوك والسادات، فجئت بشيءٍ منه إليك لعلك تأذن لي بالدخول إلى الجنة في هذا الباب، فقد استطلت ما الناس فيه وأنا ضعيفٌ منينٌ (٧) ولا ريب أني ممن يرجو المغفرة وتصحّ له بمشيئة الله تعالى فقال إنك لغَبين الرأي، أتأملُ أن آذن لك بغير إذن من ربّ العزة؟ هيهاتَ هيهاتَ! وأنّى لهم التناوُش (٨) من مكانٍ بعيد. فتركته وانصرفت بأملي إلى خازنٍ آخر يقال له زُفر فعملت كلمةً ووسمتها باسمه في وزن قول لبيدٍ: مدح زفر

تمنّى ابنتاي أن يعيش أبوهما وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضرْ

---

(١) في الأصل «الغروض».
(٢) في الأصل «نداي».
(٣) زائدة عن بقية الطبعات.
(٤) العطش، قالوا: «إذا طافت الابل على الحوض، ولم تقدر على الماء لكثرة الزحام، فذلك اللُّواب».
(٥) الصك: أذن او وثيقة.
(٦) في الأصل «وسمتها».
(٧) ضعيف.
(٨) التناوش: التناول او الاختلاط.

[ظ ٥٥] وقرُبت منه فأنشدتها فكأني إنما أخاطب رَكوداً صمّاء (١) ، لأستنزل (٢) أبوداً عصماء(٣). ولم أترك وزناً مقيّداً ولامطلقاً يجوز ان يوسم بزُفر،إلا وسمته به فما نجع ولا غيَّر. فقلت: « رحمك الله! كنا في الدار الذاهبة نتقرّب إلى الرئيس والملك بالبيتين او الثلاثة فنجد عنده ما نحبّ وقد نظمت فيك ما لو جُمع لكان ديواناً وكأنك ماسمعت لي زَجمةً (٤) فقال : لا أشعر بالذي حمت(٥) وأحسب هذا الذي تجيئني به قرآن إبليس المارد ، ولا ينفُق (٦) على الملائكة ، إنما هو للجانّ وعلّموه ولَدَ آدم . فما بغيتك ؟ » فذكرت له ما أريد فقال : « والله ما أقدرُ لك على نفعٍ ، ولا أملك لخلقٍ من شفعٍ ، فمن أي الأمم أنت ؟ » فقلت : « من أمة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب . » فقال : « صدقتَ ذلك نبيّ العرب ، ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لأن إبليس اللعين نفثه في إقليم العرب فتعلمه نساءٌ ورجالٌ وقد وَجب عليّ نُصحُك ، فعليك بصاحبك لعلّه يتوصل إلى ما ابتغيت... فجعل اتخلل العالَم فاذا أنا برجل عليه نور يتلألأ وحواليه رجال تأتلق منهم أنوار ، فقلت : « من هذا الرجل ؟ » فقيل : « هذا حمزة بن عبد المطلب صريعُ وحشيّ(٧)، وهؤلاء الذين حوله من استُشهد من المسلمين في أحُد». فقلت لنفسي [الكذوب] «الشعر عند هذا أنفق منه عند خازن الجنان، لأنه شاعرٌ وإخوته شعراء ، وكذلك أبوه وجدُّه ولعله ليس بينه وبين معدّ بن عدنان إلا من قد نظم شيئاً من موزون فعملت أبياتاً على منهج أبيات كعب بن مالك التي رثى بها حمزة وأولها :

حديثه مع حمزة بن عبد المطلب

[و ٥٦]

مدح حمزة

---

(١) الركود الصماء : الأرض الغليظة أو الجبل .

(٢) في الأصل : لا يستنزل .

(٣) الأبود العصماء : البهيمة المتوحشة المستعصمة بالجبل .

(٤) كلمة .

(٥) قصدت .

(٦) يروج .

(٧) هو عم النبي [ص] وكان أسن منه بأربع سنوات أو أقل ، وقد أسلم واعتزّ به الاسلام وشهد غزوتي بدر وأحد وقتله في الثانية وحشي بن حرب .

صفيّةُ قومي ولا تجزعي (١) وبكّي النساء على حمزه

وجئت حتى وليتُ (٢) منه فناديت « يا سيد الشهداء ، يا عمّ رسول الله ، يا بن عبد المطلب ! » فلما أقبل عليّ بوجهه أنشدته الأبيات فقال : (ويحك! أفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمدح ؟ أما سمعت الآية : (لكل امرىءٍ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه) فقلت بلى سمعتها وسمعت ما بعدها « وجوهٌ يومئذٍ مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، ووجوه يومئذٍ عليها غَبَرَة ، ترهقها قَتَرَة ، أولئك هم الكفرة الفجرة » فقال : « إني لا أقدر على ما تطلب ولكني أنفذ معك تَوْراً (٣) إلى ابن أخي عليّ بن أبي طالب ليخاطب النبي ﷺ في أمرك » فبعث معي رحلاً فلما قص قصتي على أمير المؤمنين قال أين بيّنتك ، يعني صحيفة حسناتي.

مقابلة أبي علي الفارسي

[ظ٥٦]

وكنت رأيت في المحشر شيخاً لنا كان يُدرّس النحو في الدار العاجلة يُعرَف بأبي عليّ الفارسي ، وقد امْتَرَس (٤) به قوم يطالبونه ويقولون :« تأوّلتَ علينا وظلمْتَنا » فلما رآني أشار إليّ بيده فجئته ، فاذا عنده طبقةٌ ، منهم يزيد بن الحَكَم الكلابيّ وهو يقول : « ويحك ، أنشدْت عني هذا البيت برفع الماء يعني قوله :

فليت كفافاً كان شرُّكَ كلّهُ وخيرُك عني ما ارتوى الماءُ مرتوي

ولم أقل إلا الماءَ ، وكذلك زعمت أبي فتحت الميم في قولي :

تبدّلْ خليلاً بي كشكلك شكلُه فاني خليلاً [صادقاً (٥)] بك مُقتوي (٦)

وإنما قُلت مقتوي بضم الميم !. وإذا هنالك راجز يقول : تأوّلت عليّ أني قلت :

يا إبلي ما ذنبه فتابيَه ماءٌ رَواءٌ ونصيٌّ حوْليَهْ

فحرّكت الياء في تابيه ، ووالله ما فعلت ولا غيري من العرب وإذا رجل

---

(١) في الطبعات الأخر : ولا تعجزي .

(٢) وليت منه : دنوت وقربت .

(٣) رسولاً .

(٤) تعرضوا له ، ولجّوا معه .

(٥) في بقية الطبعات : صالحاً .

(٦) مقتوي : أي متبدل به ومعنى البيت : اختر لنفسك صديقاً آخر يشبهك وتشبهه فاني متبدل بك خليلاً صالحاً .

آخر يقول : ادعَيْت عليَّ على أن الهاء راجعة على الدرس في قولي :

هذا سُراقة للقرآن يدرسه والمرءعند الرُشي إن يلقَها ذيبُ

أفمجنون أنا حتى أعتقد ذلك وإذا جماعة من هذا الجنس كلهم يلومونه على تأويله . فقلت : « يا قوم ! إن هذه أمور هيّنة فلا تُعنِتوا هذا الشيخ فانه يمّت بكتابه في القرآن المعروف بالحُجّة وإنه ما سفَك لكم دماً ولا احتجن عنكم مالاً ، فتفرّقوا عنه، وشُغلت بخطابهم .. فسقط مني الكتاب الذي فيه حسناتي (١) فرجعت أطلبه فما وجدته ، فأظهرت الوَلَهَ والجَزَع فقال أمير المؤمنين : « لا عليك ، ألك شاهد بالتوبة ؟ » فقلت : « نعم ! قاضي حلب وعُدولها (٢) » فقال : « بِمَن يُعرف ذلك الرجل ؟ » فأقول : « بعَبْد المُنْعم ابن عبد الكريم قاضي حلب حرسها الله في أيام شِبْل الدولة » فأقام هاتفاً يهتف في الموقف : « يا عبد المنعم بن عبد الكريم قاضي حلب في زمان شَبْل الدولة ، هل معك علمٌ من توبة عليّ بن منصور [بن طالب(٣)] الحلبي الأديب فلم يُجبْه أحد فأحذني الهَلَع والقِلّ (٤) ثم هتف الثانية فلم يُجبه مجيب ، فليحَ (٥) بي عند ذلك ثم نادى الثالثة فأجابه قائل « نعم قد شهدت توْبة عليّ بن منصور [وذلك بأَخرَةٍ (٦) من الوقت وحضرتْ متابه عندي جماعة من العُدول وأنا يومئذٍ قاضي حلب وأعمالها والله المستعان . فعندها نهضْت وقد أحذتُ الرَّمق (٧) فذكرت لأمير المؤمنين ما ألتمِسُ فأعرض عني وقال : إنك لتروم جدداً ممتنعاً ، ولك أسوَةٌ بوَلد أبيك آدم » . وهممتُ بالحوض ، فكدت لا أصل إليه ، ثم نغبْت منه نَغَبات (٨) لا ظمأ بعدها (٩) ، وإذا

حديثه مع علي بن ابي طالب

[و٥٧]

(١) في بقية الطبعات « ذكر التوبة » عوضاً عن حسناتي .
(٢) عدول : جمع عدل ، وهو العادل الذي ترضى شهادته .
(٣) سقطت من الأصل .
(٤) القل : الرعدة .
(٥) ليحَ بي : صُرِعت الى الأرض .
(٦) جاء أخرة ، وبأخرة : أي آخر كل شيء .
(٧) الرمق : بقية الروح .
(٨) في الأصل « نغمات » . والنغبات : الجرع .
(٩) في الأصل « بعدهن » .

الكفرة يحملون أنفسهم على الورود فتذودهم الزبانية بعصيٍّ تضطرم ناراً، فيرجع أحدهم وقد احترق وجهه أو يده وهو يدعو بو يل وثبور (١). فطُفت على العترة المنتخبين، فقلت: «إني كنت في الدار الذّاهبة إذا كتبت كتاباً وفرغت منه قلت في آخره: (وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى عترته الأخيار الطيبين) وهذه حُرمة لي ووسيلة. فقالوا: «ما نصنع بك؟» فقلت: «إن مولاتنا فاطمة — عليها السلام — قد دخلت الجنة مُذْ دهر. وإنها تخرج في كل حين مقداره أربع وعشرون ساعةً من [ساعات (٢)] الدّنيا الفانية، فتسلّم على أبيها وهو قائم لشهادة القضاء ثم تعود إلى مستقرّها من الجنان فاذا هي خرجت كالعادة فاسألوها (٣) في أمري بأجمعكم فلعلها تسأل أباها فيّ.» فلما حان خروجها ونادى الهاتف أن غضّوا أبصاركم يا أهل الموقف حتى تعْبُر فاطمة بنت محمدٍ ﷺ احتمع من آل أبي طالبٍ حاقٌ كثير من ذكورٍ وإناثٍ ممّن لم يشرب خمراً ولا عَرَف قطّ منكراً، فلقوها في بعض السبيل فلما رأتهم قالت: «ما بال هذه الزّرافة (٤)؟ ألكم حال تذكر؟» فقالوا «[نحن (٥)] بخَير. إنا نلتذ تحُف أهل الجنة. غير أنّا محبوسون للكلمة السابقة ولا نريد أن نتسرّع إلى الجنة من قبل الميقات، إذ كُنّا آمنين ناعمين بدليل قوله: (إن الذين سبقت لهم منا الحُسنى أولئك عنها مُبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، لا يحزُنُهم الفزَع الأكبر وتتلقّاهم الملائكة، هذا يومكم الذي كنتم توعدون)

حديثه مع فاطمة الزهراء

[ظ ٥٧]

وكان فيهم عليٌّ بن الحسين وابناه محمد وزيد وغيرهم من الأبرار الصالحين ومع فاطمة امرأة أخرى تجري مجراها في الشرف والجلالة فقيل: «من هذه؟» فقيل: «خديجة بنت (٦) خُوَيلد بن أسد بن عبد العُزّى» ومعها شبابٌ على

(١) الثبور: الهلاك.

(٢) سقطت من الأصل.

(٣) في الأصل: فاسألوا.

(٤) الزّرافة: الجماعة.

(٥) سقطت من الأصل.

(٦) في الأصل «ابنة».

[٥٨و] أفراسٍ من نور فقيل : « من هؤلاء ؟ » فقيل : « عبد الله والقاسم والطيِّبُ والطّاهر (١) وابراهيم بنو محمد ﷺ » فقالت تلك الجماعة التي سألتُ : « هذا وليٌّ من أوليائنا قد صحَّت توْبته ولا ريب أنه من أهل الجنة وقد توَسَّل بنا إليك صلى الله عليك في أن يُراحَ من أهوال الموقف ويصير إلى الجنة فيتعجَّل الفوز » فقالت لأخيها إبراهيم صلى الله عليه « دونك الرجل » فقال لي : « تعلَّق بركابي » وجعلت تلك الخيل تخلَّل الناس ، وتنكشف لهم الأمم والأجيال . فلما عظُم الزِّحام طارت في الهواء وأنا متعلّق بالركاب فوقفتْ عند محمد ﷺ فقال : « من هذا الأتاوِيّ (٢) ؟ » فقالت له : « رجلٌ سالَ فيه فلان وفلان » وسمَّت جماعةً من الأئمة الطاهرين . فقال : « حتى ننظر في عمله » . فسأل عن عملي فوُجد في الديوان الأعظم وقد خُتِم بالتوبة فشفَعَ لي فأذن لي بالدخول ولما انصرفت الزهراء تعلّقت بركاب إبراهيم ، فلمّا خلَصْتُ من تلك الطّموش (٣) قيل [لي(٤)] : « هذا الصراط أعْبر عليه » فوجدته خالياً لا عَريب (٥) عنده فبلَوْت نفسي بالعُبور فوجدْتُني لا أستمسك فقالت الزَّهراء لجاريةٍ من جواريها : « يا فلانة أجيزيه (٦)! » فجعلت تُمارسُني وأنا أتساقط عن يمينٍ وشمال . فقلت : « يا هذه إن أردت سلامتي فاستعملي معي قولَ القائلِ في الدار العاجلة :

[٥٨ظ]

ستِّ إن أعياكِ أمري فاحمليني زَقَفونَهْ

فقالت : « وما زقفونه ؟ » قلت : « أن يطرح الانسان يديه على كتِفَيْ الآخرَ ويُمسِك [الحامل(٧)] بيدَيه ويحمله وبطنه إلى ظهره، أما سمعت قولَ الجَحجَلول من أهل كَفَرْ طابٍ

حديثه مع النبي

---

(١) الطيّب والطاهر لقبان، واولاد رسول الله ثلاثة : عبد الله والقاسم وابراهيم .

(٢) الأتاوي : الغريب .

(٣) الطموش : جمع طمش وهو الناس .

(٤) سقطت من الأصل .

(٥) لا أحد .

(٦) اجعليه يجوز ، اي يعبر .

(٧) زائدة في الأصل .

صلَحت حالتي إلى الخلف حتى صرت أمشي إلى الورى زَوَّفونه

فقالت: « ما سمعت بزقفونه ولا الجحجلول ولا كفر طاب إلا الساعة ! » فتحملني وتجوز كالبرق الخاطف. فلمّا حُزْت، قالت الزهراء عليها السلام: « قد وهبْنا لك هذه الجارية فخُذْها كيْ تخدُمك في الجنان » فلما صرت إلى باب الجنة قال لي رضوان: « هل معك من جواز؟ » فقلت: « لا » فقال: « لا سبيل لك إلى الدخول إلاّ به » فبَعِلْت (١) بالأمر وعلى باب الجنة من داخل شجرة صفصاف فقلت: « أعطني ورقةً من هذه الصفْصافة حتى أرجع إلى الموقف فآخذَ عليها جوازاً » فقال: « لا أخرِج شيئاً من الجنّة إلا بإذنٍ من العليِّ الأعلى — تقدَّس وبارك — » فلما دَحِرْتُ (٢) بالنازلة قلت: « إنا لله وإنا إليه راجعون. لو أن للأمير أبي المُرَجّى خازناً مثلَك ما وَصلت أنا ولا غيري إلى قُرْقوفٍ (٣) من خزانته » والتفتَ ابراهيم فرآني وقد تخلَّفت عنه فرجعَ إليَّ فجذبني جذبةً حصَّلني بها في الجنة، وكان مُقامي في الموقف ستة أشهرٍ

حواره مع رضوان

تم المختار من رسالة الغفران

[و ٥٩]

ولأبي العلاء المعري ديوان شعر جميعه في الألغاز. منه:

نبذة من كتاب الألغاز

أضعفْتُ قوّةَ فرسانٍ ذكرتُ لهم إن الأوانس لاقت بالرّدى شَرَقا

فأصبَحتْ تطعَنُ الأعداء جاهدةً عن الملاح وترمي دونها الحَدَقا

أضعفت من قولك أضعفت الشيء إذا زدته ضعفه ألغز عن أضعفت من الضعف، كأن لما خبّرهم ان نساءهم هلكت اشتد ظهورهم لذلك لأنهم أمنوا عليها السباء. عن الملاح أي عن المياه الملاح، يقال قليب ملح وأقلبة ملاح. ألغز عن الملاح من الناس.

وقال:

شمطاء تُعمِلُ في غابٍ مخالبها فما تزال نهاراً تَعْضُدُ الشجرا

تأوي إلينا فقد أغْنَتْ معاشرَنا عن الوُقود وما أدْمَتْ لها ظُفُرا

---

(١) وصلت حيرتي وسأمي إلى حد لم أدر معه ما أصنع.

(٢) حرت.

(٣) القرقوف: الدرهم.

شمطاء أمة والمخالب المناجل تعضد تقطع والوقود ما توقد به النار من الحطب

وقال :

إذا نعامة ليلٍ بالفلا بركتْ أنحى الظَّليم على التقريب والخبَبِ
وإنَّ مَنْ جعل الظلماءَ ناقته كانت جديراً بما يهوى من الأربِ

نعامة الليل : ظلمته . والظليم : المظلوم ألغز عن ظليم النعام

وقال :

وراقدٍ لو أراد النجم أدركه يُلقي عصاه على الجوزاءِ والحملِ
يرى على الأيْنِ بالمرّيخ من يده ولا يخاف وقوع النّحس من زُحَلِ
يهوى الثُّريّا فيَبغيها وتُمكنُه من نفسها فيقضي غاية الأملِ
إذا دنا كوكبٌ منه ليختله ردّاه بالفهر أو صاداه بالعللِ
متى رأى هاديَ السِّرحان ربع له وإن رأى ذنب السِّرحان لم يَبَلِ

[ظ ٥٩]

النجم : النبت . والجوزاء : شاة في وسطها بياض وهي سوداء أو سوداء وهي بيضاء ذكر ذلك غير واحد في شيات الغنم . والمريخ : سهم له أربع قُذذ . ولا يخاف وقوع النحس أي لا ينظر في النجوم والثريا : تصغير ثرْيا وهي أرض ذات ثرى وأصلها المد وقصرها جائز في الشعر . والكوكب : الغلام اليافع . ردّاه أي رماه صاداه : داراه .

وقال :

إن العقيقَ أتانا من مَحلّته بالبصرة العامَ حتى حلَّ في هجَرا
يهُزّ نفساً إلى العلياءِ تائقةٍ لو كانت الدَّجنَ لم تمسك بها مطرا

العقيق ههنا الرجل المعقوق . ألغز عن عقيق البصرة وهو موضع بها .

وقال :

أتى الأربعاء القوم في يوم جمعة وسبتهم وافاهم بخميس
ومن لا يخنه عمره تلق نفسه ضروب نعيم في الزمان وبوس

[و ٦٠]

الاربعاء ههنا جمع ربيع وهو النهر الصغير . ألغز عن اليوم وسبتهم إن شئت كان يوم السبت . وافاهم فيه خميس وهو الجيش وإن شئت كان الخميس

ههنا ضرباً من السير ويكون الخميس يوماً أو جيشاً أو ثوباً

وقال :

خليلان نيطا في جوانب مجلس جداراه قـــدّام له ووراء

متى يضع الرجلين ماش عليهما يزُل عنه في وشك حفا وحفاء

هذان : الركابان(١) والمجلس : السرج . جداره : قربوسه ومؤخرته . والحفا مقصور : أن يتجع الرحل من ألم المشي والحفاء ممدود : أن يمشي الرجل حافياً

وقال :

ولابسةٍ في قيظها ألف حلة وأكثر لم تحفل بحسن لباس

ولا خشيَت قرًّا ولا من ظهيرةٍ هجيراً ولا استحيَت عيونَ أناس

وكم عندها عارٍ يودُّ لوَ انّه بطمرَيْن من شرّ المعاوز كاسِ

هذه: الكعبة . والمعاوز : الثياب الاخلاق .

وقال أيضاً فيها :

تم المختار من كتاب الألغاز

لها الله ما همَّت لحيّ بزَوْرةٍ على أنها طول الزمان تُزارُ

عليها ستورٌ وهي غير حييّةٍ ولا عند لمسٍ بالأكف نَوارُ

نوار : نفور . وكتاب الألغاز كبير الحجم رتبه على جميع حروف الهجاء مشتمل على كل بحور الشعر وأعاريضه وضروبه وما ذكرنا هذه النبذة منه إلا ليستدل بها على أسلوبه وهـذه طريقة المتقدمين في الألغاز وقسم المتأخرون الألغاز إلى : لغز، وأحجية ومعمّى .

[ظ ٦٠]

نبذة في المعميات

أما المعمى فكقول أبي بكر العمري (٢) في علي :

---

(١) في الأصل : الركبان . والركاب ما يمسك الرجل في السرج كالغرز للرجل .

(٢) قال الحسن بن البوريني في تراجم الأعيان المصور بالمجمع العلمي العربي بدمشق ص ١٢٧ : هو الشيخ أبو بكر العمري العطار الدمشقي الشافعي نبغ في دوحة الأدب وبلغ من ذلك غاية الأرب . غير أنه الآن ليس له زى الأفاضل ولا يختلط بزمرة الأماثل لكونه مباشراً لصناعة سوقية ... نشأته غريبة ، له من الفطنة والذكاء ما لا يحيط به الوصف أبداً ... وله من الشعر محاسن لها من القلوب أماكن، وينظم في الزجل والموّال أمراً عجيباً —

من ريم طيٍّ طلبت وصلاً فقال قومي ذوو شراسه
فقلت مهلاً لو جاء طيٌّ ورام منعي شدخت راسه

وقوله فيه:

رقت حواشي خليل أنسي فراح يمشي بلا حواشي
والشمس قد توجته لما أدارها وهو في انتعاشِ

ولا يخفى ما في أدارها من الاستخدام .

وقوله في رمضان :

بالقلب أسرَّ قتلتي محبوبي يا شوقي دم ويا حشاي ذوبي
إن أوجب ما أسر يا حاجبه كن حاجبه بقوسك المجدوب !؟

وقوله فيه أيضاً :

فككت أزرارها يوم الوداع فمذ رأيتُ ما تمّ أمست حالتي فرطا
ما بين رمان نهديها ولا عجب خال على حسن صدرٍ درّه سقطا
فرمت لثماً به قالت مغالطةً احذر فديتك ان الاثم فيه خطا

في فيه استخدام لا يخفى حسنه .

وفيه لعبد المعين بن البكا :

بصدر معذّبي سطرت ضاداً مؤرخـــة لأيام السعود
فقال احسب حياتك قلت عيني حياتي بين رمان النهود

[و ٦١]

ولأبي بكر العمري في شاهين :

شنَّ غارات عتبة إذ تأوه ت غراماً فقال صرّحت باسمي
ناد باسمي معمياً قلت آهي يا حبيبي حلّت براعة نظمي

وله في علوان :

قالوا بما فاق ملاح الهوى حبك هذا قلت والعقل راح
باللحظ والعارض والصدغ والقامة والحاجب فاق الملاح

— ونمطاً غريباً . ثم أورد له بعض الشعر وختم ترجمته بقوله : « وهو الآن مقيم على صناعته ملازماً على اكتساب رزقه من حرفته وفقه الله للخيرات » . وترجمه المحبي في خلاصة الأثر ج١ ص ٩٩ ترجمة مطولة وتوفي سنة ١٠٦٨ هـ

وله في عبد الله :

بدا والشمس غرّته وثنىّ عذاريه بها فازداد حسنا

وله في حسين :

صارمتني على البعاد سعاد فهمى الدمع من عيوني وساحا
حسمت وصلها ولامت على الحـ ـب بشيب المَّ بي حين لاحا

ولبعضهم في حسام :

حسن من أهواه لا حـدَّ له يا ذا الشمائل
صيّر العاقل مجنوناً كذا المجنون عاقل

﴿ نبذة من معميات[1] الطالوي[2] ﴾

فنها قوله في بهرام :

لم أنسه إذ رمى عن قوس حاجبه سهم اللواحظ يصمي كل من رمقا
يا ليت قلبي لمرماه غدا هدفاً رام عليه بهاءٌ سهمه رشقا

وقوله في فهمي :

[ظ ٦١]

لام على لام عارضيه فمذ رآه زال الملام
وهام في ثغره عذولي وقد محا قلبه الهيام

وقوله في ميرك

أقبل كالبدر طلعة وسنا بقامة كالقضيب مياس
يسقي محبيه خمر ريقته ساق كريم يدور بالكاس

وقوله في صادق :

أكثرت تقبيل ثغر فما شفى لي عله

---

(١) لم أعثر في كتب البديع على المصدر الذي نقل منه البديعي هذه الألغاز والمعميّات ، كما أنني لم أهتد بعد تقليب النظر وإعمال الفكر في حل أكثرها ، ولذا فقد جاءت بعض الأبيات غير مستقيمة الوزن فأثبتها كما جاءت في الاصل . وأرى من العبث إضاعة الوقت في تحقيق هذه الأبيات الغامضة وكدّ الذهن في تفسيرها وتفكيك رموزها !!

(٢) هو الشيخ درويش الطالوي الارتقي الدمشقي الرومي ، كان أبوه جندياً قدم مع السلطان سليم إلى دمشق وأقام فيها ، فنشأ درويش ميالاً إلى العلم . دخل في خدمة قاضي القضاة بدمشق وتولى مناصب علمية عديدة . توفي بدمشق سنة ١٠١٤ هـ . خلاصة الأثر ج ٢ ص ١٤٩ . فوات الوفيات ج ١ ص ١٣٦ . البوريني : تراجم الأعيان ص ٢٢٦ .

ورواح قلبي صادٍ منه بأول قبله

وقوله في حسام :

رعى الله أياماً على أجرع الحمى نصب مضت والعيش في ظلها حلم
حشاه على أيام وصل تصرمت اوائلها أضحى وليس لها جرم

وقوله في صدري :

بدا في سماء الحسن خال بوجهه يلوح بأفق الخد كالكوكب الدري
أصاب عليه طرة الصبح فاختفى بها الكوكب الوضاح في غرة الفجر

وقوله في بهرام :

لم أنسه لما تبدى مقبلا نشوان يخجل قدّه الأغصانا
قاس أرانا منه لطف شمائل بهر الأنام بحسنهن ولانا

[و ٦٢]

وقوله في ذي الفقار :

عاذلي في الغرام دعني فقلبي ليس فيه عن الغرام اصطبار
حين يبدو في حسنه وعليه ذو قوام يسبي العقول وقار

وقوله في سليمان :

في وجهه وثغره لمن يرى صيد الظباء في الهوى سوانحا
محاسن فيها لمن يرومه طرف المحب ناظراً ولامحا

﴿ نبذة من معميات عبد المعين بن أحمد الشهير بابن البكا البلخي ﴾

فمنها قوله في درويش :

أفدي الذي دار بكاس الطلا وخده كالورد لما ورد
قلت اسقني من غير دور أبى وقال لي في الدور شيء ورد

وقوله في أمين :

سقا الله يوماً بالجزيرة ضمّنا بروضة أنس والحبيب مسامر
فلا زالت الأنواء ترضع نورها وأفنانها تبقى بها البحر داير

وقوله في خالد :

ومريض الجفون أحور ألمى قال لي مذ رأى تزايد وجدي !!
قم تملَّ بحسن وجهي فهذا حسن كل الأنام آل بخدى

وقوله في برويز :

أسير فؤاد أنحل الحب جسمه إذا ذكر المحبوب زاد هيامه
مسلسل قلب مرسل الدمع في الذي روى في حمى بان الحجاز غرامه

وقوله في سليمان :

[ظ٦٢] من بني الأتراك ظبي أهيف قدّه لاح كغصنٍ مائد
سلب الناس بخالين وكم عاشق مات بخالٍ واحد

وقوله في غضنفر :

بدا بقدٍّ كغصن البان زيّنه شحرور خال كسا وجناته نورا
لخار بلبل همّي في ربا خلدي وفرّ لما رأى في الغصن شحرورا

وقوله في أويس

قلت لما جلا محاسنه الباخل بالوصل وهو أهل لذاكا
فاطر القلب بالقوام وبالصدغ تمهّل فان قصدي وراكا

وقوله في عبد الله :

أرسل طرفي بدرتمٍ جفا والقلب في سجن الهوى سلسله
بعقلة من منتهى حاجب عليها ظهري تحنّى وله !!؟

وقوله في يونس :

قد قلت لما لاح لي وجه من أوصافه بالعشق تغريني
يا عقرب الصدغين مع حاجب حصنتما الدهر بياسين !!

وقوله في محاسن :

يا عاذلي في حب من قمت له بالفرض من شرع الهوى وواجبه
كم من محب روحه وماله محا على طرّته وحاجبه

وقوله في مصطفى :

لم أنسه إذ قال من تيهه وكأسه بالراح قد شرفا
[و٦٣] حباب هذا الخمر لما رأى فمي له صاد عليه طفا (١)

(١) في الأصل « طفى » .

وقوله في يوسف

يا سيداً حاز أوصاف العلا فغدت   كل الأنام جميعاً تقف من أثره (١)
أيوب هجرك ذاق اليتم من أسف   على قوامك لما غاب عن بصره(٢)

وقوله في رمضان :

ليت شعري بأي شيء أجازي   دهر صفو قد حفني بسعوده
زمن ضاء فيه كوكب أنسي   إذ وفا لي معذبي بوعوده

وقوله في سنان :

لبدري الذي همت في حبه   فقلبي ممّا به مدنف
جبين يكاد سنا برقه   لقوس حواجبه يخطف

وقوله في مراد :

يا غزالاً سبى الأنام بطرفٍ   وبتصحيفه ترى القلب مضنى
وبوجهٍ كالدّر زاد بهاه   مبسم زاد إذ غدا الخال حسنا

وقوله في مراد وسعدي :

بين أهل العلى اتفاق عجيب   مزج حسم مع اتحاد الطبائع
صادح الشوق ان وصلت ذراهم   مسرعاً حي سادتي دون مانع

وقوله في مراد :

يا بغية الطلاب يا من به   الدهر على أضدادنا نستعين
بالقلب دار لك يا منيتي   تقرب من زاوية الأربعين

[ظ ٦٣]

وقوله فيه :

بروحي وجسمي أفدي رشا   رشيق القوام وفي الحسن آيه
سرى جوده حيث لا مبدأ   وحاز من المجد مبدا وغايه

وقوله فيه :

حسن الذي حاز كل الحسن في فمه   وخلقه فله قد حل سفك دمي

---

(١) وروى « كل الأنام تروم الجمع من درره » وهي أقرب إلى الصواب من رواية الأصل لان فيها جزم تقف بغير جازم •

(٢) كذا بالأصل ولعلها يعقوب •

فالخمر ريقته من غير مبتدأٍ وخلقه أدب من غـير مختتم

وقوله فيه :

يا أهيل الجمال قد حل فيكم بدر تم في خلقه الحسن سافر
راح في مدحه البليغ ينادي ليس للمدح فيه كالراح آخر

وقوله فيه :

يا قرة العين يا مناي ويا من فاق بالحسن جملة البشر
بالقلب داء من الصدود ولم تعطف وقد فات أكثر العمر

وقوله فيه :

قال وقد أبصرني ناحلاً ما باك ؟ قلت الهجر يا ظالمي
قدأصبحت نسبة جسمي إلى مصر وأما القلب في دارم

وقوله فيه :

يا ملك الحسن ترفق بذي عقل ولب منها قـد سلب
فجد بوصل وابق في نعمة بدار ملك لك لا تنقلب

وقوله فيه :

كتمت اسم من أهوى فأظهره الهوى وقلّب نصفيه به أبداً وجـدا
وآخره والقلب أصبح في لظى وعينيَّ من هجرانه أبداً رمـدا [و ٦٤]

وقوله في كريمي :

قالوا اعتراك تغير ما أصله فأجبتهم والقلب فيه النـار
بترادف الهجران أحرق مهجتي رشأ له كي القـلوب شعار

وقوله في ابراهيم :

بكى إذ مرّ خلف أبيه خشف مصرّ للتنكر خوف لائم
فـلاحت بالدموع عليه لمّا رآه حلف والده علائم

وقوله فيهاشم :

محبك يا من نأت داره رعى الله قدّك ما أرشقه
متى هبّ منها نسيم الصبا تأوّه بالقلب واستنشقه

وقوله في قاسمي :

أقول لبدر لم يزل في صدوده إلى أن رثى لي حاسدي ورقيبي
رويداً رويداً بعض هذا الذي جرى كفى فوق سقم للفؤاد مذيب

وقوله في حمزة :

نظرة في جمال بدري تغني كل صبّ عن روضه ورحيقه
فاللظى والرحيق والراح صرفاً كفؤادي ووجنتيه وريقه

وقوله في داود :

أقول لبدر أخجل البدر في الضحى عليه تحمّلت المكاره والأذى
لك الود مني لا يزول فقال لي وود الذي تهواه من قبله كذا

[ظ ٦٤]

وقوله في سعدي :

يا ملك الحسن ورب السودد دمتَ على رغم العدا والحسّد
إن لم أفز بالوصل فوزاً سيدي عد بعد شهرين وصل يا مقصدي

وقوله في شمس :

يقول معذّبي لما اعتنقنا وقد سدل الظلام عليّ ذيله
تأمل كيف من حسد تلظى فؤاد البدر في يوم وليله

وقوله في حسن :

يا بديع الجمال رق لصب عميت عينه لفرط البكاء
ذائب القلب ذي عويل وحزن وحنين ممزق الأحشاء

وقوله في تاج :

بمن هجره ميقات موسى وقربه كمدة تكفير اليمين بدا كربي
فيا واصلي شحاً ويا هاجري سخاً متى تنقضي أيام هجرك بالقرب

وقوله في محمود :

وسيلة حسّادي إلى الهجر لومهم عليك لكي أني أحول عن العهد
فبالله جد واجبر بوصلك سيدي فؤاد محب في الوسيلة ذا ود

وقوله في رضوان :

يا لقومي من صورة تخجل الشمس بأنوارها وبدر السماء
تسلب العقل بالمحاسن سيما إن بدا الضوء قبلها للراء

وقوله في بياله :

[و ٦٥]

بحمام رأيت مذيب قلبي فقلت لعاذلي في العشق لايم
حبيب داخل الحمام يجلو قواماً كن له بالله خادم

وقوله في دلاور :

در ثغر الحب قد هيّمني فهو في الحسن على غير قياس
من لصب مستهام قلبه واله في الدر مفقود الحواس

وقوله في صالح :

مذ بالغ المحبوب في هجرانه رحلت عيسى عن مقام أشتهيه
فالروض لو كان النعيم نزاهة وغدا صريحاً معطشاً لادار فيه

وقوله في حيدر :

لكم دينكم يا عاشقي ربرب الحمى الاغن ولي ديني إلى الأجل الداني
لئن قستم بالبدر ضوء جبينه فحسبي بدر الثغر ليس له ثان

وقوله في سعدي :

في النفس حاجات تذيب الكلى على سوى راقي العلا لم تهن
لم تكن الأيام تسخو بها مولاي ساعدني وإن لم تكن

وقوله في أحمد :

ما لغزال النقا يجرّعني من غصص ما لها نهايات
بالقلب داء وفيه مرحمة بمرّة تنقضي الاساءات

وقوله في محمد :

[ظ ٦٥]

يا عاذلي في حبيب قلبي إلى متى في السلو تجهد
إني محب بلا انتهاء ومدمعي بالغرام يشهد

وقوله في سعيد :

كتمت عشقي جهدي لكن دمعي باحا
من حاسد فيه عيّ على الرشا حين لاحا

وقوله في مصلي :

لعاذلي قلت وقد زارني بدري فظل الوصل ممدود

تأمرني بالصوم عن وصله أمرك لي من بعد مردود

وقوله في قرط :

أصبحت من فرط الصبابة ناحلا مغرى ببدر شفني حبه

وصرت في شرط الهوى غاية وا فرحتي إن رقّ لي قلبه

وقوله في أحمد :

بروحي رشا يبدي التداني وقصده بذلك قتل العاشق الدنف الداني

فهل من شفيع منصف لمتيمٍ محا قلبه شوقاً إلى القاصد الداني

وقوله في كنعان :

خالفت لوم عوازلي في العشق يا ظبي الحمى

أيجوز تأخير امرئ إن ردّ عنك تقدّما

وقوله في ناصف :

عقيان مبسمه غدت فيروزجا من فرط لثم كان اذ كنا سكارى

ولقد تجاوزت الحدود وحبذا ان فص خاتم فيه من لثمي استدارا [و ٦٦]

وقوله في فتوح :

سأل الصديق وقد رثى لي قلبه عن فرع حالي في الغرام واصله

فأجبته قد زال مالي والحجى والقلب في رشاء وفا من فضله

وقوله في مستدام :

نصبت مقام البعد يا خافض العدا فأصبح مرفوعاً بكل العوالم

فيا سيداً حدام حضرة مجده ترقت لقد ألبست ثوب المكارم

وقوله في إبراهيم :

مذ أقلعت سحب الغنا زدتني بالجاه والمال حبي جاريه

غرست غصنين على ساحلي بحر افتقاري فانثنت هاميه

آخر المعميات

وأول رسالة عبد المعين التي في المعمّى :

بنهاية أحد نياطي الذكر أبتدى ، وبمجد شق قلبه وأنزل عليه حم أقتدي . عمّى عن الحمد لله رب العالمين وذكر النبي صلى الله عليه وسلم . وقد استخرجوا اسم هود من قوله تعالى في سورة هود : « وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ».

وقد استخرجوا من قول النبي ﷺ : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، علي أعلمنا .

[ظ ٦٦] وأما الألغاز فمنها منظوم وهو كثير ومنها منثور كقول بعضهم :

لغز نثر

إن لي حبيباً جالينوسيّ المشرب ، بقراطيّ المطلب ، مسيحيّ الأنفاس ، فلسفيّ القياس ، مشهوراً بين الأنام ، مقبولاً عند الخاص والعام ، مصاحباً لا يعرف النفاق ، وخادماً لا يحتاج إلى الانفاق ، ومعلماً لا يحتاج أجرة على التعليم ، ولا يتوقع التواضع والتسليم ، لباسه من الجلود ، ليس متكبراً ولا حسود . باق في سن الشباب على توالي الأزمان ، مقبول القول في جميع الملل والأديان إسمه واحديّ المئات ، ثنائي الآحاد والعشرات آخره نصف أوله ، ومنقوطه أكثر من مهمله . أوله جبل عظيم ، وآخره في البحر مقيم . خماسي الحروف فان نقصت منه حرفين بقي حرف واحد وهو عجيب ، وعددُ بعضها يساوي مجموعَ حاشيتيه وهذا أيضاً غريب إن نقصت أوّله بقي شكل الأحيان ، وبزيادة خمس أوّله مع ثانيه يساوي عدد عظام اللسان عددُ علامات الامتلا دموياً يظهر من أكثر مبانيه ، خمسُ أوّله عدد المبردات ، وان نقصت ثانيه بقي عدد المسخنات رابعه ينبئ عن الست الضروريات ، وخمسُ آخره يرى عن إحباس أدلة النبضات وقد يولد من هذا الحكيم

[و ٦٧] ولدان طيبان لبيبان أحدهما أكبر والآخر أصغر أما الأكبر فنصفه الأعلى أيبس من الأغصان اليابسات ، ونصفه الأسفل بعدد القوى والأعضاء الرئيسية وأجناس الحميات . شكله مع شكل نصرة الداخل متساويان ، والسرطان فيه متوسط بين العقرب والميزان ، وسطاه بعدد رمال البحران ، الجيد من العلامات ؟!! وآخره بعدد الأمور التي يجب مراعاتها في الاستفراغات . وأما الولد الأصغر فرايه!! على أبيه بعدد غير المعتدل من المزاجات ، فان زدت على اجزائه أنواع الرسوب حصل عدد كل من المرطبات والمجففات ، وإن زدت على أحدها مسطح آخره عادل بسايط مقادير النبضات ، وبركباته الثنايات !!.

لغز آخر

وعلى هذا القانون ما كتبته ، المعروض على رئيس العلماء الأساتذة ، ومفيد الفضلاء الجهابذة ، المتوحد بجمع أشتات الفضائل ، والمتفرد بانتقاد كلام الأوائل ، المأخوذة طرائف الآداب عنه ، هو أن المرجو منه ، ما أخره غاية الحروف ،

وهو بسابع الكافات معروف ، ثنائيٌّ العشرات في الأعداد ، وبعضه من مراتب الآحاد ، إن زدتَ ما بينَ طرفيه ثلثيه فهو أحد الفصول ، ويكون حينئذٍ عدد العقول ، وهما فعلٌ مبنيٌّ على السكون ، فان زدت آخره حرفاً فصفة يكون ، إن بسطت جميع حروفه فهو من أسماء الليث ، وإلا فوزانه وزان حيث ، إن زدتَ آخرَه ما بين حاشيته مع الرجحان المذكور تراه صفة كلِّ من بالزهد مشهور ، وهو من أشكال الرمل مع الزيادتين ، لكنه يقبل القسمة إلى طريقين ، قلبه لا يقبل شيئاً من النقط ، وصدره واحدة فقط ، أوله في مصر موجود ، وفي بلاد الشام مفقود ، وقد حوى ما بعده المذموم والمحمود ، آخره في صدر فلك البروج ، وقد ثبت له من جميع السماوات الخروج ، عدد أول حروفه ميم ، وليس مثلها فانه إذا بسط غير مستقيم ، إن بُنيَ على الفتح فهو من الأفعال ، وإلا كان من صفات الرجال ، وثاني حروفه عدد النجوم ، وهو ما بينها ظاهر ومعلوم ، أوحد استعماله عند النحاة عددُ أبواب المعاني في باب البيان ، من غير زيادة ولا نقصان ، وجملة عدد ثالثه مَنْ وصل اليها ، يحتاج إلى قافية منازل جنة لو سار فيها ، وربما ينتظم في سمط اخواته التسعة فيتصف بالفصاحة في بعض الأحيان ، وقد يندرج في سلك أخواته الخمس بعد أحدى الست فينصب ما يليه عند أهل اللسان ، فحدبه لينشد مدايحك من غير فم ، فيستغني بذلك عن سمعه بناظريه الأصم ، فلا برحت نور حدقة المجد ، و نور حديقة الفضل ، وفؤاد حمان الفخر .

[ظ ٦٧]

[و٦٨]

لغز آخر

وعلى هذا الأسلوب يا أصحاب الفطنة القويمة ، والفطرة المستقيمة ، والطبيعة الألمعيّة ، والرويّة اللوذعيّة ، أخبروني عن كتاب بعضه من الحروف النورانية وأكثره من حروف الزيادة ، وبأحد نصفيه يكمل الرجل وبالنصف الآخر تمّ الشهادة ، ثانيه قابل لأنواع النقط ، وأوله لا يقبل إلا واحدة فقط ، تالي أوله بالكمال معروف ومتلوّ ثانيه بالاستحداب موصوف ، مضعّفه لوسيطيه كمال شعوري ، ومضعّف آخره لثالثه كمال ظهوري ، التحسين من مقارنة طرَفيه معلوم ، والتجرّب من مقايسة ذلك مفهوم ، ثاني كل حرف منه بهيولانيّة الحروف مشهور ، وهو فيما بينها بالقطبيّة مذكور ، إن أعطى

أوله حليته لثانيه تساويا في العدّ ، وإن انعكست القضية زاد التفاضل بينهما عن الحد ، ثالثه اسم فاعل ورابعه من أسماء الأفعال ، وكلاهما أسماء العدد الموصوف بالكمال ، إن ضربتَ أعظمَ وسطيه في مجموعها حصل عدد جمع الأفلاك المحوية بمحدّدِ الجهات ، وإن نقصت من مربعه الرابع عقيب ضروب الشكل الثالث بقي عدد القضايا الموجهات ، أحدُ نصفيه فردٌ يعادل عدد الأعراض والنصف الآخر زوج يعادل عدد العقول ، وهذا مما لا ريب فيه وان كان بحسب الظاهر غير معقول ، كله يساوي انحطاط الشمس عن الأفق في آخر غروب الشفق وأول الصبح الكذوب ، ومضروبُ صدرِه في ضعف عجزه يعادل عرضاً تحقق فيه معكوس الطلوع والغروب ، إن أضفتَ ثانيه إلى مضعف ثالثه ساوى الحروف المهموسه وإن طرحت منه مكعّب ثانيه عادل المنازل المنحوسه ، حرفان منه متفارقان يعادلان طبقات العين ، وحرفان متعانقان يساويان أركان حساب الخطأين ، مكرّرُ نصفه في ضروب الموسيقى معدود ، فان قلبته فهو طائر معهود ، إن زدت على مربع أوله مهمَله إلا نصف ثانيه عادلَ عظامَ بدن الإنسان ، وإن نقصتَ منه مكعّب ثالثه مضعّف أوله بقي دية كلٍّ من مقاديم الانسان ، نصفه ما يجب فيه الزكوة ، وثالثه يعادل ما يحصل به الزكوة ، مضعّفُ أوله بعدد أنواع الخيار ، ومكعّب آخره كعدد التكبيرات في فرائض الليل والنهار ، مضروبه في طرفه يساوي فريضة أب وثلاث بنات ، ومضروب وسيطه في ثانيها كفريضة الأخوة العشرة والثمانية مع ست زوجات ، إن أضفت آخره إلى أوله ساوى أحوال المسند إليه ، وإن جمعت ثانيه مع ثالثه عادل عدد من يحجز في الشرع عليه ، وإن ضعّفت رابعه ساوى كلم المجازات ، وإن زدت على مربّع ثالثه نصفه عادل علاقات المجازات ، وإن نقّصت من ربع أوله خمس آخره بقي عدد صور الكواكب المرصوده ، وإن زدتَ ثانيه على طرفه حصلَ المشهور من العروق المقصودة ، مجموع آخره يساوي عددمقاديرالنبضات ، وثلث أوليه يعدل الأجناس العالية للحميات ، إن ضممت إلى طرفيه مربّعَ بعضه ساوى بعض الأعداد التامة وإن زدتَ عليها وسطه عادل ألوف القوائم اشتهر على ألسنة العامة ، شكله شكل العقلة

[ظ ٦٨]

[و ٦٩]

بين الأشكال الرملية ، وإن نصفت ثالثه لم تكذب القضيّة ، إن زدتَ على مضعّفِ آخره مسطح طرفيه ساوى رقم المربع الميمون ، وعادل ارتفاعاً تساوى فيه الظل للشاخص أينما يكون، مهمل أوله رمزٌ إلى ما يوجب لاثلج الاشتعال، ومعجمه إلى ما هو في زراعة الذهب كثير الاستعمال ، إن نقصت من آخره نصف ثانيه ساوى الباقي أنواع الترجيح ، وعادل عدد الأدلة على المذهب الصحيح ، في بعض حروفه أشعار بعدد المخصصات الموصولات ، وفي كل من نصفيه إيماء إلى برهان الزوج والفرد على امتناع تسلسل العلل والمعلولات ، إن نقصت من مسطح طرفيه ثاني مبانيه ساوى عرض بلدٍ يساوي غاية ارتفاع أول [ظ٦٩] الجدي فيه ، بعض حروفه يشير شكله الى البرهان السلمي على تناهي الأبعاد ، فان جعلت زاويته قائمة دلّ على ما فوق المراد ، وإن وضعت خروج ضلعها العالي إلى غير النهاية ، ومن طرف السافل آخر مثله مقاطعاً له متحركاً عليه ، تمّ الدليل على ذلك المطلوب بطريق لم يسبقنا أحد اليه وإن جعلتها ثاني قائمة أشارت الى البرهان الترسي على ذلك المرام ، وان انطبقت على مركز العالم دلت على أن التباعد بين الرؤوس أزيد من التباعد بين الأقدام ، وان أقمتها وجعلت كلاً من ضلعها عدداً فرداً أومت الى الاستدلال على نفي الجزء بشكل العروس ، وامكان إثبات ذلك بالبرهان السلمي الغير المأنوس ، وإن زاد كل منها على غاية الانفراج وتقارنت أجزاؤهما بالاتصال ، أمكن أيضاً اثبات ذلك بدليلٍ حطر لنا بالبال ، وان جعلتها نصف قائمة حصلت الاشارة الى بعض براهين استعلام المرتفعات ، وإن ماسّت ما تريد معرفة بعده عنك منتهياً ظلعها الأعلى الى بصرك حصل الايماء إلى طريق معرفة عروض الانهار ، وسائر الابعاد المتعسرات ، وان أوترها نصف قطر الارض وبينها وبين مركز الشمس على الآفق تماس ظهر عليك أن بعد الشمس عنا وهي عليه أزيد بكثير منه حال كونها على سمت [و٧٠] الراس، ولاح لديك أن تراكم البحار هو الموجب للاحساس بما لا يقتضيه القياس، وان وصلت بين ضلعيها بخط موازٍ للآخر مماس لها مخرج في الجهتين ، أمكن إقامة أدلة عديدة على مساوات زوايا كل مثلث لقائمتين ، وفيه حرف على صورة شكل إن أخرجت قطريه أشار إلى نفي الجزء الذي لا يتجزأ بوجه سنح لنا وهو ولزم

مفسدتين ، أعني تلاقي القطرين قبل المرور بالمركز وعلى نقطتين ، إن ألصقت وتريه بقطره أشار إلى نفيه أيضاً بوجهٍ ما وحد أعظم منه قط ، وهو لزوم حواز كون قطر الفلك الأعلى ثلاثة أجزاء فقط ، وإن ماسّ محيطه وسط ثاني حروفه أشعر بدليل المتكلّمين على اثبات الجزء كما هو مشهور ، وأومأ الى شبه الظفر من لزوم انفراج الحادة قبل قيامها كما هو على الألسنة مذكور ، وإن وازاه أعظم منه وتحرّك حتى ماسه تبين لك غلط صاحب المواقف في قدر غلط المتمات ، وتعجبت من موافقة المحقق الدواني له في أمثال هذه التوهمات وإن تحرك الداخل ضعف الخارج حصلت الإشارة الى أصل الكبيرة والصغيرة الذي اخترعه سلطان المحققين ، ولم يسبقه إليه أحد من المتقدمين والمتأخرين ، وإن ساويت بين وتري قوسين منها ظهر عليك أن سهم قوس الخارج أقصر ، وأن الطاس تسع من الماء في أعلى المنارة أقلّ وفي أسفلها أكثر [ظ ٧٠] وفيه حرف إن فرضتَ خروج ذيله إلى غير النهاية أشار إلى برهان امتناع اللاتناهي في جهة أو جهتين ، وإن أقمت على طرفه عموداً ووصلت بينهما أشار الى طريق وزن الأرض بذي العمودين ، وفيه حرف انوصلت بين عمودي المخرجين بخط مخرج الى ألف فرسخ فما زاد ، حصل لك الاذعان بأن مساحة ظفرك أزيد بكثير من مساحة مثلث قاعدته بسمرقند ورأسه ببغداد ، ولنقتصر على هذا القدر من الاطناب ، في ذكر أوصاف ذلك الكتاب ، والعاقل تكفيه الاشارة ، والجاهل لا ينتفع بألف عبارة .

احجية

وأما الأحاجي فكقول أهل العصر :

يا من فنون المعاني ألقت به الشكايم
ما اسم أحاجيك فيه معكوسه غير دايم

نبذة من لزوم ما لا يلزم

وهذه نبذة من لزوم ما لا يلزم . فمنها قوله (١) :

يجوز أن تُطفأ الشمس التي وقدت من عهد عادٍ وأذْكى نارَها الملِكُ(٢)

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٢٨

(٢) عهد عاد : يريد به القدم .

فان خبَتْ في طوال الدَّهر جمْرتها ... فلا محالة من أن ينقَضَ الفلَكُ (١)

مضى الأنامُ فلولا علمُ حالهمُ ... لقلتُ قولَ زهير أيَّةً سلكوا (٢)

في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا ... منه فكيف اعتقادي أنهم هلكوا

[٧١ و]

وقال (٣) :

لا تأسفنَّ على شيءٍ تُفاتُ به ... فقد تساوى لديك الجَوْنُ والكرِكُ (٤)

والعزُّ ينقَلُ عن ناسٍ لغيرهمُ ... والأُسْدُ تغدو وفي آذانها فرَكُ (٥)

نفسي أخاطبُ والدُّنيا لها غيَرٌ ... وفي الحِمام إذا طال المدى دَرَكُ (٦)

وَطِّنْتُها للذي تلقاه من غرَقٍ ... لما أحسَّ بهُلك المركب العَرَكُ (٧)

يا طائراً من سجون الطَّير في قفص ... لتُدْلَجَنَّ فلا حبسٌ ولا شرك (٨)

ما بالُ حظِّي عني قاعداً أبداً ... إن كان من نبت أرض فاسمُه البُرَكُ (٩)

تُكسى الوجوه جمالاً ثم تُسلَبُه ... ويُجمع المال حرصاً ثم يُتْرَكُ

والعيش أيْنٌ وفي مثوى امرىءٍ دَعةٌ ... والله فردٌ وشرب الموت مُشترَك (١٠)

وقال: (١١)

رِكبَ الأنامُ من الزمان مطيَّةً ... ليست كما اعتادَ الركائب تبرُكُ

(١) في اللزوميات : جمْرتها .

(٢) في اللزوميات : علم حاكمهم . وبيت زهير :

بان الخليط ولم يأووا لمن تركوا ... وزودوك اشتياقاً أيةً سلكوا

(٣) اللزوميات ج ٢ ص ١٢٨ .

(٤) الجون هنا : أراد به الأسود . والكرك : الأحمر، يريد بهم العرب والعجم.

(٥) الفرك : استرخاء الاذنين فهو مثل للذلة بعد العزة .

(٦) في الاصل « نفسي يخاطب » . « طال الأذى » .

(٧) العرك : الملاحون واحدهم عركي .

(٨) ورد هذا البيت في اللزوميات هكذا :

يا طائراً من سجون الدهر في قفصٍ ... لتنجُونَّ فلا سجن ولا شرك

(٩) البرك : نبت لا يطول ساقه وأكثر ما يكون بنجد .

(١٠) الأين : التعب والاعياء .

(١١) اللزوميات ج ٢ ص ١٣٠ .

واهاً لدنيانا الذميمةِ منزلاً | لو أنَّ هذا الشخصَ فيها يُترَكُ
وهوَيْتها فرأيت حُلَّةَ غادرٍ | ورضيتَ أنك في وصال تُشرَكُ(١)
والمرء مثل الحرف بين سهادِه | وكراه يسكن تارةً ويُحرَّك
قد يُدرِك الساعي لبارئه رضىً | ورضى البرية غايةٌ لا تُدرَك (٢)

وقال(٣):

تسمَّت رجالٌ بالملوك سفاهةً | ولا مُلكَ إلا للذي خلَقَ المُلكا
أرى فلَكاً ما دار إلا لحِكمةٍ | فلاتنسَ من أجرى لحاجتك الفُلكا
ومُدَّت حبال الشمس من قبلِ عصرنا | على أممٍ لم تترُك لهم سلكا
وتُعجبُنا الدنيا المَلوك وإنها | لأمٌ رجال كلهم سِقيَ الهُلْكا
هما حالتا سوءٍ؛ حياةٌ بلوعةٍ | وموتٌ فخيِّر هذه النفس أو تلكا

[ظ ٧١]

وقال(٤):

الموتُ رَبْعُ فناءٍ لم يَضع قدَماً | فيه امرؤٌ فثناها نحو ما تركا
والملك لله من يظفر بنيْل غنىً | يرْدُدْه قسراً وتضمَن نفسه الدركا
لوكان لي أو لغيري قدْرُ أنملة | فوق التراب لكان الأمرُ مشتركا
ولوْ صفا العقل ألقى الثِّقلَ حامله | عنه ولم تَر في الهيجاء معترَكا

وقال :

خفْ يا كريم على عِرْضٍ تعرِّضُه | لعائبٍ فلئيمٌ لا يُقاسُ بكا
إنَّ الزجاجة لما حطِّمَت سُبِكت | وكم تكسَّر من دُرٍّ فما سُبكا

وقال (٥):

كم تنصحُ الدنيا ولا نقبَلُ | وفائزٌ مَنْ جدُّه مُقبِلُ (٦)

---

(١) في اللزوميات « في وصالك » .

(٢) في اللزوميات « فرضا البرية » .

(٣) اللزوميات : ج ٢ ص ١٣١ .

(٤) اللزوميات : ج ٢ ص ١٣٣ .

(٥) اللزوميات : ج ٢ ص ١٦٢ .

(٦) في الأصل « وفاين » .

إنَّ أذاهـا مثلُ أفعالنا ماضٍ وفي الحـال ومستقبلُ
أجْبَلَتِ الأبحر في عصرنا هذا كما أبحرت الأجبل
فاتْرُكْ لأهل الملك لذّاتهم فحسبنا الكمْأة والأحبَل (١)
ونشرب المـاء براحاتنا إن لم يكنْ في بيتنا جُنبُل (٢)
تسوَّق الناس بفرقانهم وانتَبَلوا جهلاً فلم يَنْبُلوا
وليس ما يُنقَل عن عاصمٍ كما روى عن شيخه قُنْبُل (٣)
لا تأمنُ الأعفار في النيق أن تُصبِح موْصولاً بها الأحبُل
يُغنيكَ قطْرٌ بلَّ منك الصَّدى في العيش أن تزداد قُطرُبُل (٤)

[و ٧٢]

والفَذُّ يكفيك إذا فاتكَ الر قيبُ والنافس والمُسبِل (٥)
لو نطق الدهر هجا أهله كأنه الرومي أو دِعْبِل (٦)
وهو لعمري شاعر مُغرِبٌ بالفعل لكنْ لفظُه مُجبِل (٧)
إن كُفَّ ما بينهم حازم فلُبه المطلق لا يُكبَل
وفاعـلاتنْ ومفـاعيلُها تُكفَّ في الوزن ولا تُخبَل
لا تغْبِطِ الأقوام يوماً على ما أكلوا خَضْماً وما سُربَلوا (٨)
يذبُل غصن العيش حقاً ولوْ أضحى ومن أوراقه يَذْبل
فليت حوّاءَ عقيمٌ غدت لا تلِدُ الناس ولا تحبَل

(١) الكمأة : معروف . والأحبُل : اللوبياء .
(٢) في اللزوميات : إن لم يكن ما بيننا . الجُنبُل : قدح غليظ من الخشب .
(٣) عاصم : هو ابن أبي النجود الكوفي أحد القرّاء السبعة قنبل : هو أبو محمد عبد الرحمن بن محمد المكي المخزومي أحد رواة ابن كثير
(٤) قطربل : موضع في سواد العراق ينسب إليه الخمر الجيد .
(٥) الفذ والرقيب والنافس والمسبل : من قداح الميسر .
(٦) الرومي : هو علي بن العباس الشاعر المشهور بابن الرومي [٢٢١هـ - ٢٨٣ هـ] . ودعبل : هو ابن علي الخزاعي من شعراء صدر الدولة العباسية توفي سنة ٢٤٦ هـ وكلاهما اشتهر بالهجاء .
(٧) في اللزوميات : شاعر مُغرِزٌ . مجبل : من أجبل الشاعر إذا صعب عليه القول .
(٨) الخضم : الأكل الشديد . سربلوا : لبسوا .

وليت شيئاً وأبانا الذي جاء بنا أهبَلَه المُهبِلُ (١)
وليتنا نُترَك أجسادنا كما نزول السَّمْر المُحبل (٢)
تفكّروا بالله واستيقظوا فإنها داهيـة ضِئْبِل (٣)
في سنبُلٍ يُخلق من حبةٍ ثمَّت منها يُخلق السُّنبُل
يكره عولَ الشيخ أبناؤه وهل تعول الأسْدَ الأشبُل
نَنزل في دارٍ لنا رَحْبَةٍ تُطلُّ بالآفات أو توبَل (٤)
وكلٌّ من حلَّ بها يكره الرِّحـ لة عنها وهي تستَوْبَل (٥)

وقال (٦) :

من يعرِف الدنيا يهُنْ عنده إمراءُها الدهر وإمحالها (٧)
لذّاتها تُعجب أملاكَها لو لم تُغيِّر بهمُ حالها (٨)
دارٌ حلَلْناها على رغمنا وإنما يُنظر ترحالها
والخَوْدُ كالنخلة مجنيَّة وزَوْجها البائس فُحّالها (٩)

وقال (١٠) :

هذا زمانٌ ليس في أهله إلا لأن تهجُرَه أهلُ
جميعُنا يخبط في حِندِسٍ قد استوى الناشئ والكهل
حان رحيلُ النفس من عالمٍ ما هو إلاّ الغدر والجهل

[ظ ٧٢]

(١) في الأصل [أو أبانا] .
(٢) السمر : من شجر الطلح . والمحبل : ثمره .
(٣) ضِئبل : الداهية . فكأنه يريد داهية دهياء .
(٤) في اللزوميات [تنزل من دار] . تطل : من الطل وهو المطر الخفيف . وتوبل : من الوابل وهو المطر الشديد .
(٥) تستوبل : تستوخم .
(٦) اللزوميات ج ٢ ص ١٦٤ .
(٧) امراءها : خصبها .
(٨) املاكها : يريد ملاكها جمع ملك بسكون اللام لغة في الملك .
(٩) الفحّال : الذكر من النخل .
(١٠) اللزوميات ج ٢ ص ١٦٥ .

قد فني الوقت فما حيلتي إذا انقضى الامهال والمهْل
إن ختم الله بغفرانه فكلٌ ما لاقيته سهل

وقال (١) :

إفهم عن الأيام فهي نواطقٌ ما زال يضرب صرفها الأمثالا
لم يمض في دنياك أمرٌ معجب إلا أرتك لما مضى تمثالا

وقال (٢) :

إذا كنتَ تهدي لي وأحزيك مثله فإن الهدايا بيننا تعب الرسل
فلا أنا مغبون ولا أنت في الذي بعثنا كلانا غير ملتمس الرِّسل (٣)
فدونك شغلاً ليس هذا لعلّه يعود بنفعٍ غير شغلك بالنسل (٤)
أبوك جنى شرًّا عليك وإنما هو الضبُّ إذ يسدي العقوق إلى الحِسل (٥)
يقول كلاماً فوك يوجد بعدَه كذي نجَسٍ يحتاج منه إلى الغسل

وقال (٦) :

علمت بأن الناس لا خير عندهم فجانبتهم من جائدين وبخّال
إذا قالت جدّي قلت هبْني دفنتُه كجدّي وخالي هامدٌ في ثرى خالِ (٧)
تحلّ بتقوى أو تحلّ بعفةٍ فذلك خيرٌ من سوارٍ وخلخالِ (٨)

[و ٧٣]

وقال (٩) :

عشت من أيسر حلّ وتشبّهت بظلي (١٠)

---

(١) اللزوميات ج ٢ ص ١٧٦ .

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٤ .

(٣) الرِّسل : الرفق .

(٤) في اللزوميات : لا كشغلك .

(٥) الحِسْل : ولد الضب .

(٦) اللزوميات ج ٢ ص ١٨٥ .

(٧) في الأصل [إذا فات جدي] . الجد الاول : السعد والحظ ، والثاني: أبو الاب والخال الأول : أخو الأم ، والثاني من الخلاء.

(٨) في الأصل [تحلى] .

(٩) اللزوميات ج ٢ ص ٢٠٦

(١٠) في اللزوميات [بظلّ] .

لستُ بالخلِّ أصا فيك وما أنتَ بخلّي (١)
ربما يعتمد المر على العضو الأشلّ
ما تسلّى خَلَدي عنـ ـك وإن ظنّ التسلّي
أيها الدُّنيا لحاكِ الله من ربة دَلّ
إنما أبقيتِ مني للأخِلّاء أقلّي
أمسِ أودَيْتِ ببعضي وغداً أذهبُ كُلّي (٢)
لكِ أوقاتي فخلّيني إذا قمتُ أصلّي
ودَعيني ساعةً فيـ ـك لمولاي الأجلّ
والصِبا مُلْكٌ وقد يُبكي على المُلك المولّي

وقال (٣) :

سبَّح الله طالعٌ مستنيرٌ وهلالٌ مثل القُلامة ناحلْ
وبدتْ من بنات نعشٍ غوانٍ لم يُصبْها إثْمِد الليل كاحل
كالسّوام الأنام هل فاز مَن سافر منهم إلا بطيء المراحل (٤)
يَمَنيٌّ وفارسيٌّ وشاميٌّ وغادٍ من أهل غَرْبةَ راحل (٥)
ساحليّون لم أردْ ساحلَ البحـ ـر ولكن نسْباً لأقمَر ساحل (٦)
خفَّ مَلْكٌ على السرير فهل يو جد في العالَمين قَرْمٌ حُلاحل (٧)

[ظ ٧٣]

وقال (٨) :

رامَ دُنياهُ ناسكٌ فادّعى النُّسْكَ وانتحلْ

---

(١) في اللزوميات « بخلِّ » .
(٢) في اللزوميات « تذْهب كلّي » .
(٣) اللزوميات ج ٢ ص ٢١٥ .
(٤) في اللزوميات « إلى بطيء » ولعله تحريف .
(٥) الغربة « بالفتح » المرة من الغربة بالضم والبعد أيضاً من قولهم نوى غربة أي بعيدة .
(٦) ساحل : من السحيل وهو صوت الحمار الاقمر .
(٧) القرم الحلاحل : السيد الوقور .
(٨) اللزوميات ج ٢ ص ٢١٦ .

أصبح المفتري على الله قد ذلّ واضمحَلْ
بينما يعمُر المنازلَ قالوا قد ارتحَلْ
عزّ ربُّ النجوم تسري ولا تسأم الرّحل
أينام السّماك أم هو بالغُمض ما اكتحل
جهل المشتري وإن كان في الخَير ذا مَحَل
أيّ ذنبٍ أصابه فسما فوقه زُحَلْ

وقال (١) :

الجسم والرّوح من قبل اجتماعهما كانا وديعَيْن لا همًّا ولا سقَما (٢)
تفرّد الشيء حيرٌ من تألّفه بغيره فتجرّ الألفة النّقَما

وقال (٣) :

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تُنشر الأموات قلتُ إليكما (٤)
إن صحّ قولكما فلست بخاسرٍ أو صحّ قولي فالخَسار عليكما
(أضحى التقي والشر يصطرعان في الد دنيا فأيهما أبرّ لديكما) (٥)
طهّرت ثوبي للصلاة وقبله جسدي فأين الطُّهر من جسديكما (٦)
وذكرت ربي في الضمائر مُؤنساً خلَدي بذاك فأوحشا خلدَيْكما (٧)
وبكَرْت في البَرْدَين أبغي رحمة منه ولا تَرِعان في بَرْدَيكما (٨)
إن لم تعُد بيدي منافع بالذي آتي فهل من عائدٍ بيديكما [و ٧٤]

(١) راجع اللزوميات ج ٢ ص ٢٤٧ .
(٢) وديعَيْن كانا في دعة .
(٣) راجع اللزوميات ج ٢ ص ٢٤٩ .
(٤) ورد هذا الشطر في اللزوميات هكذا :
[لا تُحشر الأجسادُ قلتُ إليكما]
(٥) هذا البيت غير موجود في اللزوميات .
(٦) رواية اللزوميات [خلدي فأين الطُّهْر ...] .
(٧) الخَلَد محركة : النفس .
(٨) البردان : الغداة والعشي سمّيا بذلك لبردهما .

بُرد التقيّ وإن يهلهل نسجه خيرٌ بعلم الله من بُرْدَيكما (١)

وقال (٢) :

لأمواه الشبيبة كيف غضْنَه وروضات الصِّبا في اليَبْس إضْنه (٣)
وآمالُ النفوس معلَّلاتٌ ولكنَّ الحوادثَ يعترضْنَه
فلا الأيام تغرَضُ من أذاةٍ ولا المُهجات من عيش غرِضْنه
وأسباب المنى أسباب شِعرٍ كُفِفن بعلم ربك أو قُبضنه (٤)
وما الظبيات مني خائفاتٍ ورَدْنَ مع الاصائل أم رَبضنه (٥)
فلا تأخذ ودائعَ ذاتِ ريشٍ فما لك أيها الانسان بَضْنه (٦)
وراعِ الله والْه عن الغواني يَرُحنَ ليمْتشطنَ ويرتحِضْنه (٧)
وطئنَ السابريَّ وعَمْن بحر النعيم وهنّ في ذهبٍ يخُضنه (٨)
وللسَّمرات في الأشجار عيبٌ إذا ما قال مخبرهنّ حضنه
نجائب لامرئ القيس بن حُجْرٍ وقَصْنَ أخا البَطالة إذ يرضنه (٩)
وخيل اللهو جامحةٌ علينا يساقطنَ الفوارس إن رُكِضنه

---

(١) في اللزوميات : نهل وهو تحريف . الهلهلة : خفة النسج . ومعنى الأبيات مروي عن علي رضي الله عنه فانه قال لشاك فيما جاءت به الرسل : [إن كان الأمر كما تقول من أنه لا قيامة فقد تخلصنا جميعاً وإن كان الأمر على ما نقول فقد تخلصنا وهلكت] فترك المتشكك اعتقاده .

(٢) اللزوميات ج ٢ ص ٢٩٥ .

(٣) رواية اللزوميات [كاليَبْس] الأمواه : جمع ماء أصله موه فاعتلت الهاء في الواحد وظهرت في الجميع .

(٤) في الأصل « واسباب الفتى » .

(٥) في الأصل « أرَدْنَ » [وعلى الاصائل] .

(٦) ودائع ذات الريش : بيضها .

(٧) الارتحاض : الاغتسال .

(٨) في الأصل [وخُضْنَ] السابريّ : نسبة الى سابور على غير القياس يريد الشيء الرقيق كقول الشاعر

[وعيش كسِّر السابريّ رقيق]

(٩) كنى بالنجائب عن النساء واضافهن الى امرىء القيس لانه كان مشتهراً بهنّ .

فيا غضًّا من الفتيان خيرٌ من اللحظات أبصار ٌغضِضنه
وفضّ زكاة مالك غير آب فكلّ جموع مالك ينفضضنه (١)
وأعجَزُ أهلِ هذي الأرض غاوٍ أبان العجزَ عن خمس ٌورضنه
فصمْ رمضان مختاراً مطيعاً إذا الأقدام من قيظٍ رَمضنه (٢)
عيون العالمين إلى اغتماضٍ وما خلت الكواكب يغتمضنه
وقد سرَّ المعاشر باقياتٌ من الأنباء سِرْنَ ليستفضنه

[ظ ٧٤]

أرى الأزمان أوعيةً لذكرٍ إذا ٌبسط الأوان له نفضنه
قد انقرَضتْ ممالك آل كسرى سوى سِيَرٍ لهن سينقرضنه
فطرْ إن كنت يوماً ذا جناحٍ فانّ قوادم البازي يَهِضْنه
وكم طيرٍ ٌقصصنَ بغير ذنبٍ وألزمنَ السجون فما نهضنه
متى عَرَض الحجى لله ضاقت مذاهبه عليه وإن ٌعرضنه
وقد كذب الذي يغدو بعقلٍ لتصحيح الشُروع إذا مرِضنه (٣)
هي الأشباح كالأسماء يجري الـ قضاءُ فيرتفعن ويخفضنه
وتلك عمائم الدنيا اللواتي يسفّهن الحليم إذا وَمضنه

نبذة من سقط الزند

وهذه نبذة من سقط الزند :

منها قوله يجيب الشريف أبا ابراهيم عن قصيدة أولها (٤) :

غير مستحسن وصال الغواني بعد ستين حجةٍ وثمان

***

عَللاني فإن بيض الأماني فنيَتْ والظلام ليس بفاني (٥)
إن تناسيتما وِدادَ أناسٍ فاجعلاني من بعض مَن تذكران

---

(١) في الأصل [جموع مالٍ] .
(٢) في اللزوميات [اذ الاقدام] .
(٣) الشروع : الشرائع .
(٤) ديوان سقط الزند ص ٣٤ ، وشرح التنوير ج ١ ص ١٣٤ .
(٥) التعليل : سقي بعد سقي .

ربّ ليلٍ كأنه الصبح في الحسـ ـن وإن كان أسودَ الطيلسان
قد ركضنا فيه إلى اللهو لمّا وقف النجم وقفةَ الحيران
كم أردنا ذاك الزمان بمدح فشغلنا بذمّ هـذا الزمان
فكأني ما قلت والبدر طفلٌ وشباب الظلماء في عنفوان
ليلتي هذه عروسٌ من الزنـ ـج عليها قلائدٌ من جمان [و ٧٥]
هربَ النوم عن جفوني فيها هربَ الأمنِ عن فؤاد الجبان
وكأنّ الهلال يهوى الثريّا فهما للوداع معتنقان
قال صحبي في لجّتين من الحنـ ـدس والبيدِ إذ بدا الفرقدان

يقال صاحب وصحب كراكب وركب . والحندس : الليل المظلم وثلاث من ليالي الشهر يقال لها الحنادس لشدة ظلمتهنّ . والبيد: جمع بيداء. والليلة المظلمة تشبه بالبحر، والبرية تشبه به أيضاً أي قال صحبي في هذه الحالة .

نحن غرقى فكيف ينقذنا نجـ ـمان في حومة الدجى غرقان
وسهيلٌ كوجنة الحبّ في اللو ن وقلب المحبّ في الخفقان
مستبدّاً كأنه الفارس المعـ ـلم يبدو معارض الفرسان

مستبداً أي منفرداً قد استبد بنفسه . ومنه فلان مستبد برأيه . ويقال معلِم ومعلَم للذي يعلم نفسه في الحرب .

يسرع اللمح في احمرارٍ كما تسـ ـرع في اللمح مقلة الغضبان

يصف شدة خفقان سهيل واضطرابه .

ضرّجته دما سيوف الأعادي فبكت رحمةً له الشعريان
قدماه وراءه وهو في العجـ ـز كساعٍ ليست له قدمان

خلف سهيل نجمان يقال لهما قدما سهيل .

ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ ـر فغطّى المشيب بالزعفران [ظ ٧٥]
ونضا فجره على نسره الـ ـواقع سيفاً فهمّ بالطيران
وبلادٍ وردتها ذنب السر حان بين المهاة والسرحان

أي وردتها وقت ذنب السرحان وهو الصبح الاول . والسرحان : الذئب .

وعيون الرّكاب ترمق عيناً حولها محجرٌ بلا أجفان

ترمق عيناً : أي عين ماء . ومحجر: أي حول هذه العين كان متسع كمحجر العين إلا أنه ليس له أجفان . والرمق : هو أن ينظر الانسان نظراً خفياً ويديم النظر .

وعلى الدهر من دماء الشهيدَيـ ـن عليٍّ ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجـرا ن وفي أولَيَاته شفقان

ثَبَتا في قميصه ليجيءَ الحشـ ـر مستعدياً إلى الرحمان

وجمال الأوان عَقْبُ جدودٍ كلّ جَدٍّ منهم جمالُ أوان

يابن مُستعرض الصفوف ببدرٍ ومبيدِ الجموع من غَطَفان

أحدِ الخمسة الذين همُ الأغـ ـراض في كلِّ منطقٍ والمعاني

والشخوص التي خُلقنَ ضياءً قبل خَلق المرّيخ والميزان

قبل أن تخلق السموات أو تؤ مر أفلاكهنَّ بالدَّوَران

لو تأتّى لنطحها حَمَلُ الشهـ ـب تردَّى عن رأسه الشَّرَطان

يقول: لو تعرض برج الحمل لعداوتهم وأضمر مخالفتهم سقط عن رأسه الشرطان وهما قرناه . [و ٧٦]

أو أراد السِّماكُ طعناً لها عا د كسير القناة قبل الطِّعان

أو رَمتها قوسُ الكواكب زال العَجْـ ـس منها وخانها الأبهران

العجز : مقبض كف الرامي والابهران : تثنية أبهر القوس وهو موضع شبه بالابهر الذي يكون في الظهر وهو عرق إذا انقطع أدى الى هلاك صاحبه .

أو عصاها حوتُ النجوم سقاه حتفَه صائدٌ من الحدْثان

أنتَ كالشمس في الضياء وإن جاوزْتَ كيوانَ في علوِّ المكان

وافقَ اسم ابن أحمد اسمَ رسو ل الله لما توافق الغرضان(١)

وسجايا محمدٍ أعجزَتْ في الـ وصف لطفَ الأفكار والأذهان

وجرت في الأنام أولاده الستـ ـة مجرى الأرواح في الأبدان

فهم السبعة الطوالع والأصـ ـغر منهم في رتبة الزِّبرقان

وبهم فضّل المليك بني حوّا ءَ حتى سمَوْا على الحيوان

(١) في الأصل : المعنيان .

شرُفوا بالشراف والسُّمْرُ عيدا نٌ إذا لم يُزَنَّ بالخرصان
وإذا الأرض وهْي غبراء صارت من دم الطَّعن وردَةً كالدِّهان
أقبلوا حاملي الجداول في الأغ ماد مستدْئمين بالغدران
يضربون الأقران ضرباً يعيد الـ سَّعْد نحساً في حكم كلِّ قِران [ظ ٧٦]
وجلَوا غمرة الوغى بوجوهٍ حسُنت فهي معدن الإحسان
قد أجبنا قوْل الشَّريف بقول وأثبْنا الحصى عن المَرجان
أطربتنا ألفاظه طرَب المشـ ـتاق للمسمعات بالألحان
فاغتبقْنا بيضاء كالفضة المحـ ـض وعِفْنا حمراء كالأرجوان
ولوَ انَّا نُجزنا إلى شربها النهْـ ـي عُنينا بكلِّ أصهبَ عان
وهجرنا شرب الكؤوس احتقاراً وشربنا مسرَّةً بالدِّنان
أيها الدُّرُّ إنما فضْتَ من بحـ ـرٍ مُخلَّى الطريق للجرَيان
ما امرؤ القيس بالمصلِّي إذا جا راه بالنظم بل سُكَيْت الرِّهان
فاقتنع بالرويِّ والوزن منِّي فهمومي ثقيلةُ الأوزان
من صروفٍ ملَكْن فكري ونطقي فهي قيْدُ الفؤاد قيدُ اللسان
يا أبا ابراهيم قصَّر عنك الشّـ ـعر لمّا وُصفتَ بالقرآن
أشربَ العالمون حبَّك طبعاً فهْو فرضٌ في سائر الأديان
بانَ للمسلمين منك اعتقادٌ ظفروا منه بالهُدى والبيان
وحدودُ الإيمان يقبسها لكَ ويمتاحها أولوا الإيمان
ومُحيّاك للذي يعبُد الدّهـ ـر وإهباء طرفك الفتَيان

[و ٧٧] يقال : أهبى يهبي اهباء إذا أثار الغبار ، يريد أن وجهه كالنهار واهباء فرسه مثل الليل . الفتيان : الليل والنهار .

وإله المجوس سيفك إن لم يرغبوا عن عبادة النيران

يقول : ان كان لابد للمجوس من عبادة النيران فليعبدوا سيفك فانه نار .

حلَباً جمَّت المطيُّ ولو أنـ جمتَ عنها مالت إلى حرّان
صليَتْ جمْرَةَ الهجير نهاراً ثم باتت تغَصُّ بالصِّلْيان

الصليان : نبت من نبات البادية ، أي ظلت المطي تقاسي حر النهار سيراً وباتت الليل تسري وترعى في مسراها هذا النبت وتغص به .

أرزمت ناقتاي شوقاً فظن الركـ ب أني سرى بي المرزمان
عش فداءً لوجهك القمران فهما في سناه مستصغران

وقال يرثي فقيهاً حنفياً (١)

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنم شادِ
وشبيه صوت النعي إذا قيـ س بصوت البشير في كل ناد
أبكت تلكم الحمامة أم غنـ ت على فرع غصنها المياد
صاح هذي قبورنا تملأ الرحـ ب فأين القبور من عهد عاد
خفف الوطء ما أظن أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد
وقبيح بنا وإن قدم العهـ د هوان الآباء والأجداد
سر إن اسطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً على رفات العباد
رب لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحم الأضداد
ودفينٍ على بقايا دفينٍ في طويل الأزمان والآباد
فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيلٍ وآنسا من بلاد
كم أقاما على زوال نهارٍ وأنارا لمدلج في سواد
تعب كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغبٍ في ازدياد
إن حزناً في ساعة الموت أضعـ اف سرورٍ في ساعة الميلاد
خلق الناس للبقاء فضلت أمة يحسبونهم للنفاد
إنما ينقلون من دار أعما لٍ إلى دار شقوةٍ أو رشاد
ضجعة الموت رقدة يستريح الـ جسم فيها والعيش مثل السهاد
أبنات الهديل أسعدن أو عد ن قليل العزاء بالإسعاد

[ظ ٧٧]

الهديل : اسم واحد من الحمام كان على عهد نوح فصاده جارح من الطير ، قالوا : فليس من حمامة تهتف إلا وهي تنوح عليه فلذلك خاطب الحمام وسألها المساعدة في البكاء والنوح على المرثي .

(١) سقط الزند ص ٨١ وشرح التنوير ج١ ص ٣٠٣ .

إيه لله درّكنّ فأنـ تنّ اللواتي تحسنّ حفظ الوداد
ما نسيتنّ هالكاً في الأوان الـ خال أودى من قبل هلك إياد
بيد أني لا أرتضي ما فعلـ تنّ وأطواقكنّ في الأجياد
فتسلبن واستعرن جميعاً من قميص الدجى ثياب حداد
ثم غرّدن في المآتم واندبـ ن بشجو مع الغواني الخراد

[٧٨و] منهـا :

أسف غير نافع واجتهاد لا يؤدّي إلى غناء اجتهاد
طالما أخرج الحزين جوى القلـ ب إلى غير لائق بالسّداد (١)
مثل ما فاتت الصلوة سليما ن فأنحى على رقاب الجياد
وهو من سخّرت له الانس والجـ نّ بما صحّ من شهادة صاد
خاف غدر الأنام فاستودع الريـ ح سليلاً تغذوه درّ العهاد
وتوخّى له النجاة وقد أيـ قن أن الحمام بالمرصاد
فرمته به على جانب الكر سيّ أمّ اللهيم أخت النآد

منهـا

هجد الساهرون حولك للتمـ ريض ويح لأعين الهجّاد
أنت من أسرة مضوا غير مغرو رين من عيشة بذات ضماد
لا يغيّركم الصعيد وكونوا فيه مثل السيوف في الأغماد

منهـا :

زحل أشرف الكواكب داراً من لقاء الرّدى على ميعاد
ولنار المرّيخ من حدثان الدّ هر مطف وإن علت في اتقاد
والثريّا رهينة بافتراق الشمـ ل حتى تعدّ في الأفراد

منهـا

كلّ بيت للهدم ما تبتني الور قاء والسيّد الرفيع العماد
والفتى ظاعن ويكفيه ظل السّد ر ضرب الأطناب والأوتاد

---

(١) في سقط الزند والتنوير : جوى الحزن .

[ظ٧٨]

بانَ أمرُ الإله واختلف النا سُ فداعٍ إلى ضلالٍ وهاد
والذي حارت البريّة فيه حيَوانٌ مُستحدثٌ من جماد
واللبيبُ اللبيبُ من ليس يغ ترّ بكَوْنٍ مصيرُه للفساد

وقال أيضاً يرثي (١) :

اخرى

أحسنُ بالواحد من وَجْده صبرٌ يُعيد النار في زَنده
ومَن أبى في الرُّزْءِ إلا الأسى كان بُكاه مُنتهى جُهده
فليَذْرف الجفن على جعفرٍ إذ كان لم يُفتَح على ندّه
والشيء لا يَكثر مدّاحه إلا إذا قيس إلى ضدّه
لولا غضى نجدٍ وقُلامُه لم يُثنَ بالطّيب على رَنده

القلام : نبت كريه الرائحة، والرند طيب الرائحة .

ليس الذي يُبكى على وصله مثلَ الذي يُبكى على صَدّه

أي ليس من يكره مواصلته كمن يكره مفارقته .

والطرف يرتاح إلى غُمضه وليس يرتاح إلى سُهده
كان الأسى فرضاً لوْ أنّ الرَّدى قال لنا افدوه فلم نَفده
هل هو إلا طالعٌ للهُدى سار من التُّرب إلى سعده
فبات أدنى من يدٍ بيننا كأنه الكوكب في بُعده

أي المسافة بيننا وبينه مدفوناً أقرب من باع ولكنه في البعد عنا كأنه كوكب حيث امتنع التزاور .

يا دهرُ يا مُنجز إيعادِه ومُخلفَ المأمولِ من وَعده

الايعاد لا يستعمل الا في الشر والوعد يستعمل في الخير . قال الشاعر :

[و ٧٩]

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

هكذا سيرة الكرام والمعهود من الدهر خلاف ذلك .

أي جديدٍ لك لم تُبله وأي أقرانك لم تُرْده
تستأثر العِقبانَ في جوّها وتُنزل الأعصَم من فنده

(١) سقط الزند ص ٨٥ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣٠

أرى ذوي الفضل وأضدادَهم   يَجمعهم سَيلُك في مَدّه
إن لم يكن رُشد الفتى نافعاً   فغيّه أنفع من رُشده
تجربة الدنيا وأفعالها   حثّت أخا الزهد على زُهده
والقلب من أهوائه عابدٌ   ما يعبد الكافر من بُدّه (١)
إنّ زماني برزاياه لي   صيَّرني أمرحُ في قِدّه
كأننا في كفه مالُه   يُنفق ما يحتاج من نَقده
لو عرَف الانسان مقدارَه   لم يَفخر المولى على عبده
أمس الذي مرَّ على قُربه   يَعجز أهل الأرض عن ردّه
أضحى الذي أُجّل في سنّه   مثل الذي عوجل في مهده
ولا يبالي الميت في قبره   بذمّه شُيِّع أو حمده
والواحد المُفرد في حتفه   كالحاشد المكثر من حشده
وحالة الباكي لآبائه   كحالة الباكي على وُلده
ما رغبة الحيّ بأبنائه   عمّا جنى الموت على جدّه (٢)
ومجدُه أفعاله لا الذي   من قبله كان ولا بعده

[ظ٧٩]

لولا سجاياه وأخلاقه   لكان كالمعدوم في وُجْده
تشتاق أيار نفوسُ الورى   وإنما الشوق إلى وَرْده
تدعو بطول العمر أفواهنا   لمن تناهى القلبُ في وُدّه
يُسرّ إن مُدّ بقاءٌ له   وكل ما يَكره في مدّه
أفضلُ ما في النفس يغتالها   فنستعيذ اللهَ من جنده
فآفة العاشق من طرفه   وآفة الصارم من حدّه
كم صائنٍ عن قُبلةٍ خده   سُلّطت الأرض على خدّه
وحاملٍ ثقلِ الثرى جيده   وكان يشكو الضّعف من عقده
وربَّ ظمآنَ إلى مَوْردٍ   والموت لو يعلم في وِرْده

---

(١) البد : بالضم ، وهو فارسي معرب ، يقول إن هوى النفس مائل الى الدنيا وزهرتها فهو يعبد الدنيا عبادة الكافر الصنم .

(٢) في الأصل : لأبنائه .

كيف عرف التهامي

ويحكى أن أبا العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لما سمع مرثية أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالتهامي (١) استحسنها وكان كلما ورد عليه أديب يستنشدها منه حتى ورد عليه التهامي وهو بالمعرة ولم يكن عرف بقدومه فقال له أبو العلاء: أتروي قصيدة التهامي التي رثى بها ولده أبا الفضل؟ فقال نعم. فاستنشده إياها وهي (٢) :

مرثية التهامي المشهورة

[و ٨٠]

حكم المنية في البرية جارِ	ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبراً	حتى يرى خبراً من الأخبار
طبعت على كدرٍ وأنت تريدها	صفواً من الأقذاء والأكدار (٣)
ومكلف الأيام ضد طباعها	متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فإنما	تبني الرجاء على شفيرٍ هار
فالعيش نومٌ والمنية يقظة	والمرء بينهما خيال سار
فاقضوا مآربكم عجالاً إنما	أعماركم سفر من الأسفار
وتراكضوا خيل الشباب وحاذروا	أن تسترد فانهن عوار (٤)
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً	خلق الزمان عداوة الأحرار

ومنهـا :

إني وترت بصارمٍ ذي رونق	أعددته لطلابة الأوتار
أثني عليه بأثره ولو انه	لم يعتبط أثنيت بالآثار

(١) لم تعرف تفصيلات عن حياة هذا الشاعر فقد أورد ابن خلكان بعض مقاطع منقولة عن ابن بسام الأندلسي صاحب الذخيرة في مدح ابن التهامي وقد اشتهر التهامي بقصيدة رثى بها ولده وكان قد مات صغيراً وهي من عيون القصائد في الرثاء . وكان التهامي كثير التنقل في البلدان جرياً على عادة شعراء ذلك الزمن فقبض عليه الفاطميون في القاهرة بتهمة التجسس وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . (ابن خلكان ج ١ ص ٣٥٧) .

(٢) الديوان ص ٢٧ .

(٣) في الديوان « من الأقذار » .

(٤) في الأصل « وبادروا » وهو تحريف ، والمعنى : اعملوا في الشباب وأنعموا قبل أن يسترد فانه عارية .

يا كوكباً ما كان أقصر عمره ... وكذا تكون كواكب الأسحار (١)
وهلال أيام مضى لم يستدر ... بدراً ولم يمهل لوقت سرار (٢)
عجل الخسوف عليه قبل أوانه ... فمحاه قبل مظنة الإبدار
واستل من أترابه ولداته ... كالمقلة استلت من الأشفار (٣)
ان يحتقر صغراً فرب مفخم ... يبدو ضئيل الشخص للنظار
إن الكواكب في علو محلها ... لترى صغاراً وهي غير صغار
ولد المعزي بعضه فاذا مضى ... بعض الفتى فالكل في الآثار
أبكيه ، ثم أقول معتذراً له : ... وفقت حين تركت ألأم دار
جاورت أعدائي وجاور ربه ... شتان بين جواره وجواري

ومنها (٤) :

[ظ ٨٠]

قد لاح في ليل الشباب كواكب ... إن أمهلت عادت إلى الإسفار
وتلهب الاحشاء شيب مفرقي ... هذا الضياء شعاع تلك النار
شاب القذال وكل غصن صائر ... فيناؤه الأحوى إلى الإزهار
والشبه منجذب فلم بيض الدمى ... عن بيض مفرقه ذوات نفار
لا حبذا الشيب الوفي وحبذا ... شرخ الشباب الخائن الغدار (٥)
وتود لو جعلت سواد قلوبها ... وسواد عينيها خضاب عذاري (٦)
شيئان ينقشعان أول وهلة ... ظل الشباب وخلة الأشرار (٧)

(١) الكواكب التي تظهر على الشرق في السحر كالزهرة في قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ، قصيرة مدة الظهور لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فينسخها ضوؤها .

(٢) استدارة البدر في وسط الشهر وسراره : أي خفاؤه جملة ، يكون في آخر ليلة من الشهر وهي التي يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٣) الاتراب واللدات : من يولدون في زمن ميلاد الرجل ويحيون في حياته .

(٤) لم يتبع البديعي في اختيار الابيات ترتيب الديوان بل أثبت الأبيات كما أوحى اليه خاطره أو كما أوحت إليه ذاكرته . راجع ديوان التهامي ص ٢٨ - ٢٩ .

(٥) في الديوان « ظل الشباب » .

(٦) في الديوان « وسواد أعينها » .

(٧) الديوان « شرخ الشباب » .

وطري من الدنيا الشبابُ وروقه فاذا انقضى فقد انقضت أوطاري
قصُرت مسافته وما حسناتُه عندي ولا آلاؤه بقصار
نزداد همًّا كلما ازددنا غنى فالفقر كلُّ الفقر في الإكثار

ومنها :

إني لأرحمُ حاسديَّ لحرِّ ما ضمنت صدورهمُ من الأوغارِ(١)
نظروا صنيعَ الله بي فعيونهم في جنةٍ وقلوبهم في نار
لاذنب لي كم رمت كتم فضائلي فكأنما برقعتُ وجه نهار(٢)
وسترتها بتواضعي فتطلعتْ أعناقها تعلو على الأستار
ومن الرجال مجاهلٌ ومعالم ومن النجوم غوامض ودراري(٣)
والناس مشتبهون في إيرادهم وتفاضل الأقوام في الاصدار
عمري لقد أوطأتهم طرق العلى فعموا ولم يطأوا على آثاري(٤)
لو أبصروا بعيونهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار(٥)
هلاّ سعوا سعيَ الكرام فأدركوا أو سلّموا لمواقع الأقدار

[و ٨١]

ذهب التكرُّم والوفاء من الورى وتصرما إلا من الأشعار
وفشت جنايات الثقات وغيرهم حتى اتهمنا رؤية الأبصار(٦)
ولربما اعتضد الحكيم بجاهل لا خير في يُمنى بغير يسار

فلما أتمها قال أبو العلاء : أحسنت ولأنت صاحبها النهامي وأنت أشعر من بالشام . ولما خرج التهامي سئل أبو العلاء كيف عرفه فقال : سمعت منه القصيدة سماعاً يدل أنه صاحبها بخلاف سماعي إياها من غيره (٧) .

(١) في الأصل « ضمنت » وهو تحريف .
(٢) في الأصل « قد رمت » .
(٣) في الديوان « مجاهل ومعالم » .
(٤) في الديوان « ولم يقفوا » .
(٥) في الديوان « لو أبصروا بقلوبهم » .
(٦) في الديوان : وفشت خيانات
(٧) قال ابن العديم : « سمعت والدي رحمه الله يقول : بلغني أن أبا العلاء سليمان كان يعجبه قصيدة التهامي التي يرثي بها ولده وأولها : —

ويقال أن النهامي بعد هذه القضية بسبع عشرة سنة (١) ورد مدينة السلام وأبو العلاء إذ ذاك بها ، فاستنشده ما جدده من الشعر فأنشده (٢) :

هل الوجدُ إلا أن تلوح خيامُها فيقضي بإهداء السلام ذِمامُها
وقفت بهـا أبكي وترزم ناقتي وتصهلُ أفراسي ويدعو حمامها (٣)
ولو بكت الورق الحمائم شجوَها بعيني محا أطواقهن انسجامها (٤)
ولم أنسها يومَ التقى درّ دمعها ودرُ الثنايا فذهـا وتؤامها
إذا كان حظي حيث حطت خيامها فسيان عندي نأيها ومقامهـا (٥)
وهل نافعي أن تجمعَ الدارُ بيننا بكل مكانٍ وهي صعب مرامها
كأني في البيداءِ بيت قصيدةٍ تناشده غيطانهـا وأكامها (٦)
إلى أن لثمنا كف حسان إنها أمان من الفقر المضرّ التثامها (٧)
هي الأسد إلا أنها تبذل القرى لطارقها والأسد يحمى طعامها (٨) [ظ ٨١]
هم يمزحون الدّر للطفل بالعلى فينشو عليها لحمها وعظامها (٩)
وإن فطموا أطفالهم بعد برهةٍ فعن درّها لا عن علاء فطامها (١٠)

— حكم المنية في البرية جار ما هـذه الدنيا بدار قرار
قال: فكان لا يرد عليه أحد من أهل العلم إلا ويستنشده إياها لاعجابه بها، فقدم التهامي معرّة النعمان ودخل على أبي العلاء فاستنشده اياها فأنشدها فقال له : أنت التهامي ؟ فقال نعم وكيف عرفتني فقال : لأنني سمعتها منك ومن غيرك فأدركت من حالك انك تنشدها من قلب قريح فعلمت أنك قائلها » . هذا معنى ما ذكره لي والدي رحمه الله . [دمية القصر ص ٦٦].

(١) في الأصل : بسبعة عشر وهو خطأ .
(٢) الديوان ص ٨٢ .
(٣) الرزمة : صوت الصبي والناقة .
(٤) في الديوان : كعيني .
(٥) في الديوان إذا كان حظي أين حل خيالها .
(٦) رواية الديوان : تناشدني .
(٧) في الأصل : إلى أن ارى كف ابن حسان إنها .
(٨) في الأصل : أطارقها وهو تحريف .
(٩) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(١٠) في الديوان : عن علاها .

جلاد على حرّ الجلاد إذا التقت … كلام الأعادي بالدما وكلامها (١)

ألا إنّ طيًّا للمكارم كعبةٌ … وحسان منها ركنها ومقامها

وليس بمشغول اليدين عن الندى … إذا شغل الكف اليمين حسامها (٢)

لقد أمسكت قحطان منك أبا الندى … بعروة مجدٍ لا يخاف انفصامها (٣)

فان كابرت حدباً فأنت ربيعها … وإن باشرت حرباً فأنت حسامها

قليل لك الأرضون ملكاً وأهلها … عبيداً فهل مستكثر لك شامها

ألا إن أوصاف الأمير جواهر … وأن مديحي سلكها ونظامها

فلما أتمها استحسنها أبو العلاء وقال له ومن بالعراق !

ترجمة التهامي

والتهامي هو أبو الحسن علي بن محمد قال صاحب الدمية في حقه : هو وإن توّج هامة تهامة بالانتساب إليها ، وطرّز كمّ الصناعة بالاشتمال عليها ، فان مقامه لم يزل بالشام ، حتى انتقل من جوار بنيها الكرام ، إلى جوار الله ذي الجلال والاكرام ؛ وله شعر أدق من دين الفاسق ، وأرق من دمع العاشق كأنما روّح بالشمال أو علل بالشمول ، فجاء كنيل البغية ودرك المأمول .

وحكي أن التهامي هذا كان في ابتداء أمره من السوقة :

[و ٨٢]

وقد كان يرمي عن مريرة قوسه … بكالثلج تذريه خروق الغمائم

ويعلو كثيراً باللهام مسنبساً … قفار قطوفٍ ذي ثلاث قوائم!!؟ (٤)

ثم انقطع إلى بني الجراح يمتدحهم ، ويستضيء بهم ويقتدحهم ، وكان له همة في معالي الامور ، تسوّل له رياسة الجهور ، فقصد مصر واستولى على أموالها ، وملك أزمة أعمالها وعمالها ، ثم أنه غدر به بعض أصحابه فصار ذلك للظفر به ، وأودع السجن في موضع يعرف بالمنسي حتى مضى لسبيله . فمن محاسنه التي تعلق في كعبة الفصاحة قوله (٥) :

(١) في الديوان : إذا ارتمت .

(٢) في الديوان: بمشغول البنان.

(٣) في الديوان: لقد علقت قحطان .

(٤) في الأصل: تدريه ، وأذرته الريح : أطارته - الحزوق : الريح الباردة الشديدة الهبّابة. المريرة : الحبل الشديد الفتل. في الأصل : مسنشاً وسنبس : أسرع . اللهام: العدد الكثير والجيش العظيم . القطوف: الدابة الضيقة المشي .. هذا ولم نهتد إلى وجه الصواب في هذين البيتين.

(٥) الديوان ص ٢٦ .

نبذة من شعر التهامي

اهتزّ عند تمني وصلها عجباً ورب أمنيةٍ أحلى من الظفرِ[١]
تجني عليَّ وأجني من مراشفها ففي الجنى والجنايات انقضى عمري
أهدى لنا طيفها نجداً وساكنه حتى اقتنصنا ظباء البدو في الحضر[٢]
فبات يجلو لنا من وجهها قمراً من البراقع لولا كلفة القمر
وراعها حرّ أنفاسي فقلت لها : هواي نار وأنفاسي من الشرر
فزاد درّ الثنايا درّ أدمعها فالتف منتظم منه بمنتثر
فما نكرنا من الطيف الملمّ بنا ممن هويناه إلا قلة الخفر

ومن بدائعه في هذه الرائية قوله[٣] :

لولاه لم يقض في أعدائه قلم ومخلب الليث لولا الليث كالظفر
ما ضرَّ إلا وضلّت بيض أنصله في الهام أوأطت الأرماح في الثغر[٤]
وغادرت في العدى طعناً يحف به ضرب كما حفت الأعكان بالسرر[٥]

[ظ٨٢]

قال الباحرزي: « هذا والله المعنى البديع ، والربيع المريع ، والتشبيه اللائق ، والغرض الموافق ، وقد كان يملكني الاعجاب بقول ابن المعتز :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السرر

فزاد التهامي عليه ، وفي المثل من زاد ركب . ولعمري ان كليهما اعكان كلها أعيان ، وسرر كلها غرر .

وللتهامي أيضاً[٦] :

حازكِ البَين حين أصبحت بدرا إنَّ للبدر في التنقل عُذرا
فارحلي إن أردت أو فأقيمي أعظم الله للهوى فيَّ أجرا
لا تقولي لقاؤنا بعد عَشْرٍ لستُ ممن يعيش بعدكِ عَشرا

---

(١) في الديوان : طربا .
(٢) في الأصل : اقتضينا وهو تحريف .
(٣) الديوان ص ٢٦ .
(٤) رواية الديوان : في الهام أو سمر الأرماح في الثغر
(٥) في الأصل : الصرر .
(٦) الديوان ص ٢٠ .

إن خلف الميعاد منك طباع فعدينا إذا تفضلت هجرا

ومنهـا :

قلم دبر الأقاليم حتى قال فيه أهل التناسخ أمرا

(يتبع الرمح أمره أبـ عشرين ذراعاً بالرأي يخدم شبرا)(١)

لا تقيم الأموال عندك يوماً فإلى كم يكون مالك سفرا

أنصف المال من نوالك يا من بيـديه أمر المظـالم طرًّا

جرت في بذله وأحكامك العد ل فإن كان قـد أساء فغفرا

وله : وهو مما ينساب في العروق مع الصهباء الممزوجة بماء السماء (٢) :

[و ٨٣]

حطّي النقاب لعل سرح لحاظنا في روض وجهك يرتعين قليلا (٣)

كلف الفراق بمن هويت فكلما دانيتُـه شـبراً تأخر ميلا

قتلتني الأيام حين قتلتهـا علماً فأبصر قاتـلاً مقتولا

وله من أخرى في نهاية الحسن (٤) :

تهيم ببدر والتنقل والنوى على البدر محتوم فهل أنت صابر

له من سنا الفجر المورّد غرةٌ ومن حلل الليل البهيم غدائر(٥)

ينال من الأعداء خوف أبي الندى وهيبته ما لا تنال العساكر(٦)

وما مات طائيٌّ وحسان خالد ولا غاب منهم غائب وهو حاضر

أحاط بك التوفيق على كل وجهةٍ وجاءتك من كل البلاد البشائر

فانك مغناطيس كل فضيلة ولا فضل إلا وهو نحوك صائر(٧)

ولـه (٨) :

(١) هذا البيت غير موجود في الديوان .

(٢) الديوان ص ١٧ .

(٣) في الديوان : لعلّ سرب لحاظنا .

(٤) الديوان ص ١١٣ .

(٥) في الديوان : ومن حلك الليل البهيم عقائر .

(٦) في الديوان : العشائر .

(٧) في الديوان : كأنك مغناطيس . ونحوك سائر

(٨) الديوان ص ٥ .

لو جادهنّ غداة رُمْن رواحا غيث كدمعي ما أردن براحا
ماتت لفقد الظاعنين ديارهم فكأنهم كانوا لها أرواحا (١)
وأرى العيون ولا كأعين عامرٍ قدراً مع القدر المتاح متاحا
متوارثي مرض الجفون وإنما مرض الجفون بأن يكنّ صحاحا
أبرزن من تلك العيون أسنّةً وهززن من تلك القدود رماحا (٢)
يا حبذا ذاك السلاح وحبّذا وقتٌ يكون الحسن فيه سلاحا
أهوى الفتى يعلي جناحاً للعلى أبداً ويخفض للجليس جناحا
وأحبّ ذا الوجهين وجهاً في الندى ندياً ووجهاً في اللّقا وقاحا
يرمي الكتيبة بالكتاب إليهم ويروق أحرفه الخميس كفاحا
من نقشه دهماً ومن ميماته زَرَداً ومن ألفاته أرماحا

[ظ ٨٣]

وله (٣) :

وكم رجلٍ أثوابه فوق قَدْرِه وكم يلبس السلك الجُمان الفرائدا
فلا تعجبن ذا البخل كثرة ماله فان الشغا نقص وإن كان زائدا

وله (٤) :

يخبرنا عن جوده بشرُ وجهه (وقبل طلوع الفجر تأتي بشائره) (٥)
ويصدق فيه المدح حتى كأنما يسبّح من صدق المقالة شاعره
يكاد لادمان القراع حسامُه يسابقه نحو الطلى ويبادره

وله (٦) :

جرت عبراتهن على عبير كما انشق الحُباب على المدام (٧)

---

(١) في الأصل : حانت لفقد . وفي الديوان : بها أرواحا .
(٢) في الأصل : قدور وهو تحريف .
(٣) الديوان ص ١٠٧ .
(٤) الديوان ص ٦١ .
(٥) في الديوان : وقبل انصداع الفجر تبدو بشائره .
(٦) الديوان ص ٦٧ .
(٧) في الديوان : كما اصطفق الحُباب .

برود ريقهنّ وكيف يحمى ومجراه على بَرَدٍ تؤام
سقام جفونهنّ شقاء قلبي وهل يجنى الشفاء من السقام (١)

منها :

فتيً جُبِلت يداه على العطايا كما جُبِل اللسان على الكلام
فيسراه لنيلٍ أو عنانٍ ويُمناه لرمحٍ أو حسام
لقد أحيا المكارم بعد موتٍ وشاد بناءَها بعد انهدام
سواءٌ عنده قول المنادي هلم إلى الطعان أو الطعام (٢)

وله (٣) :

[و ٨٤]

(حبيب جلا من ثغره يوم ودَّعا) عقوداً وألفاظاً وثغراً وأدمعا (٤)
وأبدى لنا من دَلِّه وحديثه ومنطقه ملهىً ومرأىً ومسمعا (٥)
(لقد خلقت عيناكَ للسحر معدناً كما خُلقَ الطيموم للجود منبعا) (٦)
ولو أن إنساناً لعظم محله ترفع عن قدر الثناء ترفعا
(ويطرب للعافين حتى كأنما برؤيتها يسقى الرحيق المشعشعا) (٧)
(ولم أر كالطيموم إلا أبا الندى كريمين من أصل كريم تفرعا) (٨)
(اذا انبريا أبصرت شمسين في الوغا فان شهرا سيفيهما صرن أربعا) (٩)
(لكلٍّ بهاءٌ منكما غير أنني رأيتكما أبهى إذا كنتما معا) (١٠)

---

(١) في الديوان : سقام جفونهن سقام قلبي وهل يبرا السقام من السقام
(٢) في الديوان : سواء فيهم قول المنادي هلموا للطعان أو الطعام
(٣) الديوان ص ١٠٠ .
(٤) ورد الشطر الأول في الديوان هكذا :
[أبان لنا من درِّه يوم ودَّعا]
(٥) في الديوان : جبينه عوضاً عن حديثه ولعله تحريف .
(٦) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(٧) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(٨) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(٩) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(١٠) هذا البيت غير موجود في الديوان .

(لو انكما بعد النوارز رمتما تضعضع رضوى أو شروري تضعضعا)(١)
(فلا زلتما كالنيّرَين محلّة ونوراً ومثل الفرقدين تجمعا)(٢)

ولـه (٣):

بكيت فحنّت ناقتي فأجابها صهيل جوادي حين لاحت ديارها
خططْنا بأطراف المخاصر أرضها فأهدت إلينا مسك دارين دارُها(٤)
ولاحت ثنايا الاقحوان ولو رأت عوارض من أهواه طال استتارها(٥)
أرى الحبّ ناراً في القلوب وإنما يصعّد أنفاس المحب شرارها
توقّ عيونَ الغانيات فإنها شفار وأشفار الجفون شفارها (٦)

وله (٧) :

غدوا بهلالٍ من هلال بن عامر مَرامُ هلال الأُفق دون مَرامه
تردّد فيه الحسن من عن يمينه ويُسرته وخلفه وأمامه
[ظ ٨٤] وموت الفتى في العزّ مثل حياته وعيشته في الذلّ مثل حمامه
ومن فاته نَيْل العلا بعلومه وأقلامه فليبغها بحسامه

ولـه (٨) :

آخر ما أورده من شعر التهامي

يقضي بحكم الجور في أمواله وقضى بحكم الله في الأيتام (٩)
تتيقن الأموال حين تحل في كفيه أن ليست بدار مقام

ومن محاسن سقط الزند هذه القصيدة (١٠) :

(١) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(٢) هذا البيت غير موجود في الديوان .
(٣) الديوان ص ١١٠ .
(٤) في الديوان [بأطراف الأسنة] .
(٥) في الديوان [محاسن من أهواه] .
(٦) في الديوان [سيوف وأشفار] .
(٧) الديوان ص ٣٢ .
(٨) الديوان ص ٧٠ .
(٩) في الديوان [فقضى بحكم] .
(١٠) سقط الزند ص ٤٢ وشرح التنوير ج ١ ص ١٦١ .

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعلُ عفافٌ وإقدامٌ وحزمٌ ونائلُ
أعندي وقد مارست كلَّ خفيةٍ يُصدَّق واشٍ أو يُخيَّب سائل
أقلُّ صدودي أنني لك مُبغض وأيسر هجري أنني عنك راحل
إذا هبَّت النَّكباءُ بيني وبينكم فأهون شيءٍ ما تقول العواذل
تُعدُّ ذنوبي عند قومٍ كثيرةً ولا ذنبَ لي إلا العُلى والفواضل
كأنّي إذا طلت الزمانَ وأهله رجعت وعندي للأنام طوائل (١)
وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم باخفاء شمسٍ ضوؤها متكامل
يُهمُّ الليالي بعضُ ما أنا مُضمرٌ ويثقل رَضوى دونَ ما أنا حامل
وإني وإن كنت الأخير زمانُه لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل
وأغدو ولو أنَّ الصباح صوارمٌ وأسري ولو أنَّ الظلام جحافل
وإني جوادٌ لم يُحلَّ لجامه ونضْوٌ يَمانٍ أغفلته الصياقل
وإن كان في لُبس الفتى شرفٌ له فما السيف إلا غمدُه والحمائل
ولي منطقٌ لم يرضَ لي كنه منزلي على أنني بين السماكين نازل (٢)
لدى موطنٍ يشتاقُه كلُّ سيدٍ ويقصر عن إدراكه المتناوِل

[و ٨٥]

ولما رأيت الجهل في الناس فاشياً تجاهلت حتى ظُن أني جاهل
فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقصٌ ووا أسفاً كم يُظهر النقص فاضل (٣)
وكيف تنام الطير في وُكُناتها وقد نصبت للفرقديْن الحبائل (٤)
ينافس يومي فيَّ أمسي تشرُّفاً وتحسد أسحاري عليَّ الأصائل
وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست أبالي مَن تغول الغوائل (٥)
إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادرٌ وعيَّر قُساً بالفهاهة باقِل
وقال السهى للشمس إنت خفيةٌ وقال الدُّجى ياصبح لونك حائل (٦)

(١) الطوائل : جمع طائلة وهي الترة .
(٢) في الأصل : فوق السماكين .
(٣) في الأصل : ووا أسفي .
(٤) في الأصل : إذا نصبت
(٥) في الأصل : وأهله .
(٦) في الأصل : للصبح

وطاولتِ الأرضُ السماءَ سفاهةً وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل (١)

فيا موت زُرْ إن الحياة ذميمةٌ ويا نفس جِدّي إن دهرَكِ هازل

وقدْ أغتدي والليل يبكي تأسفاً على نفسه والنجم في الغرب مائل

بريحٍ أعيرَتْ حافراً من زَبَرْجدٍ لها التّبر جسم واللّجين خلاحل

بريح أي بفرس كالريح في سرعته والحافر إذا كان أخضر كان صلباً ولذلك جعل من زبرجد والفرس أشقر محجل فلذلك جعل جسمه من الذهب وخلاحله من الفضة .

كأن الصّبا ألقت إليّ عنانها تخُبّ بسرجي مرةً وتُناقل

إذا اشتاقت الخيلُ المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل

وليلان حالٍ بالكواكب جوْزه وآخر من حَلْيِ الكواكب عاطل

كأنّ دُجاه الهجر والصبح موعد بوَصلٍ وضوء الفجر حبّ مماطل

[ظ ٨٥]

قطعت به بحراً يعُبّ عبابه وليس له إلا التبلّج ساحل

ويؤنسني في قلب كل مخوفةٍ حليف سُرىً لم تصْحُ منه الشمائل

حليف سرى يعني الليل لان السرى يكون فيه ، أي يؤنسني الليل في البرية إذا استوحش منه غيري وقوله لم تصح منه الشمائل يعني أنه لم يبق على حالته لان الليل يكون تارة مظلماً وتارة مقمرا .

من الزّنج كهلٌ شاب مفرِق رأسه وأوثِق حتى نهضُه متثاقل

نسب الليل الى الزنج لسواده . وقوله وأوثق الخ.. مثل قول امرىء القيس :

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

كأن الثريا والصباح يروعُها أخو سقطةٍ أو ظالعٌ متحامل (٢)

أراد بهذا تأكيد وصف الليل بالطول .

إذا أنت أُعطيْت السعادة لم تُبَل ولو نظرتْ شزراً إليك القبائل

تقَتْك على أكتاف أبطالها القنا وهابتْك في أغمادِهنّ المناهل

تقتك بمعنى أتقتك

---

(١) في الاصل : وفاخرت الشهباء .

(٢) في الأصل : والصباح يروءها وهو تحريف .

وإن سدّد الأعداء نحوك أسهماً نكصن على أفواقهن المعابل

المعابل : نصال عراض . والمعنى أنك اذا كنت مسعوداً لا يقدر عليك العدو ويرد كيده في نحره .

[و ٨٦]

تحامى الرّزايا كلّ خفٍّ ومنْسِمٍ وتلقى رداهنّ الذُّرى والكواهل

وترجع أعقاب الرماح سليمةً وقد حطمت في الدارعين العوامل (١)

فإن كنت تبغي العز فابغ توسطاً فعند التناهي يقصر المتطاول (٢)

توقّى البدورُ النقص وهي أهلّة ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال وهو ببغداد (٣) :

طربْنَ لضوء البارق المتعالي ببغداد وهْناً ما لهُنّ وما لي ؟

سمَتْ نحوه الأبصار حتى كأنها بنارَيه من هنّا وثمَّ صوالي

إذا طال عنها سرّها لوْ رؤوسُها تُمدّ إليه في رؤوس عوال

تمنت قُويقاً والصَّراة حيالها ترابٌ لها من أينُق وجمال (٤)

إذا لاحَ إيماضٌ سترتُ وجوهها كأني عمروٌ والمطيُّ سعالي

وكم همّ نضْوٌ أن يطير مع الصَّبا إلى الشَّأم لولا حبسُه بعقال (٥)

ولولا حفاظي قلت للمرء صاحبي بسيفِكَ قيِّدْها فلست أبالي (٦)

أأبغي لها شرًّا ولم أر مثلها سفائن ليلٍ أو سفائن آل (٧)

وهنّ منيفات إذا جُبن وادياً توهّمْنا منهُنّ فوق جبال

لقد زارني طيف الخيال فهاجني فهل زارَ هذي الإبلَ طيفُ خيال ؟

---

(١) العوامل : جمع عامل وهو ما دون السنان بقدر الذراع أو أكثر .

(٢) في الأصل « تبغي العيش » .

(٣) سقط الزند ص ٩٩ وشرح التنوير ج ٢ ص ٥٢ .

(٤) قويق : نهر في حلب . والصراة : نهر ببغداد . حيالها إزاءها .

(٥) النضو : البعير المهزول .

(٦) قيّد راحلته بالسيف : اذا ضربها بالسيف وعقرها به .

(٧) سفائر : جمع سفيرة ، بمعنى مرسلة . الآل : السراب .

لعل كراها قد أراها جِذابَها ذوائبَ طَلْحٍ بالعقيق وضال (١)
ومسرَحها في ظلِّ أحوى كأنها إذا أظهرتْ فيه ذواتُ حِجال (٢)
حلُمنا بأسنان الكهول وهذه شوارفُ نَزْهاها حلوم إفال (٣)
ترى العَوْد منها باكياً فكأنه فصيلٌ حماه [الخلف] ربُّ عيال (٤)
فآبك هذا أخضرُ الحال معرضاً وأزرقُ فاشرب وارْعَ ناعم بال

[ظ ٨٦]

ابك : كلمة تزجر بها الابل . والحال والحول : الجانب . ومعرضاً : ممكناً يقال أعرض له الأمر اي امكن يزجر ابله يقول: اسل عن بلادك ودع الشوق اليها فقد امكنك مرعى أخضر الجوانب معشب وماء أزرق أي صاف ، فاشرب من الماء وارع في هذا المرعى طيب النفس ودع الاهتياج شوقاً الى الاوطان .

ستنسى مياهاً بالفلاة نميرةً كنسيانها وِرداً بعين أثال (٥)
وإن ذَهلت عما أحنَّ صدورُها فقد ألهبت وَجْداً نفوس رجال
ولو وضعتْ في دجلة الهامَ لم تفق من الجَرع إلا والقلوب خوال

منها :

فيا برقُ ليس الكرخُ داري وإنما رماني إليه الدهر منذ ليال
فهل فيك من ماء المعرة قطرةٌ تغيثُ بها ظمآن ليس بسال
دعا رجبٌ جيشَ الغرام فاقبلت رِعالٌ تزودُ الهمَّ بعد رِعال (٦)
يُغِرْنَ عليَّ الليلَ إذ كلَّ غارةٍ يكون لها عند الصباح تَوال

(١) الضال : السدر البري . الطلح : شجر عظام من العضاه . العقيق : اسم موضع . جذاب : من جذب يجذب .
(٢) أحوى : مرعى يضرب إلى السواد لشدة خضرته .
(٣) إفال : جمع إفيل وهو الصغير من الإبل . الشوارف : الإبل المسنة . أي صبرنا على الحنين ونحن كهول وهذه النوق شوارف وقد استخفها الشوق وكان سبيلها أن تصبر لأنها مسنة .
(٤) سقطت كلمة الخلف من الأصل . العود : المسن من الإبل . الخلف : الرضاع .
(٥) عين أثال : عين مشهورة تردها الوحش .
(٦) رعال : جمع رعيل وهي قطعة الخيل .

ولاح هلالٌ مثلُ نونٍ أجادَها بجاري النُّضار الكاتبُ ابن هلال(١)
فذكَّرني بدر السماوة بادِناً َشفاً لاح من بدْرِ السماءَة بال (٢)

ومنهـا :

أإخوانَنا بين الفرات وجِلَّقٍ يَدَ الله ما خبَّرْتكم بمُحال
أنبِّئكم أني على العهد سالمٌ ووجهي لمـّا يُبْتَذَلْ بسؤال [و ٨٧]
وأني تيمَّمتُ العراق لغيرِ ما تيمَّمَه غَيْلانُ عند بـلال (٣)
فأصبحت محسوداً بفضلي وحده على بُعد أنصاري وقِلَّةِ مالي
ندمتُ على أرض العواصم بعدما غدَوْت بها في السَّوم غيرَ مُغال
ومن دونها يومٌ من الشمس عاطل وليلٌ بأطراف الأسِنَّة حال (٤)
وشُعْث مداريها الصوارمُ والقنا وليس لها إلا الكُماة فوَال (٥)
أروحُ فـلا أخشى المنايا وأتّقي تدَنُّس عرضٍ أو ذميم فعال
إذا ما حبالٌ من خليلٍ تصرَّمت علقتُ بخـلٍّ غـيرِه بحبـال
ولو أنَّني في هـالة البدر قاعد لمـا هاب يومي رِفعتي وجلالي

وقال وهو في دار السلام (٦) :

---

(١) ابن هلال : هو علي بن هلال المعروف بابن البواب ، شبه هلال رجب بنون خط ابن البواب بالنضار الجاري أي بماء الذهب .

(٢) سماوة كلب : بادية معروفة . وأراد ببدر السماوة امرأة تسكنها . البادن : عظيم الجثة . ويقال ما بقي منه إلا شفا أي بقية قليلة ، والسماءة يريد بها السماء . يقال سماء وسماءة .

(٣) غيلان بن عقبة : هو ذو الرمة الشاعر المشهور ، قصد هـلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ومدحه مستميحا .

(٤) يوم عاطل من الشمس يعني يوم قتال لكثرة الغبار فيه لا تظهر الشمس . دليل حال: ذو حلية ببريق أسنة الرماح . أراد أن الطريق من العراق الى الشام مخوف ولا غنى فيه عن عدد وعُدد ومناوشة قتال .

(٥) شعث : جمع أشعث وهو الذي لا يتعهد رأسه بالغسل والتسريح : المداري : جمع مدراة وهي التي تسوي بها المرأة شعرها شبه ميل، وفلي رأسه إذا فتشه لينتزع القمل والقذى.

(٦) سقط الزند ص ١٠٢ وشرح التنوير ج ٢ ص ٦٣ .

مغاني اللوى من شخصك اليوم أطلال وفي النوم مغنى من خيالك محلال(١)
معانيك شتى والعبارة واحد فطرفك مغتال وزندك مغتال

مغتال الأول من اغتاله أي أهلكه ، والثاني من قولهم : ساعد غيل أي عبل ريان أي معاني صفاتك كثيرة وإن كانت العبارة واحدة ثم فسر اتحاد العبارة مع كثرة المعنى فقال : طرفك مغتال أي يهلك المحبين وزندك مغتال أي ساعدك ممتلئ .

وابغضت فيك النخل والنخل يانع وأعجبني من حبك الطلح والضال(٢)
وأهوى لجراك السماوة والقطا ولو أن صنفيه وشاة وعذال

[ظ٨٧]

لجراك أي من أجلك . ولو أن صنفيه أي صنفي القطا وهما الكدري والجون .

حملت من الشامين أطيب جرعة وأنزرها والقوم بالقفر ضلال

يخاطب خيال الحبيبة بأنها زارت من الشامين وهما الشام والجزيرة وحملت أطيب جرعة يعني ريقها إذ لا أطيب إلى المحب من رضاب الحبيب،وأنزرها أقلها إذا الرضاب يوصف بالقلة والعزة .

يلوذ بأقطار الزجاجة بعدما أريقت لما أهديت في الكثر أمثال
فسقياً لكأس من فم مثل خاتم من الدر لم يهمم بتقبيله خال

يلوذ : يلزق ، وفاعله أمثال والخال : المختال المدل بعظم شأنه .

صحبت كرانا والركاب سفائن كعادك فينا والركائب أجمال
أعمت إلينا أم فعال ابن مريم فعلت وهل يعطى النبوة مكسال؟
كأن الخزامى جمعت لك حلة عليك بها في اللون والطيب سربال
عجبت وقد جزت الصراة رفلة وما خضلت مما تسربلت أذيال

الصراة : نهر ببغداد . ورفلة أي طويلة الذيل ، أي عجبت لخيال الحبيبة كيف جازت هذا النهر ولم تبتل أذيالها .

---

(١) المغاني : جمع المغنى وهو المنزل . اللوى : منقطع الرمل . محلال : مفعال من الحلول .
(٢) أي أن هذه المرأة بدوية تسكن في البادية حيث يكون الطلح والضال ولا تحضر البلاد التي بها النخيل .

متى ينزل الحيُّ الكلابيُّ بإلساً يحيِّيكِ عني ظاعنون وقفّالُ
تحيّة ودٍّ ما الفرات وماؤها بأعذب منها وهو أزرقُ سلسال [٨٨و]
فإن زعموا أنّ الهجير استشفّهم إليها فمنها في المزايد أسمال (١)
أتعلم ذاتُ القُرط والشّنف أنني يشنّفني بالزّأر أغلبُ رئبال (٢)
فيا دارها بالحَزْن إن مزارها قريبٌ ولكن دون ذلك أهوال
إذا نحن أهلَلْنا بنُؤْيك ساءنا فهلّا بوجه المالكيّة إهلال (٣)
نصاحب في البيداء ذئباً وذابلاً كلا صاحبَيْها في التّنوفة عسّال (٤)
إذا أغرب الرّعيان عنها سوامها أريح عليها الليل هيْقٌ وذيّال (٥)
تسيء بنا يقظى فأما إذا سرت رقاداً فإحسان إلينا وإجمال
بكتْ فكأنّ العقد نادي فريدَه هلمّ لعقد الحلف قلبٌ وخلخال
وهل يحزُن الدمعَ الغريبَ قدومُه على قدم كادت من اللّين تنهال
تحلّى النّقا دُرّيْن دمعاً ولؤلؤاً ووَلّت أصيلاً وهي كالشمس معطال

منهـا :

فأذهل أني بالعراق على شفا رزيِّ الأماني لا أنيسٌ ولا مال
مُقلٌّ من الأهلَيْن يسر وأسرة كفى حزناً بيْنٌ مشتٌّ وإقلال
طويت الصّبى طيَّ السّجل وزارني زمان له بالشيب حكم وإسجال

---

(١) استشفهم : أي شوفهم . اسمال : جمع سمل وهو الماء القليل يبقى في أسفل الاناء والحوض . وجاء في شرح التنوير « وهذا البيت لا ارتباط له بما قبله فلعل في الموضع محذوفاً كما هو عادة صاحب الديوان في حذفه بعض أبيات القصيدة » .

(٢) الرئبال من الأسد : الذي يولد وحده فهو أقوى لأنه لم يشارك في بطن أمه الشنف : ما يعلق في أعلى الأذن والقرط في أسفلها . الزأر : صوت الأسد . الأغلب : الغليظ الرقبة .

(٣) النؤى : الحاجز الذي يعمل حول البيت لئلا يدخله ماء المطر . وأهلّ الرجل إذا نظر إلى الهلال . وأراد بالمالكية الحبيبة .

(٤) عسل الذئب : إذا اسرع في المشي . التنوفة : البيداء .

(٥) اغرب الراعي إبله : إذا أبعدها . والهيق : ذكر النعام . والذيال : الثور الوحشي .

متى سألتْ بغدادُ عني وأهلُها ... فاني عن أهل العواصم سأّل
إذا جنَّ ليلي جنّ لي وزائدٌ ... خفوقُ فؤادي كلما خفق الآل
وماء بلادي كان أنجعَ مشرباً ... ولو أنّ ماءَ الكرخ صهباءُ جريال
حروفُ سرىً جاءت لمعنىً أردته ... برتني أسماءٌ لهن وأفعال
يحاذرن من لدغ الأزمّة لا اهتدى ... مخبّرها أن الأزمّة أصلال (١)

[ظ ٨٨]

فيا وطني إن فاتني بك سابقٌ ... من الدهر فَلْيَنْعَمْ لساكنك البال
فان أستطعْ في الحشر آتك زائراً ... وهيهات لي يوم القيامة أشغال
وكم ماجدٍ في سيف دجلة لم أشم ... له بارقاً والمرء كالمُزْن هطّال
من الغرّ ترّاكُ الهواجر معرضٌ ... عن الجهل قذّاف الجواهر مفضال
سيطلبني رزقي الذي لو طلبته ... لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال
إذا صدَق الجدُّ افترى العمُّ للفتى ... مكارمَ لا تُكري وإن كذبَ الخال

الجد : الحظ . والعم : الجماعة من الناس . وافترى : اخترع . ولا تكرى : لا تنقص .

ومن درعياته قوله (٢) :

مافعلَتْ درْع والدي أَجرَتْ ... في نهرٍ أم مشَتْ على قدمٍ ؟

يسأل والدته عن درع أبيه أجَرت في نهر لأنها كانت كالماء فلعلها قد سالت مسيل الماء أم مشت على قدم فانها للينها ما كانت تثبت .

أمِ استُعيرَت من الأراقم فارتد ... دتْ عواريِّها بنو الرّقمِ

الأراقم : الحيات . وبطون من تغلب وخصها وأوهم بها الحيات لأن الدروع تشبه بها .

أمْ كنتِ صيَّرْتِها له كفناً ... فتلك ليست من آلة الرَّجمِ (٣)
لعله أنْ يجيءَ مدّرِعاً ... يوم رجوعِ النفوس في الرِّمَمِ
أم كنتِ أودعتها أخا ثقةٍ ... فخان والخوْن أقبح الشّيم

(١) أصلال : جمع صل وهو الحية .

(٢) باب الدرعيات في ديوان سقط الزند ص ١٦٩ وشرح التنوير ج ٢ ص ٢٤٦ .

(٣) الرجم : القبر

أم صالحات البنات إضْن بها زيادةً في الرِّعاث والخدم [و ٨٩]

إضن : رجعن ، أي أم جهزت بها البنات الصالحات زيادة على مالهن من الأقرطة والخلاحيل .

ضافيةٌ في المجَرِّ صافيةٌ ليست بمطويةٍ على قَتَم

أي هي تامة مجرها لابسها على الأرض لم تطو على صدإ .

كأنها والنِّصالُ تأخذها أضاةُ حزْنٍ تُجاد بالدِّيَم (١)

شبهها بالغدير وشبه وقوع النصال بها بصوت المطر في الغدير ، يعني لا يضرّ بها وقوع النصال .

أو منهَلٌ طاقَت الحمَام به فالرِّيش طافٍ عليْه لمْ يَصِم

ثم شبهها بمنهل أحدقت به الحمام وطفا ريشها عليه . ولم يصمه ذلك أي لم يعبه ، أي ثبتت النبال في الدرع فليست ترى إلا قذذ السهام .

ضنَّ بها ربُّها لضِنَّتها به وكم من ضِنَّةٍ من الكرَم

تحسبها من رُضاب غاديةٍ مجموعةً أو دموعها السُّجُم (٢)

ضاحكةٌ بالسهام ساخرةٌ بالرمح هزّاءة من الخُذُم

الخذم : جمع خذوم وهو السيف القاطع .

عادَتها أرْمُها ظبىً وقناً من عهد عادٍ وأختها إرم

الأرْم : الاكل . أي عادتها إفناء القنا والسيوف .

تغرُّها غرّةَ السراب نهى في ناجريِّ النهار مُحتدم

أي تغر هذه الدرع السيوف والقنا كما يغر السراب العقل في يوم شديد الحر . [ظ ٨٩]

ذاتُ قتيرٍ شابت بمولدها ولم يكن شيبها من القِدَم (٣)

فما عدَدْنا بياضَها هرَماً حين يُعدّ البياض في الهرم

ما خضَبته المهنَّدات لها ولا العوالي سوى رَشاش دم

يدُ المنايا إذا تصافحها أعيا بها منْ يدَيْن في رحم

---

(١) في الأصل « أضاة حزم » .

(٢) سجم : جمع ساجم بمعنى سائل .

(٣) القتير : المسامير .

يقال في المثل أعي من يد في رحم يعنون يد الجنين [اذ هي ضعيفة لا تقدر على العمل] .

وقال أيضاً يصف الدرع (١) :

قالت سلَيْمى والكريمُ يَدْعى لو كنتَ مجدوداً لبعتَ الدِّرْعا
لأمنعَ الدِّرْب ليوثاً فُدْعا ألَمْ تَرَيْها كالسَّراب لمعا (٢)
تمُرّ في القيظ العيونَ خَدْعا كالنقع والخيلُ تثير النقْعا
كاد الفتى يعُبّ فيها جرْعا يحسبها تسعى وليست تسعى
كما تسير في الكثيب الأفعى ضقتِ بأحداث الزمان ذرْعا

وقال أيضاً يصفها (٣) :

وهي بيضاء مثلَما أوْدَعَ الصيـ ـفُ حمى الوَهد نطفةَ الشؤبوب (٤)
كهلال الحياة أو كقميص لهـلال الحيّات غيرِ مجوب (٥)

الهلال : الماء القليل ، والهلال : ذكر الحيات .

وإذا صادفتْ حدوراً جرت فيـ ـه إراقَ الشريب ماء الذَّنوب (٦)
كفَّ ضربَ الكماةِ في كل هيْجٍ فضَلاتٌ من ذيلها المسحوب
نثرَةٌ من ضمانها للقنا الخطـ ـيِّ عند اللقاء نثرُ الكعوب
مثلُ وشيِ الوليد لانت وإن كا نت من الصنع مثل وشي حبيب (٧)
تلك ماذِيّة وما لذباب الصـ ـيف والسيفِ عندها من نصيب

الماذية : الدرع البيضاء ، والماذي : العسل الأبيض . وذباب السيف حده . وذباب الصيف معروف .

[و٩٠]

---

(١) ديوان سقط الزند ص١٥١ وشرح التنوير ج ٢ ص ٢٥٠ .
(٢) الأفدع : المنقلب كفه وقدمه إلى انسيها من الرجال والأسود .
(٣) ديوان سقط الزند ص١٥٠ وشرح التنوير ج ٢ ص ٢٥٧ .
(٤) الوهد : المطمئن من الأرض . الشؤبوب : الدفعة من المطر .
(٥) وجبت القميص جوباً إذا قورت جيبه . شبه الدرع بالماء او بسلخ الحيّة .
(٦) الشريب : الذي يسقي إبله مع إبلك . الذَّنوب : الدلو الملأى ماء .
(٧) أي هي في اللين والرقة مثل شعر البحتري وفي الصنعة المحكمة مثل شعر أبي تمام .

وتراها كأنها في يد المعْطش سَجْل أتى به من قليب (١)
وعصتْ من عواصف الحرب أمراً قبلته من شمْألٍ وجَنوب
تركت بالمُهنَّدات فلولاً في خشيبٍ منها وغيرِ خشيب (٢)
والسِّنانِ الذي يُصاغ على صِنـ ـفَيْ رَدىً من تَموُّجٍ ولهيب (٣)
زَبدٌ طار عن رُغاء المنايا فاحتسى البيضَ كارتغاء الحليب

استعار للمنايا رغاء كرغاء البعير وجعل الدرع لبياضها كزبد طار عن رغاء المنايا.

وقال(٤):

لها حلَقٌ ضيْقٌ لو أنَّ وضينه فؤادُك لم يخطر بقلبك هاجس
إذا احترس الموت المُسلَّط مهجةً فالنفس فيها بالمقادير حارس

وقال في ذم الدنيا (٥):

دُنياك تحدو بالمُسا فرِ والمقيم جِمالها
فعَّالة غير الجميـ ـل فكم هويتُ جَمالها
نقَصتْ مسرَّتها فما يجد السَّعيد كمالها
والنفس تخدم في الحيا ة بجهلها آمالها
حتَّام تعتسف الرِّفا قُ حُزونَها ورمالها (٦)
متظلِّلين بأيكةٍ منع الهجيرُ ظلالها
ألفتْ غرامَهم بها فتعوَّدتْ إذلالها
كالخَوْد أبدَت للمُحـ ـب جفاءها ودلالها (٧)

[ظ ٩٠]

---

(١) المعطش الذي إبله عطاش .
(٢) الخشيب : السيف الذي برى طبعه ، والخشيب: الصقيل أيضاً وهو من الأضداد.
(٣) أي وتركت فلولاً أيضاً بالسنان الذي صيغ من صنفي سبب الهلاك : تموج الماء ولهيب النار وهما مهلكان والاغراق والاحراق . أي في السنان صفاء الماء وخضرة أثر النار.
(٤) ديوان سقط الزند ص ١٦١ وشرح التنوير ج ٢ ص ٢٨١ .
(٥) ديوان سقط الزند ص١٧٠ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣١٠ .
(٦) الاعتساف : الأخذ على غير طريق .
(٧) في الأصل : كالخود أبقت .

قالوا مَلِلْتَ ن وما الضمير مَلالها
قبضَتْ على الحرّ الكريم يمينها وشمالها
طلّقتها مذمومةً حين ابتلَيْتُ حصالها
ولَوانّها جاءتك عفْواً ما أرَدْتَ وصالها
وسلِمْتُ من هَمٍّ يُبرّح إذ بَتتَّ حبالها (١)
لمّا حمتْك مهاتَها بعثتْ إليك حيالها
فصدفت عن ذات السّوار ولم تُرد خلْخالها
وعرفتَ غاية بدرها لمّا رأيتَ هلالها
والشمس عند شروقها علِمَ اللبيبُ زوالها
وَعظتْكَ أيام تمرّ فهل فهمتَ مقالها
إن غيّرت حال الأنام فما تُغيّر حالها
سلبتكَ أوقاتَ الشباب فما أصبت مثالها
تجري بنا جرْي الخيول وقد سئمتَ مجالها
وسرَيْتَ تحت المُدجنات ممارساً أهوالها (٢)
في فتيةٍ تُزْجي إلى البيت الحرام بغالها (٣)
أو راكباً وجْناءَ تشكو بالفلاة كلالهَا
غادر بها للطير تنقر بالضحى أوصالها
وأكلتَ صمغ الطّلح في بيداءَ ترفعُ آلها
تبغي بمكة حاجةً قدَر العزيزُ مآلها
حتى قضيتَ طوافها سبْعاً وزُرْتَ جبالها
وسمعتَ عند صباحها ومسائها إهلالها
ترجو رضى الملك الذي منح الملوك جلالها

[و ٩١]

---

(١) في الأصل : إن بنت .
(٢) سحابة مدجنة وداجنة وهي التي لا يدوم مطرها.
(٣) في الأصل : إلى البلد الحرام .

وقال (١) :

يُغفي ويزعم أنه متبولُ … راجٍ خيالك أنه سيُديلُ (٢)
كذب الخيال كما علمت مجنَّب … وكرى الجفون على السلوّ دليل
غمض يُحيل على السهاد بزورة … وكذا السُّهادُ على الرُّقاد يُحيل
حالان أخلفتا فهل من حالةٍ … أحرى يكون بها إليك سبيل
ما بعد ذَيْن سوى الحِمام وإنني … لأخال أنّ الهجر فيه طويل
وفضيلة النوم الخروجُ بأهله … عن عالمٍ هو بالأذى مجبول

وقال (٣) :

أقول لهم وقد وافى كتابٌ … تخالُ سطورَه درًّا نظيما
أليستْ كفُّ كاتبه غماماً … يَسُحُّ بها الشقاوةُ والنَّعيما
فكيف تخطُّ في القرطاس رسماً … وشأن السحب أن تمحو الرسوما (٤)
فقالوا من أطاعتْه المعالي … تصرّف كيف شاء بها عليما
وكأنّ أبا الوحيد وما عظيم … لأهل الفضل أن يأتوا عظيما
تناولَ من لطافته نهاراً … ففرّق فوقه ليْلاً بهيما

[ظ ٩١]

وقال (٥) :

خبّريني ماذا كرهتِ من الشيـ … ـب فلا عِلمَ لي بذنب المَشيب
أضياءَ النهار أم وَضَحَ اللؤ … لؤ أم كونَه كثغر الحبيب
واذكري لي فضل الشباب وما يجـ … ـمعُ من منظر يروق وطيب
غدرَه بالخليل أم حبَّه للـ … ـغيّ أم أنه كدهر الأريب

وقال (٦)

أراك في الأرض سيّاراً إلى شرفٍ … كما شبيهُكَ في الآفاق سيّارُ

---

(١) سقط الزند ص ١٧٢ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣٠٥ .

(٢) تبله داء الحب وأتبله : اذا أسقمه وأفسده . يغفي : ينام .

(٣) ديوان سقط الزند ص ١٧٣ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣١٩ .

(٤) في الأصل : تمحي .

(٥) ديوان سقط الزند ص ١٧٤ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣٢٠ .

(٦) ديوان سقط الزند ص ١٧٤ وشرح التنوير ج ٢ ص ٣٢١ .

كأنك البدرُ والدنيا منازله فمـــا تُليقكَ إلا ليلةً دارُ

وقال في الشمعة :

وصفراء لون التبر مثلي حليدة على نوب الأيام والعيشة الضنك
تريك ابتساماً دائماً وتجلداً وصبراً على ما نالها وهي في الهلك
ولو نطقت يوماً لقالت أظنــكم تخالون أني من حذر الردى أبكي
فلا تحسبوا دمعي لوجد وجدته فقد تدمع الأحداق من كثرة الضحك

وقال :

توقتك سراً وزارت جهاراً وهل تطلع الشمس إلا نهارا
كأنّ الغمام لهـا عاشق يساير هودجها أين سارا
وبالأرض من حبها صفرة فما تنبت الأرض إلا بهارا
أذبت الحصى كمداً إذ رميـ ت بالدر يوم رميت الجمارا

[و ٩٢]

وقال :

حي من أجل أهلهن الديارا وابك هنداً لا النؤى والأحجارا
هي قالت لما رأت شيب رأسي وأرادت تنكراً وازورار
أنا بدر وقد بدا الشيب في رأسك والصبح يطرد الأقمارا(١)

هذا ونوادر أبي العلاء كثيرة وأخباره غزيرة وقد اخترنا منها ما يستظرف ايراده ويطرب إنشاده فلا زالت الأفاضل تحت ظلال جود من حـدم به قائلة وألسنة الأقلام على أمد الليالي بالافصاح عن محامده قائلة ولا برحت قلوب أعاديه من هيبته خافقة وهذا دعاء يشمل كل إنسان فيجب أن ينطق به كل لسان .

تم الكتاب في آخر أول شهر من سنة ١٠٥٣

---

(١) في الأصل : والشيب

فهرست الأعلام الواردة في كتاب أُوج التحري
عن حيثية أَبي العلاء المعري

فهرست أسماء الأماكن والبلدان
الواردة في كتاب أوج التحري عن حيثية أبي العلاء المعري
ليوسف البديعي

فهرست أسماء القبائل والأُمم والفرق
الواردة في كتاب أوج التحري عن حيثية أَبي العلاء المعري
ليوسف البديعي

فهرست الكتب التي اعتمد عليها المؤلف

فهرست المراجع العربية

ابو العلاء وما إليه لعبد العزيز الميمني الراجكوتي — القاهرة ١٣٤٤

ابو العلاء المعري للمغفور له احمد تيمور باشا — القاهرة ١٩٤٠

الأعلام لخير الدين الزركلي — القاهرة ١٣٤٥

إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء للشيخ راغب الطبّاخ — حلب ١٩٢٣

الأغاني لابي الفرج الأصفهاني — القاهرة ١٩٢٧

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني — القاهرة ١٩٠٧

الأمالي للسيد المرتضى — القاهرة ١٩٠٧

الأنساب لأبي سعد عبد الكريم بن أبي بكر السمعاني — لندن ١٩١٢

الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري : لكمال الدين ابن العديم (مخطوطة في المجمع العلمي العربي بدمشق) (١)

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي — القاهرة ١٣٤٨

تاريخ آداب اللغة العربية : لجرجي زيدان — القاهرة ١٩٣١

تاريخ ابن الوردي لزين الدين عمر بن المظفّر بن عمر الوردي — بولاق ١٢٨٥

تاريخ بغداد للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي — القاهرة ١٩٣١

تاريخ الاسلام لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي — حيدر آباد ١٣٣٣

تاريخ المعرة للشيخ سليم الجندي — دمشق (نسخة مخطوطة)

تتمة اليتيمة لأبي منصور الثعالبي ، طبعة عباس إقبال — طهران ١٣٥٣

تجديد ذكرى ابي العلاء : للدكتور طه حسين بك — القاهرة ١٩٣٧

---

(١) طبع هذا الكتاب الشيخ راغب الطباخ وضمه إلى تاريخه : اعلام النبلاء (الجزء الرابع) وعليه كان اعتمادنا .

تراجم الأعيان من أبناء الزمان : للحسن البوريني (مخطوطة في المجمع العلمي العربي بدمشق)
خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر : لمحمد امين بن فضل الله المحبيّ الدمشقي — القاهرة ١٢٨٤
دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي — حلب ١٩٣٠
ديوان أبي بكر العمري : (مخطوطة في دار الكتب الاهلية الظاهرية)
ديوان البحتري طبعة سركيس — بيروت ١٩١١
ديوان أبي تمّام طبعة محي الدين الخياط — بيروت
ديوان التهامي لأبي الحسن التهامي — الاسكندرية ١٨٩٣
ديوان جرير طبعة الصاوي — القاهرة ١٩٣٥
ديوان سقط الزند القاهرة ١٩٠١
ديوان شرح التنوير على سقط الزند : القاهرة ١٣٥٨
ديوان ابي الطيب المتنبيء طبعة البرقوقي — القاهره ١٩٣٠
ديوان عمر بن ابي ربيعة : طبعة الابابيدي — بيروت ١٣١١
ديوان اللزوميات طبعة أمين عبد العزيز — القاهرة ١٩١٥
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة : لأبي الحسن علي بن بسّام الشنتريني — القاهرة ١٩٣٩
ذيل نفحة الريحانة لمحمد أمين بن فضل الله المحبيّ الدمشقي (مخطوطة بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق)
رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري ، طبعة الراجكوتي — القاهرة ١٣٥٩
« « « « « « (نسخة مخطوطة كاملة تقريباً في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق)
« « « « « « طبعة المستشرق الروسي كراتشوفسكي — لينينغراد ١٩٣٢
« « « « « « طبعة أحمد فؤاد حسن — القاهرة

رسالة الغفران : لأبي العلاء المعري طبعة هندية — القاهرة ١٩٠٣
« « « « « طبعة كامل كيلاني — القاهرة ١٩٢٥
سانحات دمى القصر : لدرويش الطالوي الارتقي الدمشقي
(مخطوطة في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق)
سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر : لعلي صدر الدين المدني — القاهرة ١٣٢٤
سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر : لمحمد خليل بن علي المرادي — الآستانة وبولاق ١٢٩١ و ١٣٠١
شرح التبيان على ديوان ابي الطيب المتنبي : لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري — القاهرة ١٣٠٨
الشعر والشعراء : لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري — القاهرة ١٣٣٢
طبقات الشافعية الكبرى : لأبي نصر عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي — القاهرة ١٣٢٤
طبقات النحاة واللغويين : لابن شهبة الأسدي الشافعي
(مخطوطة في دار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق)
الفرق بين الفرق : لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي — القاهرة ١٩١٠
الفصول والغايات : لأبي العلاء المعري — القاهرة ١٩٣٨
الفهرست لابن النديم — القاهرة ١٣٤٨
فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد الكتبي — القاهرة ١٢٩٩
القاموس المحيط لمجد الدين بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي — القاهرة ١٣٣٠
قلائد العقيان للفتح بن خاقان — القاهرة ١٣٢٠
كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لملا كاتب چلبي در سعادت .
معجم البلدان لياقوت بن عبد الله الرومي الحموي — ليبسك ١٨٦٦ و ١٨٧٣
معجم الأدباء « « « « « — القاهرة ١٩٣٦
الموشح لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني — القاهرة ١٣٤٣

نزهة الألبا في طبقات الأدبا : لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الانباري القاهرة ١٢٩٤

نفحة الريحانة لمحمد أمين بن فضل الله المحبي الدمشقي
(مخطوطة بدار الكتب الاهلية الظاهرية بدمشق)

نكت الهميان في نكت العميان : للصلاح الصفدى — القاهرة

وفيات الأعيان : للقاضي ابن خلكان — القاهرة ١٢٩٩

يتيمة الدهر لابي منصور الثعالبي ، طبعة الحفني — دمشق

المراجع الغربية

CL. HUART, *Littérature Arabe*, Paris 1923

Encyclopédie de l'Islam, Leyde 1936.

G. BROCKELMANN, *Geschichte der arabischen Litteratur et Supplément*, Weimar 1898, Berlin 1902.

فهرست الكتاب

جدول التصويبات

وقعت أثناء الطبع غلطات لا مفرّ منها نشير إلى ما عثرنا عليه منها :

صحيفة	سطر	الخطأ	الصواب
١٤	١	وعدو	وعدوا
١٥	١٥	أياس	إياس
١٧	١٤	اليأس	الياس
٢٧	٢٨	ابن النديم	ابن العديم
٥٤	٢٢	يلسى	يسلى
٦٣	٢	كثاقتها	كثافتها
٦٦	٢٠	اوله بخط احمد	او بخط احد
١٠٨	٢٢	في حل	الى حل
١٣٤	١	نحسّن	تحسّن
١٣٥	٢٤	تستأثر	تستأسر
١٤١	١٧	هذين البيتين	هذا البيت

INSTITUT FRANÇAIS DE DAMAS
COLLECTION DE TEXTES ORIENTAUX
TOME IV

YOUSOF AL-BADIʿI

BIOGRAPHIE D'ABOU-L-ʿALA AL-MAʿARRI

ÉDITÉE ET ANNOTÉE

PAR

IBRAHIM KEILANI

DAMAS
1944